السادات

المبادرة والمنصة

رشاد كامل



السادات المبادرة والمنصة

رشاد كامل

سوناتا للنشر
محمد عبد النور

● الإشراف الفني :

فوزى الهوارى

● الإشراف العام على التحرير :

عبد النور خليل

● التنفيذ :

أحمد عبد النبى

السادات .. «ومبادرته»!

كل الذين اقتربوا من السادات « فهموه » إلا قليلاً !!

كل الذين حاولوا فهم شخصية السادات نجحوا إلا قليلاً !!

وكعادة كل الشخصيات التاريخية الأسطورية يظل « السادات » وقراراته مادة خصبة للدراسة والتأمل والتحليل ، بل للدفاع « الحار » أو الهجوم « الحاد » !

وليس هناك قرار أثار من الغضب والاحتجاج والدهشة والاستياء والسرور مثل قرار السادات بالسفر إلى إسرائيل !!

كان القرار أغرب وأكبر وأجرأ قرار لحاكم عربى فى العصر الحديث على وجه الإطلاق !!

كانت المرة الأولى فى تاريخ العرب التى يغامر فيها زعيم أكبر دولة عربية بمكانتها ومكانها بالذهاب إلى عدوه التاريخى !!

لكن « السادات » فعلها .. ودخل بها ومعها تاريخ السياسة الدولية من أوسع أبوابه !!

ولم يحظ هذا القرار التاريخى بما يستحقه من التقييم والتحليل ، بعيداً عن انفعالات اللحظة ، وتشنجات الأحكام الجاهزة ، وألفاظ الخيانة والعمالة ..

ورغم مضى كل هذه السنوات على قرار السادات (١٧ سنة) بالسفر إلى إسرائيل وكل ما أعقب الزيارة من تداعيات

سياسية وتاريخية وانقلابات !! لا تزال « المبادرة » بكل ملابساتها محاطة بالغموض وملفوفة بالأسرار !

وذات صباح فاجانى الصديق والزميل الكاتب الصحفى « رشاد كامل » مدير تحرير صباح الخير . بملفات ملونة تحمل بداخلها فصول مكتوبة اختار لها عنواناً اسمه « السادات المبادرة والمنصة » ! .

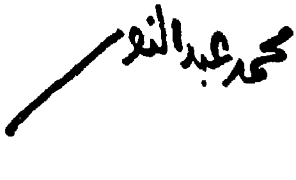
وعلى مدى يومين التهمت قراءة كل الفصول .

وفى كل صفحة من الصفحات التى كتبها « رشاد كامل » كان هناك شئ مثير وجديد وممتع من محاولات « شاوشيسكو » الرومانى إلى مبادرات « الحسن الثانى » المغربى . ومن جهود شاه إيران إلى تحفظات حافظ الأسد !!

اكثر من مائة شخصية سياسية وتاريخية هى اللحم الحى الذى تشكلت منه مبادرة السادات .

وهكذا عشت من جديد مع هذه الدراما الساداتية واستقرت مشاعرى بالاتفاق مع صديقى « رشاد كامل » على ان تكون سوزانا هى ناشر هذا الكتاب ولا احد سواها .

العزيز رشاد .. شكـراً ..



مقدمة طالت قليلا

.. وعليكم السادات!

الوحيد الذى كان يصدق ما يقوله السادات ويؤمن بما يقوله إيماناً لا يتطرق إليه الشك هو السادات نفسه !!

ومن حسن الحظ أن السادات لم يصدق كلامه أحد !!

كان السادات يهدد مجموعة (١٥ مايو) وعلى الملأ وفى خطاب يذاع على الهواء مباشرة بانه سيفرم أى واحد يقيم من نفسه وصياً على « عبدالناصر » ، ولم يصدقه أحد !!

وفى ١٥ مايو ١٩٧١ ثبت للجميع ان السادات كان صادقاً فى تهديده !!

وكان السادات يهدد بشن الحرب على إسرائيل ، ولحسن الحظ لم تصدقه امريكا او إسرائيل ، وتصوروا ان كل مايقوله هو مجرد كلام فى الهواء !!

وهكذا باغت السادات إسرائيل ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣ !

وحدث عدم التصديق نفسه فى جلسة مجلس الشعب يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ عندما اعلن عن فكرة المبادرة والسفر إلى إسرائيل !!

لقد صفق اعضاء مجلس الشعب طويلاً ، لم يصفقوا للمعنى الحقيقى الذى قصده السادات لكنهم صفقوا لبلاغة المعنى نفسه !!

لم يتصور احد أن السادات يعنى مايقول بالفعل ، وانه فى سبيله إلى تحقيق اغرب قرار سياسي فى العصر الحديث !! وهو قراره بالسفر إلى كنيست « الأعداء » !!

تصور الجميع ما قاله السادات على أنه مبالغة لفظية ، وشجاعة كلام ، فنحن شعوب تعودت على المبالغة والطنطنة » والكلام الكبير الذى لا يلزم قائله بشىء ولا مستمعيه ايضاً !!

نعم يومها لم يصدق السادات أحد !!

حتى أقرب الناس إليه ، زوجته وبناته تصورن ماقاله مجرد كلام فى كلام !!

وحدث نفس الشىء فى العالم العربى وإسرائيل والعالم كله ..

كان السادات سعيداً بالحيرة التى لفت العالم ، والدهشة التى اصابت زعماء العرب وإسرائيل !!

الكل ارتبك ، الخصوم قبل الأصدقاء ، الأقارب قبل الأغراب انفسهم !!

كان السادات مرتاحاً لهذا الارتباك الذى ساد الدنيا كلها ، وهو هادىء صامت يدخن غليونه فى صمت الحكماء !!

□ □

لقد كان هناك ميراث طويل عن شخصية السادات ساعد على عدم تصديقه !!

لم يكن هناك احد على استعداد ان ياخذ « السادات » ماخذ الجد ابداً .

كان « السادات » الذى يعرفه الناس وخبراء السياسة هو « مستر صح » !!! اى الرجل الذى كان يقول دائماً صح للرئيس جمال عبدالناصر !!

عصر ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كانت مصر تطوى صفحة من تاريخها السياسى الحديث ، ملأها باقتدار وكفاءة وثقة « جمال عبدالناصر » !!

ولم يكن السادات وقتها فى « مكان ومكانة » جمال عبدالناصر !!

وكان السادات نفسه اول من يعرف هذه الحقيقة التاريخية ، ولم يكتمها فى قلبه ، بل اعلنها للملايين عبر الإذاعة والتليفزيون حين قال فى بيانه أمام مجلس الأمة يوم ٧ اكتوبر ١٩٧٠ .

« لقد جئت إليكم على طريق جمال عبدالناصر ، واعتبر ان ترشيحكم لى بتولى رئاسة الجمهورية ، هو توجيه بالسير على طريق جمال عبدالناصر » ..

وقال السادات ايضاً فى نفس البيان : « إن جمال عبدالناصر كان بطلاً تاريخياً ، والبطل لا يصنع ولكنه يولد من ضمير امته ، واصارحكم القول انه ليس بمقدورى ولا بمقدور اى شخص أن يتحمل ماكان يتحمله « جمال عبدالناصر » ، ولذلك فإنه من الضرورى إعادة توزيع المسئوليات ضماناً لأداء الأمانة كما يجب ان تؤدى الأمانة وفاء لحق الشعب وتكريماً لذكرى قائده » ..

وبعد أن انتهى السادات من إلقاء بيانه وقف امام تمثال نصفى لجمال عبدالناصر قريباً من باب الخروج ، وانحنى امامه فى مشهد سجلته عدسات التليفزيون ، واثار عند الناس تساؤلاً عن هذا الانحناء الذى اخذ شكلاً وثنياً .. وهو الأمر الذى دفع إلى إلغاء هذا المشهد كاملاً عند إذاعة البيان مرة اخرى (!!!) ..

وكان العالم كله مشغولاً بامر هذا السادات القادم من المجهول ليخلف عبدالناصر !!

وفى نفس الأسبوع الذى توفى فيه « عبدالناصر » كان يزور إسرائيل الكاتب الصحفى الأمريكى « ميلتون فيورست » ، وكان من اغرب مالفت انتباهه وسجله بعد سنوات فى كتابه « رمال الأحزان » هو أن رد فعل الاسرائيليين اتسم

بالكابة ، وبدت الدولة مخدرة بفعل الأخبار ، فقد كان عبدالناصر على نحو متناقض يوفر امناً معيناً ، وبرغم كل تهديداته ووعيده ، فقد شعر الإسرائيليون انهم تعودوا عليه كما شعروا بالقلق عند رحيله » ..

وفى نفس الوقت كان « ميلتون فيورست » قد كتب تقريراً صحفياً ارسل به إلى « الواشنطن بوست » وكان مما جاء فيه قوله :

« إن السؤال الرئيسى بالنسبة للعالم خارج مصر اليوم ليس هو : من سيخلف « جمال عبدالناصر » بل اى نفوذ سيكون للروس على اتجاه الدول العربية بعد تولى الرئيس الجديد ، أى كيف سيكون عليه الأمر بالنسبة للإسرائيليين بعد خروجهم من الصدمة التى اعقبت اخبار السكتة القلبية المميتة التى داهمت عبدالناصر ، إن الإسرائيليين ليسوا مبتهجين لوفاة عبدالناصر ، على الرغم من انه كان الد اعدائهم ، بل الأحرى انهم كانوا يحاولون تقييم التاثير الذى يحسونه وهو ان هذا الحدث لابد ان يؤثر على الحرب والسلام فى الشرق الأوسط !! »

ومضى الكاتب الصحفى يقول فى نفس المقال السابق :

« وقدم لى الخبراء فى الشئون المصرية بوزارة الخارجية الإسرائيلية اسم « انور السادات » نائب رئيس الجمهورية ، غير انهم استبعدوه باعتباره شخصية تافهة ووصفوه بانه شخصية انتقالية ، ليس له اتباع ولا فلسفة ، وقالوا عنه إنه لن يستمر ، وعلمت فيما بعد أن تفكيرهم كان يتفق مع آراء الخبراء فى معظم الحكومات الغربية » ..

إن « عبدالناصر » الذى كان يكره الشخصيات القوية التى كانت حوله لم يعد العدة لمن يخلفه ، فعلى النقيض منه كان كل من اتيحت له فرصة كى يصبح رئيساً جديداً لمصر يبدو فى مستوى الدرجة الثانية او اقل ، اما « انور السادات » نائب رئيس الجمهورية فإنه يبدأ من ميزة كونه قد انتقل إلى مكتب « عبدالناصر بصفة دستورية ، غير انه يعتبر غير كفء بدرجة معقولة ، وقد احتفظ به عبدالناصر لولائه له » !

□ □

ويروى «إسحاق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى انطباعاته وقتها عن السادات فيقول عنه :

« هو شخصية سياسية غير معروفة ، وقد أصبح على الفور موضع كثير من التكهنات فى كبرى العواصم العالمية » ..

فى ذلك الوقت ايضاً كان هناك الكثير من السياسيين ورجال المخابرات فى الولايات المتحدة وإسرائيل يعتبرون السادات ليس اكثر من حاكم مؤقت لن يتعدى حكمه الفترة اللازمة لظهور تكتل قوى جديد فى مصر يختار الرجل الذى

يخلف الشخصية العملاقة لعبدالناصر » .

ويضيف « إسحاق رابين » لما سبق قوله أيضاً :

« لقد تهكم » « إيبان » وزير الخارجية الإسرائيلى بأسلوبه الساخر المعتاد على « السادات » علناً ، فوصفه بأنه نموذج للشخصية غير الجذابة التى تتمتع بشعبية ، وأن ظهور الرئيس المصرى الجديد فى أجهزة الإعلام أمر يثير الضحك » ..

والملفت للانتباه هو مشاركة أمريكا فى جنازة عبدالناصر بمبعوث هو « ريتشاردسون » ، وحسب اعتراف السادات فى مذكراته فإن هذا المبعوث « عندما عاد إلى بلاده كتب تقريراً بأن السادات لن يبقى فى الحكم لأكثر من أربعة أسابيع إلى ستة أسابيع » ..

كانت أمريكا حائرة بالفعل فى شخصية السادات ، وحسب كتاب « وليام كوانت » فإنه :

« لم يكن يعرف عن « السادات » فى واشنطن عندما أصبح رئيساً إلا القليل ، أما الترجمة التى أعدتها وكالة المخابرات المركزية له فكانت دون الثناء ، فقد ذكرت هذه الترجمة بصورة بارزة أنه ذهب إلى السينما ليلة الثورة المصرية مشيرة ضمناً إلى أن هذه الواقعة (واقعة نموذجية) لأسلوبه السياسى . (!!) .

وفى موضع آخر من الكتاب يقول « ويليام كوانت » فى تحليله لشخصية السادات أنه : « كان ينظر إليه فى واشنطن على أنه تحسن ملحوظ بالنسبة لعبدالناصر ، وعلى أية حال كان السادات أقل مكانة من عبدالناصر فى العالم العربى ، ولهذا فإنه أقل قدرة على إثارة المتاعب ، وربما يتجه إلى مشكلات مصر الداخلية بدلاً من تشجيع الثورة فى أماكن أخرى ، وكان ذلك هو أمل صانعى السياسة الأمريكية فترة طويلة » .

وفى البداية كان السادات أشبه باللغز فى السياسة الخارجية ، فقد كانت مشاعره تجاه السوفييت غير معروفة ، ولكن بحلول ربيع عام ١٩٧١ ، وبعد أن استمر بنجاح بعد محاولة انقلابية نظمها معاونو عبدالناصر المقربون أصبحت صبغة السادات المعادية للسوفييت أكثر وضوحاً .

وكان السادات الذى كان ينظر إليه فى الأصل على أنه شىء « خفيف الوزن » قد بدأ يؤخذ بجدية أكثر » .

وكان تقرير عدد من سفارات مصر بالخارج فى ذلك الوقت مؤداه « يعتقد الأمريكان أن النظام الحالى فى مصر يلائم السياسة الأمريكية لكونه معتدلاً ، كما يرون أن مصر تلعب دوراً هادئاً فى العالم العربى ، إلا أنهم لا يثقون فى الرئيس السادات ، ولكنهم ينتظرون حدوث تطورات جديدة فى مصر ، حيث يعتبرون الحكم الحالى مؤقتاً سيؤدى إلى وضع جديد يحوز ثقتهم » ..

وفى كتاب « الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية (١٩٣٦ ـ ١٩٩٢) نقرأ مايلى :

« بعد أن خلف « أنور السادات » « جمال عبدالناصر » فى سبتمبر ١٩٧٠ ، بوقت قصير بدأ يعلن عن نواياه باستئناف الحرب ضد إسرائيل ، وفى أوائل عام ١٩٧١ ، أعلن أن تلك السنة هى سنة الحسم ، لكن سنة ١٩٧١ مضت دون استئناف العمليات العسكرية ، وهذا ما أقنع قسم الأبحاث فى « أمان » (جهاز الاستخبارات العسكرية) ، والأركان العامة فى الجيش الإسرائيلى والزعماء السياسيين فى البلاد أن الزعيم المصرى الجديد لا يعنى مايقوله ، وقد سماه العديد منهم « بالمهرج » !!

وفى موضع آخر يضيف الكتاب : « أثرت تهديدات السادات المتكررة على مصداقيته وأصبح كلامه مثل « عواء الذئب » ..

بل إن الكاتب البريطانى البارز « باتريك سيل » يذهب إلى أن قبل حرب ١٩٧٣ مباشرة فإن « إسرائيل والولايات المتحدة لم تكتفيا بعدم تصديق خطط الحرب العربية التى تسلمناها (عبر عملاء وأجهزة المخابرات) ، ولكنهما بالإضافة إلى ذلك أساءتا فهم النوايا العربية من خلال سوء فهمهما للسادات الذى اعتبرتاه « مهرجاً » لم تحملاه على محمل الجد » ..

وربما كان من أدق التحليلات التى اقتربت كثيراً من شخصية « السادات » ما كتبه « أباإيبان » وزير خارجية إسرائيل الأسبق فى كتابه الهام (شاهد عيان : إسرائيل كما أراها) .. عندما كتب يقول :

قبل عام ١٩٧٣ لم يكن السادات يعتبر على الإطلاق رجل دولة قادراً على اتخاذ القرارات الكبيرة فى قالب « ناصر » ، وقوبل انتخابه للرئاسة بسخرية فى مصر والعالم .

ولم يكن (السادات) قد شغل شيئاً سوى مناصب تمثيلية وبروتوكولية مع النظام الثورى الذى تراسه ناصر .

لكن فى غضون سنوات قليلة سوف يهز « أنور السادات » الشرق الأوسط من جذوره بقرارين خطيرين :

الأول مهاجمة إسرائيل فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بالرغم من تفوق إسرائيل العسكرى المعروف ، ثم الذهاب بعد ذلك من أجل معاهدة سلام بدلاً من اللعب مع جولة أخرى من الاتفاقيات المؤقتة » ..

وقرار السادات الثورى الثانى هو الاعتراف بأن العرب لن يحصلوا على شىء من الإسرائيليين عن طريق الحرب ، وأن الطموحات المصرية والعربية يمكن أن تتحقق بشكل كبير فى اتفاقيات سلام ، وكانت اتفاقية فض الاشتباك لعام ١٩٧٤ ، وسيناء فى سبتمبر ١٩٧٥ مراحل فى مفهوم مندرج بعناية .

وكان السادات يقرأ الموقف الإسرائيلى تجاه مصر بالشكل الصحيح ، وموقف « الليكود » تجاه القضية الفلسطينية بالشكل الخطأ !!

وقد تصور أنه يمكنه الحصول من بيجين على أكثر مما حصل عليه فى معاهدة سيناء لعام ١٩٧٩ ، وفى كل الحالات فهو لم يربط الأشياء ببعضها مثل الاهمية المساوية لجزئى اتفاقيات كامب دافيد .

إن السادات كما جاء فى تحليل « أباإيبان » ، كان أولاً وقبل كل شىء مواطناً مصرياً ملتزماً عاطفياً باستعادة أرضه ، فكل ما وعد به الفلسطينيين هو بذل اقصى ما يستطيع لدعم قضيتهم التى بذل الشعب المصرى من أجلها قدراً كبيراً من دمه وعرقه ، وقد فتح أبواباً جديدة واسعة لهم لكنه لم يستطع إجبارهم على الدخول » ..

وكحدث مشهدى وسياسى فإن رحلة السادات المثيرة للدهشة للقدس وخطابه للكنيست يعتبران من تجارب الذروة لهذا الجيل ، فقد اتضح على الفور أن الشرق الأوسط على وشك السير فى طريق جديد ، وأنه لا شىء فى المنطقة سيكون على ما هو عليه مرة أخرى » ..

□ □

وحسبما يقول الكاتب الفرنسى « هنرى لورنس » فى كتابه « اللعبة الكبرى » :

« أعطت حرب أكتوبر (١٩٧٣) للسادات الشرعية التى كان يحتاجها والتى سوف تمكنه من رسم صورة مصر جديدة ، لقد تغير السياق العام منذ فترة عبدالناصر ، ودفعت خسارة مصر لموقعها الرائد فى العالم العربى خليفته إلى التوجه نحو الغرب مدفوعاً بالدرجة الأولى برغبة استعادة الوحدة الترابية لبلاده كاملة .

كان ذلك الخيار يقوم على تحليل ملموس للواقع المصرى بالإضافة إلى استعادة الحلم الأمريكى للعهد الأول للضباط الاحرار ، كان السادات مقتنعاً بان الولايات المتحدة الامريكية تمتلك وحدها الوسائل الضرورية للحصول على إعادة سيناء لمصر ، وأن الغرب وحده عنده الإمكانيات المالية لإخراج مصر من وضع الكارثة الاقتصادية ..

ويضيف « هنرى لورنس » قائلاً فى نفس الكتاب :

كان « السادات » رجل المسرح يبحث عن دوره مثل عبدالناصر قبله ، لكن فى الوقت الذى استطاع فيه عبدالناصر فرض نفسه عبر حوار عفوى مع الجماهير ، كانت الهوية التى يبحث عنها السادات أكثر اختلاطاً ، توقفت الجماهير عن لعب دور محرك التاريخ الشرق أوسطى » ، واصبح المطلوب هو اجتذاب جماهير خارج العالم العربى ، والمقصود بذلك هو الرأى العام الغربى .

« كانت الصورة المنشودة هى نتاج لاستراتيجية سياسية واعية ، وكانت

تتماشى مع تطور شخصية السادات » .. كان الرئيس المصرى يعرف أن سلوك البلدان الغربية يرتبط بالراى العام فيها ، وان قوة إسرائيل تعتمد على سلسلة من الأساطير التى تم إعدادها بعناية كبيرة داخل الراى العام الأمريكى ، فحاول إعداد اسطورة مقابلة مستعيرا من الخصم اسلحته الرئيسية ، وبدلاً من أن يقوم بمساومة (جيوسياسية) حيال الولايات المتحدة كما كان يفعل عبدالناصر ، اراد السادات ان يظهر بمظهر صديق افضل من الدولة العبرية التى تطلب بشكل مستمر مساعدات أكبر دون اخذ المصالح الاستراتيجية الأمريكية فى اعتبارها » ..

□ □

لكن الكاتب الصحفى الفرنسى « إيريك رولو » الخبير بشئون الشرق الأوسط لسنوات طويلة لديه وجهة نظر اخرى سجلها فى كتابه الهام « الفلسطينيون : من حرب إلى أخرى » .. فيقول مايلى :

« حينما غادر الرئيس السادات ـ الذى اغرته فكرة التسوية التاريخية » التى اقترحها عليه الرئيس « كارتر » فى ابريل ١٩٧٧ ـ البيت الأبيض ، كان قد قرر إجراء اتصالات مباشرة مع إسرائيل ، إلا انه كان يتعين عليه انتظار انتخابات الكنيست فى الشهر التالى ، قبل ان يبدأ الحوار مع الفريق الحاكم الجديد ، حيث كان متوقعاً وفقاً لاتجاهات الراى العام أن يفوز حزب العمل ، واثار الانتصار غير المتوقع « لليكود » الذى سبق تشكيل حكومة الصقور » فى يونيو ١٩٧٧ برئاسة مناحم بيجن قلقاً حاداً فى القاهرة ، ولفترة ما ، بدت الحرب أمراً حتمياً .

بيد أن نصائح « واشنطن » بددت مخاوف السادات حيث ذكروا له انه لا ينبغى الأخذ بالمظاهر ، فسوف ينتهى الأمر ببيجن ، وذلك بمعاونة الضغوط الأمريكية إلى قبول الحقائق السائدة ، بل إن وطنيته المتشددة ستجعل منه الرجل الوحيد القادر على حمل الإسرائيليين على قبول تسوية من المؤكد انها لا تحظى بشعبية !!

□ □

وفى كتاب « مصر .. والمتغيرات الحادة » للكاتب الفرنسى « بيير ميريل » بورتريه إنسانى وسياسى بالغ الأهمية للسادات !!

تامل هذا البورتريه بهدوء وبرود بعد كل هذه السنوات على غياب السادات يكشف المزيد من المفاتيح لفهم شخصية انور السادات !!

كتب « بيير ميريل » يقول :

« كنا نعتقد ان « السادات » عديم الشخصية فابعد « على صبرى » ، كنا نعتبره مشلولاً يدور فى فلك الاتحاد السوفيتى ، فطرد الخبراء العسكريين !!» .

وقيل عنه انه بهذا التصرف قد اجبر على عدم الحركة ، فجعل جيشه يعبر

قناة السويس وحكم عليه بانه وقع في مازق بعد كامب ديفيد فوقع على اتفاقية سلام مع إسرائيل ..

وكانوا ينتظرونه « هنا » فكان يعمل « هناك » مستخدماً سلاح المفاجاة بعبقرية ودهاء !!

وكانت سنوات حكمه الأولى سلسلة من المفاجات والضربات الجريئة ليقلب بصورة افضل الخطط المعقدة للقوى العظمى في محاولة للتغلب على القدر .. فلا هو « بالايديولوجي » ولا « الخطابي » ولكنه واقعي وعملي .. واختار ان يفرض نفسه بالعمل المفاجيء وغير المنتظر » ..

ياله من ممثل سياسي مدهش بالفعل .. فكان يعرف كيف يمزج ببراعة الطيبة والسذاجة الزائفة المعهودتين لدى الفلاح .. بالسباب والغضب في خطبه التي كانت تثير الحقد ، وتارة تجتذب الإعجاب !!

وبينما كان عبدالناصر يتمتع « بهيبة » ، استخدم السادات « سحره » ، وكان السادات يعرف كيف يضع سياسته في موضعها معولاً على سحر وسائل الإعلام ، وكان وهو الصحفي السابق ـ مؤسس جريدة الجمهورية ـ قد ادرك منذ فترة طويلة مدى قوة الشاشة الصغيرة وثقل المقالات الافتتاحية ..

وكان ودوداً سمحاً ، انيقاً وبشوشاً ضاحكاً ، وهب من السحر ما يمكنه من أسر محدثيه ، وكان لديه ولع دفين بالمظهرية والتصوير ويحب الجمهور والصحفيين ، فكان يمزجه امتزاجاً لا مثيل له بعادة الكتمان المتاصلة فيه ليحول سياسته إلى سلسلة من الأحداث المسرحية الصاخبة .

لقد عمل السادات في مهن مختلفة من تاجر إلى صحفي إلى سائق ، بل إنه حاول دون جدوى أن يعمل بالمسرح قبل أن يجد في النهاية اكبر الأدوار التي تتناسب وطموحاته !!

وقالها احد المقربين له « كان حقاً ممثلاً ولكن مثلما يحدث لأى ممثل كان يحتاج لتصفيق الشعب فلم يكن يرى بعينيه ولكن باذنيه » !!

كان رائعاً ووحيداً ، وهكذا كان يتصرف منتهجاً سياسة الهروب إلى الأمام خاسراً جميع الأوراق الرابحة التي يمتلكها في لعبة ابت ان ترضخ للصورة المثالية التي رسمها لها .

كان يثير الإعجاب باناقته كما لو كان يريد ان يمحو الوقت الذي لم يكن يمتلك فيه كما قال سوى حلة قديمة لا يستطيع تغييرها او حتى إصلاحها » ...

وإذا كان السادات يحب دائماً ان يكون انيق الملبس ، فلم يكن يتافف من ارتداء « جلابية الفلاح » ممسكاً بعصا العمدة في يده مع غليونه الأبدي في ركن من شفتيه ، ولكنه كان بلاشك يحب ايضاً ان يتفاخر بزى المشير المهيب ، وقد غطى صدره بجميع اوسمة الجمهورية » ...

ويقول « محمد المصمودى » وزير الخارجية التونسى فى كتابه « العرب فى العاصفة » ...: .

كان « عبدالناصر » غواصاً ، اما « السادات » فسباح قصير النفس .. وبمرونة رشيقة كان ماكراً ولبق الحديث ، وكان يعرف كيف يعجب ويسحر .. فهو يملك جميع شيم الخطيب ، ولكن صوته اجوف لا يوحي بالصدق .. وكان يفضل التملق وكان يجد راحته فى الصالونات لا فى المناظرات أو اجتماعات القمة .» ...

رئيس بلا مفاخر ولا امجاد ... هذا هو انور السادات يعتلى توازناً سياسياً هشاً ، ومن ثم فهو ملزم بان يراعي اكبر قدر من الحذر خلال اشهر رئاسته الأولى ، وبان يحرص على امرين هما إشاعة الثقة والسير على نهج عبدالناصر ...(!!) .

□ □

وتتصل الشهادات وتترابط إلى ان اصل لشهادة مذيعة التليفزيون الأمريكية الشهيرة « دورين كايز » كما سجلتها فى كتابها الوثيقة « من قتل السادات » « ضفادع وعقارب » فتقول :

الحق ان قصة السلام التى هزت بدايتها العالم باسره ، كما هزته نهايتها ـ فى عصر الاقمار الصناعية الذى نعيشه كانت دراما تليفزيونية حقيقية كتبها واعدها واخرجها وانتجها وجهز لها نجمها الأول شبكات التليفزيون الأمريكية الثلاث « سى . بى . إس » ، و « إن . بى . سى » ، و « إيه . بى . سى » ، وإذا كنا فى أحيان كثيرة قد تبادلنا الأدوار ، فإن هذا ببساطة كان من اجل تعزيز الحبكة التى حسمت فى النهاية مصير النجم الذى اسند إليه دور البطولة .

لقد كانت بالفعل دراما فيها كل عناصر الدراما الناجحة ، حرب وصلح ، وأكثر من بطل واكثر من شرير ، وعرب ويهود ، وسلطة وسياسة ، وصراع وتضحية ، وشجاعة وجبن ، وأمل وياس ، واخيراً موت ودمار .

ولكن جمهور المتفرجين للأسف لم يتح لهم أن يشاهدو العرض بأكلمه . والواقع أن هذا امر طبيعى فى دنيا التليفزيون . ففى سياق هذه القصة التى استمرت أربع سنوات قطع الإرسال التليفزيونى المعتاد أربع مرات : الأولى مع رحلة السادات إلى إسرائيل فى نوفمبر ١٩٧٧ ، والثانية مع اتفاقيتى كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ ، والثالثة مع توقيع اتفاقية الصلح فى مارس ١٩٧٩ ، والرابعة والأخيرة مع مصرع ودفن السادات فى اكتوبر ١٩٨١ . وفيما بين هذه الأحداث التاريخية الأربعة كان الجمهور يشهد بانتظام مئات المشاهد والمناظر واللقطات معظمها إن لم يكن كلها تحت اقصى قدر من تركيز الصورة والأضواء .

إن الذى حدث هو أن قصة « سلام السادات » ،مثلها مثل كثير من الأحداث المؤثرة على الصعيد الدولى كانت منذ اللحظة الأولى ضحية للتناقض المعهود فى الأنباء التليفزيونية ، إلا وهو المبالغة الإعلامية المفرطة من ناحية والصورة ذات البعد الواحد من الناحية الأخرى .

فعلى مدى أربع سنوات ، كان بطل القصة الذى يقدمه التليفزيون الأمريكى لجمهوره هو أنور السادات . الرئيس المصرى الشهم ، والزعيم الذى فعل ما لم يجرؤ عليه أى عربى آخر ، والبطل الشجاع الساحر الجذاب الأنيق الذى حصل على جائزة نوبل للسلام ويحظى بحب والتفات معظم العالم المعاصر ، والداعية الفذ الذى محا بمجهوده وحده صورة العربى القبيح من أذهان الأمريكيين ، والذى نجح فى كسر الحاجز النفسى بين العرب واليهود . وأخيراً . فإن هذا الرجل الذى وصفه هنرى كيسنجر بقوله : « إنه أعظم رجل دولة على الأرض منذ بسمارك » لقى حتفه على يد جماعة من الشباب المتهوسين دينياً . فبكته الملايين .

نعم لقد تم توقيع معاهدة صلح ، وجرى منح الجوائز ، ولكن الحياة مضت فى طريقها على نفس المنوال ، كما كانت دائماً فى أرض الضفدعة والعقرب ، حيث استمر الظلم والحقد وانعدام الثقة والقنابل والرصاص والموت .. بل إن « صانع السلام » نفسه ، أنور السادات لم يلبث بعد أربع سنوات من « مهمته المقدسة » أن لقى حتفه صريعاً وسط بركة من الدماء .. لتكتمل بذلك القصة التقليدية للشرق الأوسط على شكل مأساة أغريقية وأوبرا هزلية فى وقت واحد .

□□

ولم تكن الشهادة السابقة كلها سوى محاولة للاقتراب من شخصية السادات ، وعالمه المثير للحيرة والجدل !!

تعددت الشهادات وتنوعت وتصادمت واختلفت واتفقت ، لكنها فى نهاية الأمر حاولت أن تمسك بتلابيب مفردات السادات السياسية والنفسية وفهمه الخاص للعالم من حوله !!

وكانت « المبادرة » بكل تداعياتها وأسرارها « خبطة العمر » للسادات وقبلها بالطبع كانت حرب ١٩٧٣ « ضربة العمر » !

لقد حاول الكاتب الكبير « لطفى الخولى » أن يقدم تفسيراً لسلوك السادات السياسى عبر سلسلة من المقالات أسماها « مدرسة السادات السياسية » .

المفاجأة . الدهشة . الصدمة . ثلاثة كلمات تلخص سمات السلوك السياسى للسادات .

وزيارة السادات للقدس كانت بكل المعايير : مفاجأة ، ودهشة ، وصدمة .

وطوال سنوات وأمر « المبادرة » يستولى على تفكيرى وفكرى .. لقد سبق السادات عصره وزمنه بهذا التفكير الذى لا يتفق مع المنطق السياسى السائد !!

لكن الواقع يقول إن كثير من الأشياء التى لا تتفق مع المنطق بل وتتصادم معه .. قد تصبح من بديهيات الحياة فيما بعد !!

من كان يتصور منذ سنوات قليلة اننا سنصحو من النوم لنشهد وفاة النظرية الماركسية واختفاء الاتحاد السوفيتي من العالم ، وتفكك وانهيار كل ما كان يعرف باسم « الدول الاشتراكية » ..

لكنه حدث بالفعل !!

من كان يتصور انه سياتي اليوم الذى يصافح فيه « ابو عمار » رابين .. ويتبادلان السلام وكلمات الترحيب الحارة ؟!!

لكنه حدث بالفعل ؟!

فى خريف ١٩٧٧ لم يفهم السادات احد !! ولم يصدقه احد ، لكن ربما كان السادات يرى ما لا يراه الآخرون ويشعر بما لا يشعر به الآخرون ..

لكن الآن ثبت ان السادات كان سابقا لعصره ـ وليغضب من يغضب ـ

ويوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر بدات خيوط « المبادرة » تتشكل فى عقلى لمشروع تحقيق صحفى طويل ـ ولن اسميه كتاباً ـ .

ووجدت نفسى أعود لأوراق ومذكرات وصحف ومجلات وكتب تلك الفترة وما بعدها !! من عايشوا الحدث بالاتفاق او الاختلاف بالهجوم أو بالدفاع ، من لعنوا السادات وايامه او مجدوا السادات وسنينه !!

ووجدت عشرات الشخصيات تطفو وتسبح فوق سطح الورق وتدلى بشهاداتها فيما جرى : مصريين وعرباً واجانب ، رؤساء وملوكاً ، اصحاب قلم .. واصحاب رأى !!

شاه إيران ، الحسن الثانى ، الملك خالد ، حافظ الأسد ، شاوشيسكو ، كارتر ، كيسنجر ، أحمد بهاء الدين ، چيهان السادات ، حافظ إسماعيل ، مناحم بيجين ، عايزر وإيزمان ، انيس منصور ، موسى صبرى ، حسن التهامى ، موشى ديان ، محمد حسنين هيكل ، نزار قبانى ، إسماعيل فهمى ، جمال منصور ، عبد الحليم خدام ، عثمان احمد عثمان ، اسامة الباز ، وغيرهم .

وليست الصفحات القادمة دفاعاً أو هجوماً عن المبادرة ، لكنها محاولة جديدة لمعرفة اسرار ما جرى !

محاولة تاتى فى مناخ جديد ، وظروف جديدة ومتغيرات جديدة .. ابرز واهم مافيها هو ذلك الحضور المتجدد للسادات !

واكرر ما اظن انه صحيح ـ ان مشوار القارىء الكريم مع كل الصفحات القادمة ليست اكثر من رحلة سياسية وتاريخية عبر تحقيق صحفى مهما طالت صفحاته فهو ليس « بالكتاب » .

إنه تحقيق صحفى ـ رغم صدوره فى كتاب ـ حاولت فيه ان اعيد قراءة التاريخ لا كتابته .

فكتابة التاريخ « صنعة » لها ابناؤها ، اما قراءة « التاريخ » فهو هواية ولا اظن ان « مزاولة هواية » تحتاج لرخصة او إذناً من احد !! مهما كان هذا « الأحد » !!

واخيراً اكرر شكرى وامتنانى وتقديرى لاصدقاء لا حصر لهم ساهموا بالنصح والمشورة .

اما الزميل الصديق « محمد عبد النور » صاحب « سوزانا للنشر » فله شكر وتقدير ومحبة لا حدود لهما . صديقاً وناشراً جريئاً متحمساً .

لكن صديقى القارىء الذى يطوقنى بكل هذا الحب والود والتقدير فمن اعماق قلبى أدين له بكل هذه الكتب التى اصدرتها حتى الآن ، ولاقت تقديره واحترامه ؟

رشاد كامل

أغسطـــــس ١٩٩٤

١

ذهول عالمي: وزلة لسان السادات!

لم يصدق السادات أحد !!

وكانت اسرائيل هي أكثر من دفع ثمن عدم تصديق مايقوله السادات !

لقد دفعت إسرائيل - وبعض الأطراف العربية - ثمنا غالياً للاستخفاف بكلام السادات وما كان يصدر عنه من تصريحات وبيانات بل وتهديدات !!

كانت اسرائيل وقادتها وأجهزة مخابراتها قد استراحت تماما لتلك الصورة النمطية التي رسمتها وكونتها وصدقتها عن شخصية الرئيس السادات !!

ولم تتعلم اسرائيل درس مفاجأة السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، وكذلك من مفاجأة التاسع من نوفمبر ١٩٧٧ ، في المرة الأولى باغتهم السادات " بالحرب " وانتصر وفي الثانية باغتهم " بالسلام " وأنتصر أيضا!

ورغم مرور ١٧ سنه على مبادرة السادات بالذهاب إلى القدس فلا تزال أحداثها واسرارها وخلفياتها مثيره للجدل والدهشة والحيرة أيضاً ، ليس هنا فقط بل في إسرائيل نفسها !!

□ □

الذين رأوا "السادات " يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ لم يتخيلوا أبداً أو يتوقعوا مفاجأة العصر التي سيعلن عنها في خطابه بمناسبه إفتتاح مجلس الشعب ، وحسب ما قالت السيدة جيهان السادات فيما بعد " لاحظت أن وجهه يبدو عليه الصفاء والهدوء

وسألته : هل نمت جيداً ، قال السادات : جداً .

ودعاها السادات لتناول الافطار معه كعادتهما لكنها اعتذرت وقالت :

- لدى موعد هام مع مجموعة نسائيه ولن أعود إلى البيت حتي وقت متأخر !!

ورد السادات بتهكم (حسب اعتراف جيهان نفسها) :

- دائما أنت هكذا مستعجله ياجيهان ، ليس لدى شئ سوى إلقاء خطاب الجلسه الافتتاحية للبرلمان .

ووصل السادات إلى مجلس الشعب ، وألقي خطابه، وضحك أعضاء مجلس الشعب طويلا وهو يتهكم ويسخر من عصبية الأسرائيلين واهتمامهم المبالغ فيه بالشكليات !!

قال السادات :" كان هنري كيسنجر ، نحن نتفاوض على فض الأشتباك الثاني في سبتمبر ١٩٧٥ يسافر من تل أبيب إلى الاسكندرية حيث كنت موجوده ، بيلتقي بي عشان تغيير " كلمة " أو " شكله" (أي فتحة أو كسرة أو ضمة) أو حرف أو جملة ، لدرجة أنه في مرة من هذه المرات قلت له شئ عجيب ، هذا الكلام لايساوي ثمن الوقود اللي أنت بتستهلكه من تل أبيب إلى اسكندرية ، لكن هذا هو شأن الأسرائيليين ."

وصفق الاعضاء وضحكوا على قفشه السادات الذكية والساخره ، وكان واضحاً أن السادات على وشك الانتهاء من خطابه حين أخرج منديله الأبيض وفرده وجفف عرقه ومضي يقول في براءة وتلقائية وفطرية شديدة :

"لا يجب أن يخشى "جينيف " أى عربي أبداً ، أنا جاهز للذهاب إلى جنيف ، بل لا أخفيكم وأنتم ممثلوا الشعب وعلى مسمع من شعبنا وعلى مسمع من أمتنا العربية سمعتموني أقول أنني مستعد أن أسافر إلى أخر هذا العالم إذا كان في هذا ما يحمي أن يجرح من أن يقتل عسكري أو ضابط من أولادي.

وتوقف السادات لحظة وكان الأعضاء قد استحسنوا كلام السادات فألتهبت الأكف بالتصفيق وواصل السادات كلامه فقال :

- أنا أقول مستعد أن أذهب إلى آخر هذا العالم ، وستدهش "اسرائيل" عندما

تسمعني أقول الآن أمامكم أنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم الكنيست ذاته ومنا قشتهم "

انتهي الخطاب وعاد التصفيق من جديد ، وكان لافتاً للانتباه ابتسامة " ياسر عرفات" وتصفيقه المتواصل للسادات في هذا اليوم ، حيث كان حاضراً هذه الجلسة بدعوة خاصة من الرئيس السادات . وفي حوار الرئيس السادات مع " أحمد الجار الله " رئيس تحرير صحيفة " السياسة " الكويتيه المنشور في ٩ ديسمبر ١٩٧٧ قال السادات:

البعض أعتقد أنني أعلنت عن مبادرتي في مجلس الشعب أن هذا الأعلان هو زلة لسان ، أقول لهولاء أن وراء هذا الاعلان تفكير طويل ، كما كان وراءه عدة أشكال من المبادرات حتى وصلت في النهاية إلى ما وصلت إليه ."

كان التفكير الأول - كما يقول السادات - الذي كنت أنوي أن أعمله هو دعوة الخمسة الكبار في مجلس الأمن ودعوة أطراف النزاع والألتقاء في القدس ، والهدف من هذه الدعوة هو ملاحظتي أن مؤتمر جنيف لا يحقق الهدف السريع في نتائجه ، وذلك أن كل طرف عربي له رأي في مؤتمر جنيف حيث تبرز الخلافات العربية وكل يعطي تفسيراً مغايراً للتفسير الآخر واحد يقول دي ورقه أمريكية وأخر يقول دى ورقه أمريكية إسرائيلية وثالث يقول إسرائيلية أمريكية ويبدأ جدل لاطائل منه !!

لقد كنت أريد بلقاء القدس مع الخمسة الكبار اختصار الوقت طالما نحن نهدف إلى السلام ، بلقاء القدس كنا نريد أن نذهب إلى جينيف للموافقه أو لترتيب النقطتين الأساسيتين :

الانسحاب من الأراضي المحتله في ١٩٦٧ .

وايجاد حل للقضية الفلسطينية .

لا أريد تلك المماطلة في الإجراءات ، نريد الوصول إلى لب القضيه هكذا كنت أفكر وهو تفكير يدعمه أن الخمسة الكبار في مجلس الأمن أصدقاء شخصيين لي في هذه المرحلة التاريخية لقد كنت أريد أن أختصر الأجراءات التي قد تستمر سنوات طويلة

وهو ما تهدف إليه إسرائيل ، مع رغبه تدفعها أمنية أن أصلي في المسجد الأقصي هذا العيد !

لقد كانت المبادره ستسير على هذا الشكل لولا ضيق الوقت حيث إلحاح الرغبة الشخصية للصلاة في القدس من ناحية والخشية من أن الخمسة الكبار قد يعتذرون عن الحضور لضيق الوقت أيضاً أو قد يطلبون إعطاءهم وقتاً أكبر مع قناعتى الشخصية بأنهم كلهم سيحضرون غدا " بريجنيف" الذي لم أكن متأكداً من حضورة للعلاقات الراهنة بين مصر وبين الاتحاد السوفيتي !!

هنا أعلنت عن مبادرتي للذهاب شخصياً ، وهي مبادرة كما قلت مدروسة ومدروسه بحق ."

وأثناء وجود السادات في القدس (٢١ نوفبر ١٩٧٧) واثناء المؤتمر الصحفي العالمي كان سؤال أحد الصحفين للرئيس السادات هو : كيف توصلت إلى فكرة الزيارة ومن هم الزعماء من دول العالم الذين شجعوا سيادتكم على اتخاذ هذه المبادرة الجرئية للسلام أو متى اتخذت هذا القرار ؟!

وقال السادات : أن فكرة المبادرة بدأت قبل أن أبدأ رحلتي الأخيرة لرومانيا وإيران والمملكة العربية السعودية ولم أناقشها مع أحد سوى وزير خارجيتي وبالتأكيد مع مجلس الأمن القومي في مصر . أن الموقف بأكمله كان يحتاج إلى عمل . وعملية السلام تحتاج مرة ثانية إلى قوة الدفع وهذه الدوافع وراء هذه المبادرة ."

□ □

الواقع أن الرئيس السادات كان يجد متعة كبري وسعادة غامرة عندما يسأله أحدهم سواء هنا أو في الخارج عن كيف ومتى جاءت فكرة الذهاب إلى القدس .

ويروى أنيس منصور قائلا :

" على مائدة العشاء في حيفا جلست مع السيد حسن التهامي " والسيد " موشى ديان وزوجته ، وأقترب منى موشى ديان ليسألني : لابد أن أسأل الرئيس السادات لماذا قرر أن يزور القدس ؟! أنني في حيرة من أمر هذا الرجل !!

وعندما ألتقى موشى ديان بالرئيس السادات في الأسماعيلية سمعته يقول :

سيادة الرئيس أريد أن أعرف منك لماذا وكيف ومتى قررت أن تزور القدس ؟!

وكان الرئيس السادات يسعد بهذا السؤال ، ومصدر سعادة الرئيس أن ديان يعرف كل مقدمات الزيادة ، والكثير من الأسباب التي أدت إلى ذلك . ولكن يبدو أنه لا يجد هذه الأسباب تكفي لأن يقوم الرئيس السادات بهذه المبادرة . ولم يكن ديان يريد أن يقول للرئيس السادات أن هذه الزيارة جاءت جاءت هي الآخرى ، مثل حرب أكتوبر مفاجأه كاملة للحسابات السياسية ، وإنما فقط يريد أن يعرف : ماهي الأسباب المباشرة التي جعلت الرئيس السادات يقرر فوراً أن يذهب إلى القدس ؟!

ويؤكد أنيس منصور قائلا :

وكان الرئيس السادات يجد متعه أخرى في أن يقول : لا أعرف بالضبط ؟! ولكن وجدت في لحظة ما إنه " الأن وإلا فلا

◘ ◘

لقد ظل موشى ديان لفترة طويلة حائراً في تفسير هذه المبادرة ؟! كيف .. ولماذا ؟!

يعترف ديان ببساطة قائلا :" كنت أكثر تحفظاً بالنسبة للزيارة ، وكنت أشعر أنه لا بد من إمعان الفكر في الهدف من زيادة السادات الذي كان يهتم بعد حرب يوم العبور بالسلام وأعتقدت أن زيارته المزمعة للقدس تتمشى مع هذا الهدف ، غير أن السؤال الذي كان يلح على هو ما الذي ينتظره السادات في مقابل ذلك ."وسرعان ما يعود ديان لتساؤلاته الحائرة فيقول :

ما الذي دفع السادات في الواقع إلى الأقدام على اتخاذ هذه الخطوة الجريئة بالذهاب إلى القدس ؟! سؤال فكرت طويلا في طرحة على السادات نفسه ولم يكن بوسعى أن أفعل ذلك أثناء الزيارة فلم يكن وقته ليسمح بذلك ، كما أنني لم أجد الفرصة المناسبة ولا الظروف المواتية للاقدام على ذلك . لم أكف عن التفكير في هذا الأمر خلال المناسبات العديدة التي رأيته فيها بعد ذلك . في كامب ديفيد ، وفي اسرائيل مرة أخرى حتى عندما كنا بمفردنا ، فلا بد من أن أكون في أحسن حالاتي إذا ما تلقيت الرد الصريح الذي أتطلع إليه ، وقد تحقق لي ذلك بعد عام ونصف العام في حديث دار بيننا في الأسماعلية في الرابع من يونيو ١٩٧٩ بعد

توقيع معاهدة السلام بين بلدينا."

كان حاضراً في هذا اللقاء نائب الرئيس " حسنى مبارك " ود . بطرس غالي ، في البداية كان الحديث عن المشاكل التي يواجهها رئيس الوزراء الأسرائيلي " بيجين " داخل حزب حيروت " وقال السادات : أنه لا يشك في تغلب بيجين على مناوئيه ، لما يتمتع به من شخصية حاسمة وشجاعة "

واعترف السادات لديان على مسمع من مبارك ود . غالي أنه كان يرتاب في بداية الأمر في إستعداد بيجين لاجراء مفاوضات سلام مع مصر ، غير أنه خلال زيارته لرومانيا أبلغه الرئيس " شاوشيسكو" أن بيجين رجل قوي . والآن أدركت أنه كان علي صواب فيما قال : فبيجين رجل شجاع حقاً .

◘ ◘

ثم تصل بنا مذكرات ديان إلى السؤال اللغز فقد قال للسادات أن زيارته تنطوى على أهمية بالغة ، ولولاها لما تسني ابرام معاهدة سلام ، فما الذي دفعكم إلى الذهاب إلي القدس ؟

ومضت شهادة ديان على النحو التالي وحسبما كتب بنفسه :

"لم يتهرب السادات من الرد على السؤال ، وأنما بدت عليه السعادة وهو يتحدث في هذا الموضوع ." تعرف ياموشي ، عندما إجتمعت بشاوشيسكو طرحت عليه سؤالين :

- هل بيجين من القوة بحيث يتخذ قرارات جريئة ؟! وهل هو جاد في ذلك ؟

وكان رد الرئيس الروماني على السؤالين بالايجاب ، قال لي أنه تحدث مع بيجين ست ساعات ، خلص بعدها إلي أنه رجل قوي وجاد أيضاً.

وسأل ديان السادات : ومتى طرأت لكم فكرة زيادة القدس الأول مرة؟

فقال السادات عندما كنت في طريقي لزيارة شاه ايران ، طرأت لى هذه الفكرة فجأة أثناء تحليق الطائرة فوق تركيا في الطريق إلى طهران . كنت أبحث عن شئ شبيه بالصدمات الكهربائيه الموجبة ، وكان أول ما تبادر إلى ذهني يعتبر أمراً مختلفاً أفكر في الأتصال بالأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم

المتحدة، ممثلى الدول الخمس الكبري الذين يحق لهم استخدام الفيتو ، واقترح عليهم القيام بزيارة القدس . أقول لك في صراحة ، كنت أري أنه نظراً لتأكيد أبناء عمومتنا الأسرائيليين دائما على مشكلة الأمن ، فإن ممثلي الدول الخمس الكبري عندما يجلسون ويتشاورون طيلة أربع وعشرين ساعة ، سيتوصلون لا محالة إلى حل بعد ذلك ، يمكن به لمصر واسرائيل مواصلة الطريق.

ويمضي الرئيس السادات في سرد باقي القصة فيقول :

" وسافرت كما تعلم ياموشى ، من إيران إلى العربية السعودية ، وهناك وفي الطريق من الرياض إلى القاهرة ، غيرت رأي ، فكرت في أن الدول الخمس الكبرى ربما لا تحقق ما أنتظره منها ، ثم أن فشلها يعني العمل على تفاقم الموقف، لذا قررت الذهاب بنفسي إلى اسرائيل . غضب السعوديون من جراء ذلك ، لانني لم أطلعهم على ما أعتزمته في ذلك الحين من زيارة القدس ، وليس لهم الحق في ذلك، لأنني لم أتخذ القرار إلا بعد أن غادرت السعودية ، وعندما كنت معهم لم تكن الفكرة قد خطرت ببالي ."

أما السبب الرئيسي الذي يكمن وراء إتخاذي لهذا القرار فهو الذي حدثتك عنه ، قلت لنفسي : أن إسرائيل لديها مشكلات أمنية ، تحتمي خلفها ، وتطالب باجراء مفاوضات وجهاً لوجه ، حسناً جداً سأذهب بنفسي ، أجتمع بهم مباشرة وعلي إنفراد، أنا واسرائيل ."وفيما بعد قال السادات لموشى ديان :

"عندما اختارك بيجين وزيراً فرحت وقلت أنت الرجل الذي سوف يحقق السلام ، لأنك وعيت تماماً درس حرب أكتوبر !!

▫ ▫

وعن هذه الفكره كتب " موسى صبري " يقول

" في اليوم التالي لإقامة السادات في رومانيا استدعي "اسماعيل فهمي" للقائه في الساعة التاسعة من المساء .

وقال له السادات : عندي فكرة ربما تبدو لك غريبة ولكنني أعتقد إنها ستحرك الموقف الميت الجامد ! مارأيك في أن اذهب إلى الإسرائيليين في عقر دارهم وأعلن

شروطنا للسلام؟! وأصيب اسماعيل فهمي بالذهول وهو يسأل الرئيس :

- تروح فين ياريس ؟ اسرائيل ؟!

وقال السادات : ولم لا ... احنا منتصرين ، ومعندناش عقد ، ولن نتنازل عن أي حق عربي ولكنني بذلك أضعهم في موقف محرج أمام العالم كله ، ولن يستطيعوا التملص من فكرة السلام .

وسأل اسماعيل فهمي للمرة الثانية ولا يزال في حالة ذهوله :

- سيادتك بتتكلم جد ياريس ؟!

وأكد الرئيس بنعم !!

ثم قال : وعلى أي حال الفكرة قابلة للنقاش ...فكر معي .. وأعطني رأيك ؟!

وعاد اسماعيل فهمي إلى مقره - كما يقول موسى صبري - وكان " أسامة الباز " في إنتظاره ومعه " محمد البرادعي " المستشار بالخارجية وقال لهما اسماعيل فهمي:

- تصوروا الرجل عنده فكرة حشاشي وباين إنه واخدها جد .. ؟!

وروى " اسماعيل فهمي " لهما ما سمعه من الرئيس ، وهو يؤكد رفضه للفكرة تماماً ، وكانت وجهة نظر " اسامة الباز" هي مناقشة الفكرة ايجابياً بعيوبها ومزاياها وإذا انتهينا إلى رفضها فعلينا أن نقدم بديلا .. لتحريك الموقف .

وخرجوا بعد النقاش الطويل بالبديل ، وهو أن يدعو الرئيس إلى مؤتمر قمة ، يشترك فيه الرؤساء الخمسة للدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن (أمريكا - انجلترا - فرنسا - الاتحاد السوفييتي - الصين) ومعهم أطراف المشكلة : إسرائيل - الملك حسن ، عرفات ، سوريا ، لبنان ، على أن ينعقد المؤتمر في مدينة القدس ، في مبنى الأمم المتحدة بها وتحت علمها ، فإذا طرحنا الدعوة فلا بد أن ترد إسرائيل وستكون في موقف الدفاع .. وإذا رفضت الدعوة فسيكون ذلك إحراجاً لها واسقاطاً لدعاويها أمام العالم .

وتوجه اسماعيل فهمي " - كما يقول موسى صبري - إلى لقاء السادات وعرض هذا البديل ووافق السادات ، وقال أنه يشك في أن يتم عقد مثل هذا المؤتمر ..لكن لا

بأس ..أي نتيجة يمكن أن تعطي دفعه لجهود الحل ."

وقال السادات إنه يجب إخطار امريكا بذلك حتى لا نفاجئهم ، وطلب السادات إعداد خطاب منه إلى الرئيس كارتر، وأعد "أسامة الباز" الخطاب وعرضه على السادات الذي أجرى تعديلا في بعض عباراته ، ثم توجه إلى بوخارست حيث قابل السفير الأمريكي وطلب منه إرسال هذه الرسالة العاجلة جداً إلى الرئيس كارتر " مع مبعوث خاص ، وفعلا سافر بها عضو من السفارة الأمريكية ،وبعد مغادرة السادات لرومانيا تلقي الرد العاجل من كارتر وفيه يلح في الرجاء بالعدول عن هذه الدعوة، وكانت وجهة نظر الرئيس الأمريكي أن هذه الدعوة ستحدث إرتباكاً في كل الجهود التي تبذلها امريكا لعقد مؤتمر جينف ، كما أن كثرة الأقتراحات ستمنع الرئيس الأمريكي من التركيز على خط واحد ، وطلب كارتر من السادات في ختام رسالته أن يعطيه فرصة أخرى لمحاولة إستئناف مؤتمر جينف .

ثم يؤكد " موسى صبري " على حد قوله وبدأ السادات يزداد إقتناعاً بفكرة زيارة إسرائيل ."

▫ ▫

واقترب بكم من شهادة "اسماعيل فهمي " وزير الخارجية السابق والتي سجلها كاملة في مذكراته "التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط " فيقول :

كنا في قصر الضيافة في " سيناء " عندما بدأ الريس السادات وهو مازال في ملابس النوم يناقشني هذه الفكرة ولم نكن نطير فوق تركيا متجهين إلى ايران أو نعبر الجبال كما قال السادات .وقد تكشف الحادث الذي وقع في بيت الضيافة في سيناء على النحو التالي :

عندما إنتهى الرئيس السادات من إخباري عن محادثاته مع الرئيس شاوشيسكو وخطة بيجين المزعومة بخريطتها الوقحة ،أعلن فجأة قائلا :" أود أن أعرف ما رأيك في رحلة خاصة إلى القدس والقاء خطبة في الكنيست " وهنا لا بد أن إعترف بأنني أخذت على غرة ، غير أن معرفتي بالرئيس السادات معرفة جيدة جعلتني اسأل " وما الغرض من هذه الرحلة ؟! "فأجابني السادات "لا شئ إلا الذهاب فقط

إلى القدس والقاء خطاب ثم العوده.."وبالرغم من تمحيصي للأمر فإنه لم يستطيع أن يقدم أي معلومات محددة تظهر عرضا إسرائيليا جادا للسلام يبرر هذه المبادرة .

ولما لم يكن هناك أي تفسير مقنع فقد أجبت قائلا :"هل الغرض من زيارتك للقدس هو القيام بعمل إعلامي ضخم ؟ ثم أضفت قائلا :"لو أن هذا هوالغرض فإنك لا شك ستحصل على دعاية من الدرجة الأولى خاصة في أوربا الغربية ولاسيما في الولايات المتحدة حيث تأثير الإسرائيليين على وسائل الإعلام عظيم .لم يسعد السادات بردي هذا واستمر يهمهم "حركات إعلامية "!" حركات إعلامية ! "ثم تساءل :" ماذا تعني في الحقيقة بقولك حركات إعلامية ؟.فأجبت قائلا : إن ما أعنيه بالتحديد : أن لنجاح هذه الزيارة سيكون عظيما حقا من ناحية "الدعاية " في وسائل الإعلام من جرائد وتليفزيون وتصوير ".

وهذأ رد الفعل عنده ولكنه عاد أكثر من مرة يقول "كلا" ! "كلا " ! لم أفكر في الموضوع من هذه الناحية ؛ فأضفت قائلا " سيادة الرئيس أنت لم تخف عني أي شئ . والدليل على ذلك أنك في واشنطن وفي غيرها من الأماكن كنت تكرر لمن يوازيك من الأجانب وعلى أي مستوى "إن ما تعرفة سيادتك يعرفه فهمي " ،هنا ياسيادة الرئيس أود أن أسألك سؤالا بسيطا : هل عندك أي معلومات لا أعرفها تبرر هذه الرحلة ؟" وأكد لي السادات أنه لا يخفي عني أي سر ، وأنه لم يصله أي وعود خاصة ، أو تعهدات من بيجين تبرر هذه المرحلة .

وخلال المناقشة حاولت بصدر رحب تفهم عرض السادات ، كذلك حاولت التأثير عليه بأن رغبتي في السلام لا تقل عن رغبته ، وأضفت :"لست ضد السلام وأنا من أول الأمر كنت أداة مسئولة عن نجاح أول وثاني فك إشتباك في الجبهة المصرية الإسرائيلية بل وكذلك فك الإشتباك في الجبهة الإسرائيلية السورية .. ولا شك أنه واضح الآن ياسيادة الرئيس أننا أنت وأنا - نعمل من أجل السلام ، ، ولكن المسألة هي أي نوع من أنواع السلام وكيف ومتي الوصول إليه "

وهنا ذكرت السادات بأنه ليس لدينا إلا كارتان نلعب بهما !!أحدهما الإعتراف بإسرائيل والثاني إنهاء حالة الحرب ،وبما أن إسرائيل تتفوق على مصر وغيرها من البلاد العربية من الناحية العسكرية فإننا لن نستطيع أن نهدف إلى إنتصار

عسكري .فوافقني ، وهنا أضفت قائلا : لو أنا ركبنا طائرة وذهبنا بها إلى القدس ؛ فهذا عمل ينطوي تلقائيا على الإعتراف بإسرائيل وإنهاء حالة الحرب ..

فنحن نلعب بكارتين أساسيين في السياسة دون أن نجني أي شئ ، فالمكسب كله يعود لمصلحة إسرائيل ، كما تتضاعف قوتهم في المساومة ، كذلك فإننا سنثير ثائرة العرب والفلسطينيين ، كما أننا لن نستطيع التقهقر إذا ما ذهبنا إلى القدس، ولن يكون هناك مجال لنكث العهد ياسيادة الرئيس ، بل إننا سنكون في مركز حرج يمنعنا من المناورة ،لنكره إسرائيل على الوصول إلى حل شامل ".

إستمع إلى السادات بيقظة وبكل أناة وصبر ولكنه كان متوترا وعندما حضر فجأة جمال، إبنه الوحيد ، إلى الغرفة ونحن على إنفراد : صرخ فيه غاضباً وطلب منه الخروج من الغرفة .. ثم أجاب الرئيس : بأنه يوافقني تمام الموافقه ، غير أنه يعتقد أن رأيه هذا قد يفضح نوايا إسرائيل الحقيقة . أجبته قائلا :

"ولكن هذا في رأيي لا يمكن أن يؤسس هدفا أساسيا ، كما أنه لن يؤدي إلى السلام الذي نعمل جميعا من أجله .. حقايا سيادة الرئيس : إن زيارتك هذه قد تحرج إسرائيل أمام الرأي العام العالمي ، ولكن لفترة محدودة .. لذلك فتأثير هذه الزيارة سيتلاشي تدريجيا مالم نضطر إلى توقيع معاهدة سلام منفصلة وبشروط إسرائيلية خاصة محدده بمشكلة سيناء " .

وهنا تناقشت في أنه لو كان هدف الذهاب إلى القدس هو عودة سيناء .. فهذا أمر غير ضروري فسيناء لم تكن ولن تكون مشكلة أبدا .. فالإسرائيليون يعرفون تمام المعرفة أنه لن يكون هناك سلام في المنطقة ما لم ينسحبوا تماما من هذه الأمكنة . كما أن ثلاث إدارات أمريكية متتالية تعلم هذه الحقيقة ، والدليل على ذلك أن المسودة الأمريكية لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل إشترطت بوضوح إنسحاب القوات الإسرائيلية من شبه الجزيرة بأكملها إلى الحدود الدولية التي تفصل بين مصر وفلسطين عندما كانت الأخيرة تحت الإنتداب البريطاني .

وعلى ذلك ياسيادة الرئيس : فسيناء لم تكن ولن تكون في يوم ما مشكلة ، والآن إذا كان ذهابك إلى القدس مبعثة أسباب أخرى ، مثل الوضع الاقتصادي الحالي ، فلا بد بأن نتصرف بشكل مختلف ، لا عن طريق زيارة بسيطة إلى القدس

..فالزمن وإجراءات خاصة وملموسة هي التي تصلح من الظروف الاقتصادية لأي دولة ياسيادة الرئيس . ومن هذه الناحية فإننا في حاجة إلى إجراءات داخلية كما نحتاج إلى معاونة دول الخليج والولايات المتحدة والقوى الغربية "

لم يختلف معي السادات حول هذه النقط .. وهنا حاولت إقناعه مرة أخرى أنه من غير المستحب الذهاب إلى القدس .

صدقني ياسيادة الرئيس :" إنني لست ضد مقابلتك مع بيجين ، فأنا على أتم الإستعداد لأن أرتب مقابلة في واشنجتون أو جنيف أو حتى تدعوه إلى القاهرة ، أما الذهاب إلى القدس فهو شئ مختلف تماماً .. فأنت تلعب بجميع أوراقك بالذهاب إلى القدس ، دون أن تجني شيئاً ، كما أنك ستفقد مساندة البلاد العربية، بل إن ذهابك سيشهر بك على نحو عنيف لم يسبق له مثيل .. كذلك لن تستطيع الولايات المتحدة أن تفعل أي شئ إذا ما ذهبت إلى القدس ، ولا شك أنك ستُجبر على بعض التنازلات الأساسية لأول مرة في حياتك .. وأنت تعلم هذا تمام العلم ، ولهذا فإنك لم تخبر الرئيس كارتر عن فكرتك الجديدة هذه . ويمضي " اسماعيل فهمي " في شهادته فيقول :

ومرة أخرى لم يتناقش معي السادات ولكنه اكتفي بالاستماع إلى .. وهنا حاولت إقناعه بأن مقابلة بيجين خارج إسرائيل ستكون شيئا مختلفا .. على السادات أن يتحدى بيجين لكي يتقدم الأخير ببرنامج سلام ، ويمكننا إذا فشل أو تردد أن نكشفه أمام الرأي العام العالمي .. وهنا يستطيع أن يفضح بيجين في مؤتمر صحفي عالمي وأن يتصل برؤساء الدول العربية شخصيا لإخبارهم بالحدث .

ولو أنك إتبعت هذا الطريق فإنك ستتحدى بيجين ولن تفقد شيئا .. بل الواقع أنك ستجني ثمارا عظيمة عندما تبرهن عن إستعدادك لتوقيع معاهدة مشرفة ،وتظهر أن بيجين وزملاءه هم العقبة الحقيقية للسلام ، كما أن المسئولية ستقع على الإسرائيليين.(لو أنك اتبعت) ياسيادة الرئيس هذا العرض فإنك ستجنى مساندة الرأي العام العالمي ، كما ستكون لك أيضا الكلمة الأخيرة ، كذلك سيفتح أمامك مجال حرية الإختبار ، وسيكون لديك عدة مواقع ترتد إليها ، ياسيادة الرئيس : عليك ألا تخطو خطوة واحدة منفردة تكون في مصلحة إسرائيل أولا وأخيرا لا تعطهم

أي فرصة لعزل مصر عن العالم العربي وإذا ماحدث هذا فإن اسرائيل لا شك ستملي عليك شروطها .

لم يكن هناك أي أمل في تنازلات أساسية من ناحية إسرائيل ردا على حركة السادات المسرحية ، فالإسرائيليون مطلقا . وذكرت السادات بأن إسرائيل الصقت بمسودة السلام التي تعرضها مذكرة سرية تقول فيها : إنهم سيبقون في مرتفعات الجولان ، وأنهم يسمحوا بترك غزة وجوديا وسماريا (الضفة الغربيه) لأي حكم أو سيادة أجنبية وعليه ، فإن رحلة السادات لن تجبرهم على تطوير وجهة نظرهم .

كذلك أشرت إلى أن قراره بالذهاب منفردا إلى القدس ما هو إلا إنتهاك لتعهداته للبلاد العربية وتأكيده للشعب المصري أنه يساند معاهدة سلام شاملة مبنية على إعادة جميع الحقوق الفلسطينية .. وكثيرا ما أعاد السادات تأكيده بالنسبة لجميع هذه الإلتزامات في عرضه للسلام .

ومرة أخرى لم يتناقش معى ، فشجعنى هذا ، وقررت أن أقترح خطة بديلة وأنا أعرف تماما المعرفة أن لا يجب رفضي لأي فكره بصراحة ، فاقترحت الآتي : عوضا عن الذهاب إلى القدس ؛

عليه أن يدعو رسميا إلى مؤتمر قمة دولي يحضره أولاً : رؤساء الدول الخمس ، وهم الأعضاء الدائمون لمجلس الأمن .

ثانياً : رؤساء دول المواجهة ومعهم ياسر عرفات

ثالثاً : سكرتير عام الأمم المتحدة .

ويتقابل الجميع في القدس الشرقية ليومين أو ثلاثة لوضع فلسفة أساسية لمعاهدة سلام للشرق الأوسط ، على شكل خطة رئيسية تحدد جميع النتائج الهامة والحل الأساسي لها ، ينفض هذا المؤتمر موصيا بأن يكمل مؤتمر جنيف العمل للسلام ، ويستمر الأعضاء في جنيف في مفاوضات لمعاهدة السلام وتفاصيلها حتى تسوى جميع خلافاتهم على أساس خطة رئيسية يتبناها مؤتمر القمة المقترح .وأضفت أن هذا الإجتماع الهام سيضطر إسرائيل أن تلتزم بالقوانين الدولية ، كما أنها تضمن تلقائيا لإسرائيل وغيرهامن الدول ضمانا دائما من أعضاء مجلس الأمن .. واستمع

الرئيس السادات بكل إنتباه إلى عرضي المخالف لعرضه هذا ، وبدأ كانه مسرور جدا ، كما وافق على جميع التفصيلات.

وهنا قلت إنني سأكتب هذا المشروع على مسودة على هيئة رسالة من الرئيس إلى الأطراف المعنية على أن نرسلها في نفس الوقت إلى كل من سيدعي إلى مؤتمر القمة وأوضحت أنه لا بد من إرسال هذه الرسائل إلى المشاركين في المؤتمر في الوقت نفسه حتي تحدث رد فعل مناسب .. ووافق الرئيس السادات على إقتراحي ، وطلب منى أن أجهز له مسودة ، وبدا كأنه قد انصرف عن فكرة الذهاب إلى القدس .

واستمرت المناقشة بيني وبين السادات ما يقرب من ثماني ساعات دون توقف ، ولا حظت أثناء تركي منزل الرئيس والذهاب إلى منزلى أن رجال الصحافة مازالوا في الخارج وهم يتعجبون ويتساءلون " عما يحدث " ، وأمطروني بوابل من الأسئلة غير أنني كنت غير مستعد بطبيعة الحال لأن أنطق حتى ولو بكلمة واحدة .

وفي إستراحتي الخاصة وجدت أسامة الباز مدير مكتبي والدكتور محمد البرادعي وهو مستشار قانوني في وزارة الخارجية ينتظراني بفارغ الصبر ، وبعد أن استرحت قليلا قصصت عليهم شيأ فشيئا ما سمعته من الرئيس السادات ، وما أن انتهيت حتى إنفجر أسامة الباز قائلا : هذا جنون ؛ لا شك أن الرجل غير متزن ...لا بد من منع ذهابه إلى القدس حتى ولو استعملنا القوة . ولم يختلف إعتراض البرادعي بالنسبة لفكرة السادات عن موقف الباز ، ولكنه لم يعبر عن رأيه بنفس العنف ، ثم توجه الدكتور البرادعي فجأه إلى أسامة الباز قائلا ماذا تفعل لو أصر السادات على رأيه ؟! هل تذهب معه ؟! ولكن إجابة الباز كانت واضحة كل الوضوح :" لن أذهب إلى القدس إلا جثه هامدة " ، وبعد فترة وجيزة كشفت لهما عن عرضي المقابل باجتماع مؤتمر قمة في القدس الشرقية ، وأضفت أن الرئيس السادات قبل رأيي ، فاستراح كل من الباز والبرادعي ، غير أنهما إستمرا في التعليق بتشاؤم حول رأي السادات والهدف من ورائه .. وبعد أن هدأت الأمور قليلا ؛ أمليت على الباز مسودة رسالة من الرئيس السادات إلى رؤساء الدول الذين سيدعون إلى قمة القدس الشرقية ، حتي يستطيع الرئيس أن يراها في صباح اليوم التالي . ووافق



الرئيس على ما جاء بها دون تغير ."

▫ ▫

ثم يمضي وزير الخارجية " اسماعيل فهمي" في سرد ما جرى في زيارة الرئيس السادات لايران والسعودية ويعترف بأن أحداً في البلدين لم يعرف شيئا مما دار بين السادات وبيني .. وانتهت الزيارة وعاد الجميع للقاهرة .

بعد ذلك يقول اسماعيل فهمي "في مذكراته :

" وعندما عدنا للقاهرة في ٤ نوفمبر أعطيت التعليمات للباز والبرادعي للبدء في إعداد دعوات الرئيس (السادات) إلى مؤتمر القمة العالمي المنعقد في القدس الشرقية ، وكانت جميع الرسائل مجهزة في هذا اليوم .. واستدعاني الرئيس السادات وكان قد وافق على أهمية ارسال جميع الدعوات في نفس الوقت ، صارخاً عندما رأي الرسالة وقال :

إنه مضطر إلى إخبار صديقه الرئيس " كارتر " قبل الآخرين .

ولكني ناقشته قائلاً : لقد اتفقنا على إرسال جميع الرسائل في نفس الوقت تجنباً للمشاكل .. كما أن أهمية الإقتراح المصرى تكمن في إرسال كل هذه الرسائل في نفس الوقت فأجاب السادات قائلا : كلا ... كلا ... ياإسماعيل إني مضطر إلى إبلاغ صديقي كارتر قبل الآخرين " ، فذكرته بأنه لم يبلغ الرئيس الأمريكي عن فكرته في الذهاب إلى القدس ، وأضفت قائلا : أخشى ياسيادة الرئيس أن يتصور الرئيس كارتر، وهو ما سوف يقوله له زملاؤه :؛أنك تحاول أن تسرق الضوء منه"باقتراحك مبادرة جديدة ، وهكذا سيرفض العرض . ولكن السادات إستمر في صلابته بوجوب أخبار صديقه كارتر أولاً .

وبالرغم من تشككي إلا أنني طلبت من السفير " هرمان ايلتس " أن يزورني في بيتي في نفس الليلة ، وسلمت له رسالة من السادات لكارتر حول إجتماع قمة عالمي ، وعن العرض الذي يجب إرساله إلى كل المشتركين ، وفي الرسالة قال السادات " لقد حاولت تقييم تطور عملية السلام إبتداء من المقابلة الأولى لمؤتمر جنيف إلى جهودك عندما توليت الرياسة ، وأراني مقتنعاً تمام الإقتناع بأن وقتا

وجهودا كثيرة صرفت على مسائل لها طبيعة إجرائية حتى أن هذه المظاهر الإجرائية طغت على " جوهر أساسيات السلام ، وعلى أية حال لو إستمر هذا الوضع دون ردع فإنه يعرض مسار السلام للخطر عن طريق المناقشات اللانهائية حول مسائل إجرائية" .

وللأسباب المتقدمة أود أن أخبرك بأنني شعرت أنه من المحتم التقدم لحركة أساسية عن طريق عرض معادلة جديدة ، والتي أرجو منها أن تختلف منفذا على طريق السلام "

وحدد باقي الخطاب تفصيلات العرض .

ووصلني رد كارتر في اليوم التالي .. وكما كان منتظراً ، فإنه خشى على مجهوداته الشخصية في الدعوة لإجتماع مؤتمر السلام في جنيف في ديسمبر ١٩٧٧ من عرض السادات لمؤتمر قمة عالمي .. وأما رد الرئيس كارتر علي الرئيس السادات فكان على النحو التالي:

"سيدي الرئيس : إن تجاربي الشخصية المحدودة ودراسة التاريخ يدلان على أن مؤتمر قمة عادة ما يكون أفضل لتأكيد الإتفاقات السابقة التي توصلت إليها الدبلوماسية الهادئة بدلاً من محاولة الوصول أثناء انعقادها إلى إتفاقات ، وخاصة إذا كانت وجهة نظر المشتركين متشعبة ومختلفة كما هي في حالة الشروط النهائية للتسوية في الشرق الأوسط .. أعتقد أننا تقدمنا تقدما ملموسا ، ومبادرة جريئة كهذة قد تدل على ترك الإتفاقيات الصعبة والمتبعة التي توصلنا إليها وبعد بداية مؤتمر جنيف نستطيع أن تقوم بعرضك هذا إذا فشل مؤتمر جنيف أو وصل إلي طريق مسدود . أو عجز عن إتمام النجاح .

" لقد طلبت مني ياسيادة الرئيس أن أعلق سرا وبصراحة ، وهذا هو ما فعلته ، وبالروح التي إتسمت بها علاقاتنا الوثيقة والشخصية : إني آمل إلا تقوم بأقترحك هذا ".

وعندما قدم لي إيلتس رد كارتر كان رد الفعل الأول لدى السادات أني أصبت بتنبؤي أن الرئيس الأمريكي سيرى في عرض السادات محاولة لسرقة الضوء منه.

وأقنعت معارضة كارتر السادات بالعدول عن تنفيذ خطته ، وبالتالي لم ترسل دعوات مؤتمر القمة أبدا .. ومرة ثانية تركزت جميع الجهود على إجتماع مؤتمر جنيف .. خلال هذه التحضيرات وقع حادث أثار عندى شكا جديدا حول سياسة كارتر الخارجية وتصرفاته وحول افتقار التعاون بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية .

ووجهة نظر كارتر - كما يذكر - هي أن مسار السلام تحت سيطرته تماما بالنسبة لاتصالاته بجميع الأطراف المعنية ، خاصة وأنه كثيراما طلب من مصر ترك معالجة أمور سوريا والفلسطينيين إلى الولايات المتحدة .. ومهما يكن : فبعد فترة قصيرة من تبادل الخطابات الخاصة بقمة القدس الشرقية وصل السادات خطاب آخر من كارتر وكان الخطاب مكتوبا باليد ومختوما بالختم الرياسي ، وفي رسالته القصيرة ذكر كارتر السادات بوعده بالقيام بكل ما يطلبه الرئيس الأمريكي حتى يساعد مسار السلام ، ثم طلب كارتر في خطابه هذا مساعدة السادات لإقناع المنظمة والسوريين أن يكونوا أكثر إستجابة لمعاودة إنعقاد مؤتمر جنيف ..

أما ما الذي حدث حتى جعل كارتر يغير رأيه ويطلب معاونة السادات "فالأمر بالنسبة لي مازال خفياً ؛ وذلك لأنه لم يحدث أي شئ ملموس يبرز مخاوف كارتر الفجائية حول موقف الاسد والمنظمة .. يضاف إلي ذلك أن خوف كارتر من عدم اجتماع مؤتمر جنيف للمرة الثانية لم تشاركه فيه وزارة الخارجية الامريكية .. فقد وجه وزير الخارجية فانس خطابا إلى جميع وزراء الخارجية العرب المجتمعين في تونس معرباً عن ثقته الكاملة في أن الامور تسير سيراً هادئا نحو جنيف .. غير أنه كان واضحا وجود خطأ ما في واشنجتون ،خاصة في الاتصالات بين البيت الأبيض ووزراء الخارجية .

وقد وصلنا في القاهرة بين الخامس والتاسع من نوفبر ثلاثة خطابات متناقضة من واشنجتون خطاب من كارتر يدل على الثقه في مؤتمر جنيف ويطلب من السادات ألا يدعو لقمة القدس الشرقية ، وخطاب ثان من كارتر يدل على وجود مشاكل بالنسبة للحصول على التزام سوريا والفلسطينيين بمؤتمر جنيف وثالث من فانس يدل دلالة واضحة على أن مؤتمر جنيف في طريقة إلى الانعقاد .

وكانت رسالة كارتر الخطيه هامة من ناحية أخرى .. إذ نوه السادات بأن هناك شيئا غير عادي أو غريباً في هذه الرسالة ؛ليخلق انطباعا على نحو ما بأن هناك صله بينها وبين الذهاب إلى القدس .. كذلك ادعي بأن هذا الخطاب لم يقرأه إنسان آخر إلا هو .. وهذا كله غير صحيح .. فالخطاب لم يحتوي على شئ سوى إلتماس للسادات بأن يؤثر على الأسد والمنظمة .

والسادات بنفسه سلم إليَّ هذا الخطاب ، وقرأته ..

◘ ◘

ويعلق " اسماعيل فهمي " على ما سبق وجاء على لسان " السادات " فيقول :

والمشكله عند الرئيس السادات هي ميله إلى خلق جو درامي وإعطائه أهمية غير عادية .. وكثيراً ما توهم أشياء لم تحدث مطلقاً ثم يلقي بيانات متعارضه تماما مع الحقيقة .. فقد كان هدفه الوحيد إيهام الناس بحدوث ما يقوله متناسيا باستمرار أن هناك أكثر من طرف لكل حدث سياسي دولي ، وأن هناك مستندات أجنبية رسمية لجميع الاتصالات والمعاملات .

ومن بين خيال السادات الجامح إدعاؤه أن رده على خطاب كارتر كان رداً خاصا ، وأنه هو وحده كما كان يقول الذي يعلم محتوياته .. وفي واقع الامر انني "أنا " الذي اعددته له ، وقد قام بنسخه بخط يده ليتمشى مع الأصول الدبلوماسية بأن خطاباً بخط اليد يرد عليه بمخطوط آخر .. والرد الذي أمليته كان تأكيداً بسيطاً بأن السادات سيفعل كل ما في وسعه لينعقد مؤتمر جنيف ... وعندما أتأمل الماضي لابد أن أعترف بأنه مهما حدث ، فالمسودة التي كتبتها قد تكون هي التي أحيت فكرة السادات بالذهاب إلي القدس .. فلمعرفتي بحبه للكلمات القوية اضفت جملة تعني أنه سيتخذ خطوة شجاعة ليساعد مجهودات كارتر .. ولم أكن أتصور أن كلمة "شجاعة" ستضرب على وتر حساس في خلد السادات وتشغل فكرته بالذهاب إلي القدس ، ولكن الحقيقة أن هذا هو ما حدث .

ومهما يكن من أمر ما يدور في ذهنه في ذلك الوقت ، فقد كشف السادات لي عن تصميمه اكثر من ذي قبل على أن يستمر في العمل على موقف عربي موحد

قبل مؤتمر جنيف .. وتناقشنا في هذه الأمور بالتفصيل ؛ إعداداً لاجتماع وزراء خارجية العرب في تونس ، الذي كان سيعقد في الثاني عشر من شهر نوفمبر ١٩٧٧ ، وهوالاجتماع الذي أقلق بال " فانس " ، ودفعه إلى كتابة خطابه حاثا وزراء الخارجية على عدم اتخاذ قرارات تؤدى إلى إعاقة انعقاد موتمر جنيف . وعلى العموم : طوال محادثتنا حول اجتماع وزراء الخارجية كان السادات يصمم علي أن الوقت مناسب لتكوين جبهة استراتيجية مكونة من دول المواجهة ومدعمة بدول الخليج ،وكثيراً ما أكد أن مصر ملتزمة التزاما تاما نحو المنظمة لفلسطينية ،وأن المشكلة الفلسطينية هي لب التسوية للسلام العادل والشامل . وكل ما يريد من اجتماع تونس أن يكون اجتماعا تاريخيا تحت قيادة مصر ، وأوصاني قائلاً :"لابد أن تؤكد على جبهة موحدة ، وأن تكون جميع القرارات أكثر من مجرد ثرثرة .. ولهذا السبب اتفقنا على أن اجتماع القمة العربية الذي سندعو إليه في مؤتمر تونس يجب ألا يتم في تاريخ قريب أو بدون تحضير فلجان على مستوى الوزراء لابد أن تجتمع أولا لتحضير الأسس ، وإننا في حاجة إلى ثلاثة اشهر على الأقل لهذا التحضير . كذلك فأن الغرض من التأخير هو اعطاء القوتين العظميين وقتا كافيا للاجتماع في نهاية شهر ديسمبر كما إتفق عليه .. وللوصول أيضا إلى وحدة عربية كاملة . كذلك وافق السادات أيضا على أن أعقد مؤتمرا صحفيا في تونس لأعلن اعادة العلاقات الديلوماسية مع ليبيا ."

ولإظهار اهمية التزام مصر بموقف عربي موحد قررت بموافقة السادات أن أدعو ياسر عرفات لزيارة القاهرة في التاسع من نوفمبر .. وكان على السادات أن يلقي خطابا هاما في مجلس الشعب..

ولأول مرة دعى عرفات من مجلس الشعب للحضور وقبل الدعوة فأرسلنا إليه طائرة حربية تحملة إلى القاهرة والغريب : كانت هذه المناسبة هي المناسبة التي اختارها السادات ليعلن عن استعداده للذهاب إلى القدس ."

٢

توراة بيجين وغليون السادات !

في يوم وليلة أصبح الرئيس السادات " نجم تليفزيونات وصحافة العالم !

توافد على القاهرة مئات من رجال الاعلام المرئي والمسموع والمكتوب ليتأكدوا أكثر من حقيقة عرض السادات !!

كان الجميع عاجزاً عن تصديق فكرة السادات التي صرح بها عبر جلسة مجلس الشعب!!

جاءت الدنيا كلها إلى السادات ساعية وراجية ومتمنية أن تحصل منه وعلى لسانه ما تصورته أنه أخطر حدث في العصر الحديث !!

توافدت على مصر مئات والآف من رجال الأعلام : صحافة ، إذاعة ، تليفزيون ، لكن السادات كان يستريح أكثر لكاميرات التلفزيون !!

كان السادات عارفا ومدركا وواعيا لنجوميته الطاغية لدى الرأي العام الغربي ، ومن هنا كان حرصه الشديد على لقاء مشاهير المذيعين والمذيعات حيث يتابعهم الملايين في كل الدنيا !

مجلات العالم أعدمت " أغلفتها " المعده سلفاً لتعد أغلفة جديدة ومناسبة لنجم الحدث و أنور السادات !!

ورغم ذلك كله كانت هناك موجة لا حدود لها لا تريد أن تصدق السادات !!

وبالصدفة كان يزور مصر في ذلك الوقت وفد الكونجرس الأمريكي ، وكان من الطبيعي أن تحتل مبادرة السادات بغرابتها وملابساتها على إهتمام أعضاء الوفد بالكامل !!

جرى وقائع الحوار مع السادات يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٧ ، وفي البداية سأل عضو الكونجرس " ندزي " : لقد أبديت إستعدادك للذهاب إلى الكنيست وقال مستر بيجين أنه يرحب بك فمتى يتم ذلك ؟!

وقال السادات : أن ذلك يعتمد على مستر بيجين نفسه ، ففي اليوم الأول كان رد فعله هو إنه على إستعداد أيضا للمجئ إلى القاهرة !

- س : ولكن بيجين يقول إنه مستعد ؟!

- السادات : لم يقل ذلك صراحة ، انني على استعداد للذهاب إلى الكنيست ، بل وعلى إستعداد للبقاء هناك يومان أو ثلاثة لأناقش جميع أعضاء الكنيست في حقوق الأمة العربية ولكنني لا أرى أي موشر لهذا الترحيب !

- س : هل استلمت دعوة رسمية بهذا بهذا الخصوص من مستر بيجين ؟!

- السادات : لا (!!)

- س : هل إقتراحك بالذهاب إلى الكنيست هو مجرد رمز وتعبير عن الرغبة في التوصل إلى السلام أم انك تعني ذهابك حقيقية إلى الكنيست ؟!

- السادات : لقد كنت واضحاً جداً . وعندما أقول أنني ساذهب إلى الكنيست لا يعني ذلك مفاوضات ثنائية بل لقاء عام ينقله التليفزيون والاذاعات إلى كل العالم!"

وساعة بعد ساعة كانت عدسات الدنيا واعلامها عند السادات تتابعه وتلاحقه وتستنطقه المزيد من التفاصيل والمفاجآت !

وحسب ما جاء في كتاب " ضفادع وعقارب من الذي قتل السادات " لمؤلفته " دورين كايز " التي تقول :

" وفي تلك الأثناء بينما كان المراسلون الاجانب في القاهرة قد أخذوا يميزون بين ما

هو عرض حقيقي ، وما هو مجرد إستطراد خطابي وجدوا أنفسهم فجاة متخلفين بواحد من ملتهم هو " والتركرونكيت الذي أمسك بالثور من اذنيه واستطاع أن يجرى حديثين منفصلين في وقت واحد بواسطة الاقمار الصناعية مع كل من السادات وبيجين (!!)

وبدأ الحديث الثلاثي بسؤال من كرونكيت للسادات :

- متى ستذهب إلى اسرائيل ؟!

- السادات : كل ما في الأمر أني انتظر الدعوة المناسبة .

- تعني إنك يجب أن تتلقى دعوة مباشرة من السيد بيجين ، وليس من خلال الصحافة؟!

- السادات : تماما .. تماما !

بعدها ينتقل " كرونكيت " بالكاميرا عن طريق القمر الصناعي إلى تل أبيب ليسأل بيجين متى يمكن أن يبعث للسادات بالدعوة المنتظره فأجاب بيجين :

سوف أطلب خلال هذا الأسبوع من صديقي السفير الأمريكي لدي إسرائيل أن يعرف من زميله السفير الأمريكي بالقاهرة ما إذا كان مستعدا لمنحنا بعض وقته كي ينقل رسالة منى إلى الرئيس السادات ادعوه فيها رسميا وبكل ود " عن طريق الولايات المتحدة للمجئ إلى القدس ."

ومرة أخرى يعود " كرونكيت " إلى السادات ليسأله :

إذا تلقيت هذه الدعوة الرسمية فكم يلزمك من وقتٍ حتى تكون مستعداً للذهاب ؟!

- السادات : في الحقيقة أنا أتطلع للقيام بهذه الزيارة في أسرع وقت ممكن !

- هل يمكن القول بأن هذا يمكن أن يكون في خلال أسبوع !

- السادات : يمكنك أن تقول ذلك .

- حقا ، ولكن هل ستقولون ذلك ؟!

- السادات ، أجل ، ولم لا ، وكما قلت لك في أقرب وقت ممكن ؟

- إذا مضى كل شئ بشكل ميسور ووصلتكم دعوة رسمية في اليوم التالي أو نحو

ذلك من رئيس الوزراء بيجين فهل تذهبون إلى اسرائيل ؟!

السادات : أجل .. أجل .

- وتجتمعون ببيجين .. وباعضاء الكنيست ؟!

- السادات : أجل !!

وعاد " كرونكيت " إلى بيجين يسأله ما إذا كان سيتخذ الخطوات الازمة لتحريك هذه المبادرة السلمية الجديدة من ديالوج بعيد المسافات إلى لقاء شخصي وجهاً لوجه فقال بيجين :

غداً سأذيع بياناً في برلماننا بعد الظهر واعتقد أنني سأتصل بعد هذا البيان على الفور بصديقي العزيز السفير الأمريكي " مستر لويس " لأرى ما يمكن . عمله واستطيع أن أؤكد لك يامستر كرونكيت إننا راغبون حقاً في السلام ،وفي أي يوم يكون (السادات) مستعداً للحضور فأنني سوف استقبله مرحباً في المطار وأصحبه إلى القدس وأيضاً أقدمه إلى الكنيست وأدعه يتحدث إلى برلماننا ، وسأتبعه إلى المنصه وأحييه واستقبله واعتقد أن الأمر الآن متروك للرئيس السادات ليحقق - إذا جاز لي القول - وعده أو يستثمر إستعداده للحضور إلى القدس ."

وسرعان ما صدر بيان المتحدث الرسمي بقبول الدعوة التي وجهها بيجين إلى السادات لزيارة القدس ، وجاءت سطور البيان على النحو التالي :

وافق الرئيس محمد أنور السادات على زيارة القدس ، وسيؤدي الرئيس صلاة عيد الأضحى المبارك في المسجد الأقصى ، وستبدأ الزيارة مساء بعد غد السبت (٩ من ذي الحجه عام ١٣٩٧) الموافق ١٩ من نوفمبر ١٩٧٧ بناء على الرسالة التي تلقاها من الرئيس كارتر مرفقاً بها دعوة حكومة إسرائيل .

وفي صباح الأحد ١٠ من ذي الحجة عام ١٣٩٧ الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٧ ، يؤدي الرئيس السادات صلاةعيد الأضحى المبارك في المسجد الأقصى مع أبناء الشعب الفلسطيني ، وكان الرئيس قد أعتاد أن يؤدي صلاة العيد في شبه جزيرة سيناء بعد أن حررتها حرب رمضان -أكتوبر - الظافرة مع الجنود الأبطال والضباط البواسل ومع أهالي شبه جزيرة سيناء لكن نداء السلام القائم على العدل قد دعا

الرئيس السادات ليذهب هذا العام ليؤدي صلاة عيد الأضحى المبارك بالمسجد الأقصى فلبي النداء .

ومضى بيان المتحدث الرسمي يقول :

" ورئيس جمهورية مصر العربية حينما يلبي نداء السلام ، ويقرر الذهاب إلى القدس فأنما يلبيه باسم المطالب المشروعة والعادله للشعب العربي كله ، ولشعب فلسطين درءاً لأخطار تهدد سكان المنطقة ، بل وتهدد الأنسانية كلها بالأهوال وحقنا لدماء الضحايا والشهداء ووقفاً لنزيف التضحيه والجهد والطاقة . والرئيس السادات ، وهو لمؤمن بعدالة القضية العربية يلبي الدعوة لزيارة القدس باسم المسئولية القوميه التي يتحملها متجاوزا أيه حساسية في مواجهة خصومه ومؤمناً في نفس الوقت بأن طرح الحقائق بشكل مباشر كما سيفعل الرئيس السادات في لقائه باعضاء الكنيست ، بعد ظهر يوم الأحد القادم - أقوى في التبصير بها من طرقها بأساليب طويلة وملتوية .

وعندما تتم رحلة السلام في مناخ كالذي تتم فيه بعد أن استعاد العرب عزتهم بحرب أكتوبر فهي تتم اذن في ظروف لا تحكمها روح الهزيمة ولا تقيدها خشيه سوء تفسير خاصة وهي تستهدف الحل الشامل للقضيته العربية .

أن المسئولية التاريخية التي يجب أن يتحملها قادة الأمة العربية اليوم أصبحت تحكم عليهم بأن يعملوا على إقرار السلام في المنطقة ، طالما أنه سلام عادل يستهدف تحرير الأرض العربية التي احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ وتقرير الحقوق المشروعة لعرب فلسطين .

والرئيس السادات يتحمل اليوم مسئوليته القومية ولا يهدر فرصة تسنح وصولا إلى هذا السلام العادل ، والله يوفق الأمة العربية إلى تحقيق ما ترنو إليه من أهداف ".

◘ ◘

قبل ٤٨ ساعة من سفر السادات إلى اسرائيل كان قد سبقه وفد مصري للأعداد لترتيبات الزيارة بكل الدقه !

كان على رأس الوفد السفير " حسن كامل " رئيس ديوان رئاسة الجمهورية في ذلك

الوقت . وكان ذلك في واقع الأمر هو أول وفد مصرى رسمي يصل إلى اسرائيل بعد سنوات طويلة من العداء والخصومة والحرب أيضاً !

وفيما بعد روى "حسن كامل" قصه هذه الرحلة تحت عنوان " قصه المبادرة التي سبقت المبادرة " فيقول :

كان اليوم هو يوم ١٢ نوفمبر .. والساعات تقترب من الحادية عشرة صباحاً .. وقتها كان الرئيس السادات متوجهاً إلى قصر القبة لاعطاء حديث إلى أحدى محطات التلفزيون الأمريكي ، وعندما نزل من العربة التي كان يستقلها كنت وراءه .. وفجأة التفت الرئيس الراحل ناحيتي قائلا :

ياحسن جهز نفسك علشان تسافر اسرائيل!!

كانت طبيعة عمل السيد حسن كامل تحتم عليه السفر دائما إلى أي مكان يسافر إليه رئيس الجمهورية ، للتجهيز والأعداد والأتفاق على كل التفاصيل قبل ذهابه شخصياً !!

ويكمل حسن كامل بعد ذلك قائلا :

" على الفور أجتمعت بزملائي كبير الياوران وكان وقتها هو الفريق " محمد سعيد الماحي " وكبير الأمناء أحمد فؤاد تيمور " والسكرتير الخاص لرئيس الجمهورية " فوزي عبد الحافظ " ووكيل الديوان للشئون الادارية ومدير الأتصالات السلكية و،الاسلكية وبقية الزملاء الذين يتطلب الأمر ذهابهم معي إلى كل رحلة يسافر إليها الرئيس .

وطبعا لم يكن هناك أي اتصال بيننا وبين اسرائيل فأعتمدنا على الأمريكان .. وفعلا تم تحديد يوم ١٧ نوفمبر كموعد لرحلتنا الاستطلاعية التي سبقت رحلة الرئيس الراحل التاريخية بيومين إثنين !

المهم طبعا أن كل الزملاء أبدوا دهشتهم لهذه المهمة .. ولكنها لم تدم إلا دقائق قليلة انغمسنا بعدها في إعداد تفاصيل رحلتنا .. وعندما عدت إلى منزلي لمحت زوجتي على وجهي شبح ابتسامة .. وتساءلت عن مفادها .. كنت ساعتها أتامل في غرابة الأقدار التي حققت لي خاطراً لم أقصد يوماً تحقيقه .. وأخبرت زوجتي

بنبأ ذهابي إلي إسرائيل وأعترف رغم دهشتها ومخاوفها إنها كانت شجاعة فعلا وإنها تقبلت الأمر تماماً .. خصوصا ان اتصالا تليفونيا حدث بينها وبين السيدة جيهان السادات حاولت من خلاله حرم الرئيس الراحل تشجيعها وطمأنتها .. أما الغريب فعلا فهو موقف أبني الذي لم يبد أي رد فعل ، وكأنني أخبرته أنني ذاهب في مهمة إلى الأسكندرية لا أدرى هل السبب هو قدرة الشباب على إستيعاب المتغيرات بصورة أسرع ؟!

◘ ◘

وما جرى بعد ذلك يرويه السيد " حسن كامل " على النحو التالي :

" وسافرنا إلى اسرائيل : بدأت رحلتنا في تمام التاسعة صباحاً من يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ ، وفي داخل الطائرة التي أخذنا عن طريق الأمريكان إذناً بطيرانها مباشرة إلى اللد حيث اجتمعت أول بعثه رسميه مصرية .. كان يسودنا جميعا جو من المرح والتفاؤل وارتفعت ضحكاتنا جميعا لكل تعليق ، واعترف طبعا انها كانت ضحكات عصبية بعض الشئ ولكنها ساعدتنا على امتصاص أي توتر .. وعندما طلبت المضيفة منا جميعا ربط الأحزمة بعد ٥٠ دقيقه بالضبط من ساعة اقلاعنا من مطار أبو صوير بالاسماعيليه .. أي في العاشرة إلا عشر دقائق تقريباً .. أختفت الضحكات وتوقف الحديث . فقد كان يسودنا جميعا شعور المقبلين على مهمة تاريخية .. وكنا نعلم طبعا أن أنظار العالم كله ستتابعنا من أول لحظه تطأفيها أقدامنا أرض اسرائيل .

" وكان هذا صحيحا لأن زيارتنا التي استغرقت يوماً واحداً نقلتها على الهواء ومنذ اللحظة الأولى كاميرات التلفزيون إلى العالم . كنت أول من نزل على سلم الطائرة حسب تقاليد البروتوكول .. والذي أذكره تماما أن شخصين كانا في إنتظارنا عند نهاية السلم .. عرفت بعد ذلك أن أحدهما كان " الياهو بن اليسار " أول سفير لاسرائيل في القاهرة ، والثاني كان مديرا لمكتب بن جوريون وأصبح بعد ذلك سفيراً لاسرائيل في واشنطن .. والذي اذكره أيضا أن الياهو بن اليسار مد يده لمصافحتي قبل أن أصل إلى نهاية السلم بكثير !

وتصافحنا أول مصافحة رسمية على أرض اسرائيل ، وتعارفنا ثم قمت بتعريف

بعثتنا بمستقبلينا .. وعندما تقدمنا بعيداً عن سلم الطائرة لفت أنظارنا التصفيق الحار من عمال وموظفي مطار اللد ولا شك أن هذا التصفيق قد ساعد كثيراً على تخفيف حدة التوتر .. واتجهت بعثتنا إلى أحدى صالات المطار .. وتناولنا بعض المرطبات والشاي والقهوة وأثناء ذلك كانت أسئلة الصحفيين لا تنقطع .. إجاباتنا فقط هي التي كانت مقطوعة ! فلم يكن هناك شئ ما قد اتفقنا عليه بعد (!!)

ومن مطار اللد توجهت بأحدى العربات إلى مدينة القدس .. ورحت أتامل الطريق وأتأمل الموقف كله ، فأنا ذاهب إلى القدس .. أول مصري يذهب إلي القدس في عربة إسرائيلية ، وبين الحين والحين كان يقطع تأملاتي صوت الياهو بن اليسار يسألني عن أحوال مصر :

واستغرقت رحلتنا من مطار اللد إلي القدس ٤٠ دقيقة تقريباً .. كنا أثناءها نتبادل الأحاديث أنا والياهو بن اليسار ، كان حديثاً عاماً طبعاً ولم يحاول أحدنا أن يتطرق إلى أي حديث سياسي ، كان الحديث تقريبا يجري على هذا النحو :

ازي الصحة ؟!

فأرد أنا : على ما يرام !!

وأعود إلى تأملاتي الخاصة التي يقطعها هو بسؤال آخر :

وكيف حال الجو في مصر ؟!

مثله هنا تقريبا درجة الحرارة دافئه والشمس ساطعة .

لقد كان مما لفت انتباه السيد حسن كامل عند مروره على القري الأسرائيلية المتناثرة على طول الطريق إلى القدس أن الأهالي كانوا يتجمعون للترحيب بالوفد المصري فعلا ، ثم يعود البياهو بن اليسار ليسأل حسن كامل عن أحوال الزراعة في مصر (!!) فيرد حسن بكلام عام ثم يسأله بدوره عن أحوال الزراعة في اسرائيل فيرد الياهو بن اليسار أيضا بكلام عام (!!) .

ثم يعود كلاهما إلى تأملاته وصمته ليبدءا من جديد في السؤال عن الصحة والحال والأحوال حتى وصلوا إلى القدس . وهناك قابلتهم مظاهرة ترحيب كانت أكبر من أي مظاهرة لفتت أنظارهم طوال الطريق ، وتوجهت العربات التي تحمل أعضاء البعثة

المصرية إلى فندق الملك داوود الذي أختير لكي ينزل فيه الرئيس السادات - وكما يقول حسن كامل - يبدو أن هذا الفندق بالذات معد لأستقبال الشخصيات الرسميه التي تزور اسرائيل .

بعد ذلك يروي حسن كامل " ما جرى قائلا :

" المهم إننا استرحنا في غرفتنا ، وبعد تناول الغداء بقليل بدأ أول اجتماع رسمي بين وفدنا المصري ووفد اسرائيل ، كان هدف هذا الإجتماع أن يتم الاتفاق على كل تفاصيل الزيارة التي قام بها الرئيس الراحل ، ابتداء من لحظة وصوله حتى لحظة عودته إلى القاهرة . وفي الحقيقة أن الوفد الاسرائيلي كان يطلب برنامجاً مكثفا جداً للرئيس السادات ، كانت مطالبهم تختص في رغبتهم في أن يرى السادات أكبر عدد ممكن من الأماكن التي يمكن أن تعطيه فكرة واضحة عن إسرائيل . ولكننا في الحقيقة ايضا اختصرنا كثيراً من هذه الأماكن !!

فأنا أعلم طبيعة الزعيم الراحل في مثل هذه المناسبات ثم أن تعليمات السادات أيضا كانت تركز على ترتيب مسألة المباحثات أكثر من زيارة أي أماكن سياحية أو غيرها ، ولذلك اتفقنا في النهاية على أن تشمل زيارة الرئيس الكنيست والمسجد الأقصى لقضاء صلاة عيد الأضحى ومسجد الصخرة وبعض الأماكن المقدسة للمسحيين ، وزيارة نصب ضحايا النازي ووضع اكليل من الزهور عليه ثم زيارة رئيس جمهورية إسرائيل في منزله .. مع ترتيبات للقاء الزعماء العرب .

وبعد أن اتفقنا على هذه الترتيبات كلها على الورق قمنا جميعا بزيارة هذه الاماكن وتفقدها مكانا مكانا .. وتأكدنا بزياراتنا لهذه الأماكن أن الترتيبات ستنفذ بدقه . وتركت البعثه المصرية مدير أمن الرياسة ومدير الأتصالات السلكية واللاسلكية للأشتراك في تنفيذ ما أتفق عليه ولكي يكونا أول الذين يقضون ليلة باسرائيل ، وذهبنا الي مطار اللد وانتهت مهام أول بعثة مصرية في إسرائيل تقريباً في الساعة السادسة مساء ..

وعندما أقلعت بنا الطائرة إلى الجو عادت الضحكات تملؤها مرة أخرى .. ضحكات لا اثر فيها للعصبيه هذه المرة ."

وبمجرد وصول الطائرة إلى القاهرة توجه السيد حسن كامل من فوره إلى قصر العروبة بمصر الجديدة لمقابلة نائب رئيس الجمهورية " السيد " حسني مبارك " ويقول حسن كامل عن هذا اللقاء وما جرى فيه .

استقبلني بأبتسامة مشجعة وأطلعته من جانبي على كافة التفاصيل وأذن لي بمقابلة الرئيس الراحل الذي كان وقتها في الأسماعيلية .. كان الوقت مساء ولذلك طلبت الرئيس السادات تليفونياً ، ومن خلال حديث طويل قارب نصف الساعة أطلعته على كافة التفاصيل وأبدى ارتياحه لها ، وعدت لأصطحب زوجتي من منزل عائلة صديقة لنا ، أصرت على إستبقائها وقت زيارتي لاسرائيل . ومازلت أذكر أنني طلبت وقتها سيجارة وكانت أول سيجارة بعد سنوات من الأنقطاع عن التدخين !!(مجلة اكتوبر ٢١ نوفمبر ١٩٨٢) .

انتهى ماكتبه السيد " حسن كامل " !

وبين الدهشة والحيرة ولارتباك الذي ساد أفراد الوفد المصرية في أول رحلة من نوعها إلى إسرائيل حدث نفس الشئ للاسرائيليين الذين كانوا في استقبال " حسن كامل "

◘ ◘

وحتى صباح الجمعة ١٨ نوفمبر ١٩٧٧ - أي قبل وصول السادات إلى القدس ب ٣٦ ساعة - كان أغلب الاسرائيليين لايصدقون ما جرى ولازال يجري .

وفي مذكراته كتب الرئيس السادات يقول وهو يصف مستقبليه في مطار بن جوريون " رأيت بعد ذلك " موردخاي جور " رئيس الأركان الحالي الذي كان قد حذرهم قبل زيارتي بأني أقوم بخدعة وأن الهدف من الزيارة هو تغطية هجوم وشيك ، ولذلك حينما رأيته قلت له إنني لا أمارس الخداع الاخلاقي مطلقاً ، الخداع الاستراتيجي والخداع التكتيكي مقبول لا يمكن أن أقبل الخداع الأخلاقي ."

وقبل ذلك وعقب عودة الرئيس السادات من زيارة اسرائيل وفي خطابة أمام مجلس الشعب (٢٦ نوفمبر ١٩٧٧) قال أيضا بالحرف الواحد ما يلي :

في جلسة مع وزير الدفاع الاسرائيلي " عزرا وايزمان " توجه إلى بسؤال : لماذا كنت

تريد أن تهجم علينا في العشرة الأيام الماضية ؟! قلت له : أبداً .. بدأتم مناورة وعلى طريقتنا بعد أكتوبر وبأسلوبنا أسلوب الدول المتحضرة التي تعرف مسؤلياتها حينما بدأتم مناوراتكم ، بدا " الجمسي " مناوراته أيضا بنفس الحجم !

قال (عزرا وايزمان) أن تقارير المخابرات كلها أمامي أهه - وعرضها - تقول بأنكم كنتم ستضربوننا ضربة مفاجئة وكان في غاية العصبية !

قلت (السادات) له : أبداً . أبداً . كونوا على علم بأن أي عمل ستعملوه سنرد عليه في الحال عملتوا مناورة ، الجمسي في الحال بدأ مناورة على مستوى وعلى نفس النطاق الذي قامت به إسرائيل من قبل .

ومضى الرئيس السادات يقول في خطابه أمام اعضاء مجلس الشعب .

" هذا هو الحاجز النفسي الذي أتحدث عنه منذ عشرة أيام وهم في شدة العصبية ومشدودين بعد حرب أكتوبر وبعد حرب أكتوبر وبعد آراء الضابط والجندي المصرى مشدودين إلى أقصى الشد ، هذا يفسر ما قاله رئيس الأركان الاسرائيلي " جور " من أنني قد بدأت هذه المناورة مبادرة الذهاب إلى الكنيست كنوع من الخداع أغطي به ضربة جديدة والخداع الاستراتيجي والتكتيكي ممكن ولى كامل الحق فيه ولكنني لن أخدع أحداً أخلاقياً أبداً ."

◘ ◘

كان إستقبال السادات في اسرائيل لا فتاً للانتباه ومثيراً للدهشة من كافة النواحي ، وقطعت سيارة " السادات " المسافة من مطار بن جوريون إلى القدس في ساعة ونصف الساعة .

كان مطار بن جوريون قد تم اغلاقه منذ الساعة الثالثة بعد الظهر أمام الحركة الجوية ، استعداداً لوصول طائرة السادات !

ان تلك اللحظات النادرة يسجلها بدقه شديدة الكاتب الصحفي " إريك سيلفر " في كتاب (بيجين : سيرة حياته) فيقول .

بالنسبة لمعظم الاسرائيليين كانت زيارة السادات خيالا تحول إلى حقيقة ، وعندما وصل إلى مطار بن جوريون " بعد إنتهاء السبت اليهودي كان مضيفوه مازالوا يزحون

حول إستحالتها ، ونقل قائد فرقة موسيقات الجيش النشيد المصري من إذاعة القاهرة .!!

وقام صانع الاعلام في القدس بصناعة المئات من الاعلام المصرية ذات الالوان الأحمر والأبيض والأسود ، وقام أحد أصحاب المطابع بتقديم ملصق تذكاري باللغه العبرية والعربية والأنجليزية مكتوب عليه كلمة " السلام "

وتنافست أشهر وأرقي فنادق القدس الثلاثة على إرضاء زبائنهم المصريين والتشريف بهم بحللهم الملكيه (وكانت من طراز الملك داوود) !

وأعلن وكيل إحدى المنشأت عن مبنى فاخر مكون من أربعة عشرة حجرة في مكان مناسب وبشروط يمكن التفاوض حولها يصلح لأن يكون مقراً للسفارة المصرية ، وعرضت " متاجر السلام ، المعروفة تخفيضا قدره ١٠٪ على جميع المبيعات من متاجرها .

ويضيف " ايريك سيلفر " قائلا :

وأعلن مذيع التلفزيون وهو يلهث في مكبر الصوت بينما كان الرئيس المصري ينزل درجات سلم الطائرة (بوينج ٧٠٧) أن عهداً جديداً قد بدأ .

وردد أحد مذيعي الراديو : أنني أراه ولكنني لا أصدقه !!

وتقول " دورين كايز " مراسلة شبكة التلفزيون الامريكية " وتحت أضواء عشرات كاميرات التلفزيون ظهر رجل الساعة على رأس سلم الطائرة ، ووجهه في البداية خال من أي تعبير ثم ينفرج عن ابتسامة واسعة وهو يلوح بيده للجمهور الذى استقبله بالهتاف والتصفيق ، وتحت السلم رحب به الرئيس الاسرائيلى " افرايم كاتزير " ورئيس وزرائه بيجن " بحرارة ، وكأن الأمر أقرب مايكون إلى جارين تجاوزا في لحظة واحدة ٣٠ سنة من الخصام والنزاع حول قطعة صغيرة من عقار يدعى كل منهما ملكيته !! "

□ □

وكتب " موسى صبرى " يصف الجو الذى ساد الطائرة المسافرة إلى إسرائيل فيقول :

" كان كل إهتمامى ، وأنا في الطائرة التى تحملنا إلى اسرائيل لاول مرة في حياتى ، مركزاً في مراقبة كل إنفعالات أنور السادات .. ماهى مشاعره وهو مقدم على هذه الزيارة التى هزت أنباؤها مشاعر البلايين في العالم كله ؟! هل يفكر في الموقف العدائى الذي تحالفت به القيادات العربية ضده ؟! وما نتائجه؟! هل يتوقع رصاصة مجنونة تصيبه داخل إسرائيل من متطرف صهيونى ؟! هل هو هادئ حقيقة كما يبدو؟! ماذا سيقول عنما يمد يده للسلام على بيجن في مطار" بن جوريون " الذى سنصل اليه بعد أربعين دقيقة منذ غادرنا مطار أبو صوير " العسكرى ؟! وماذا يرى في تخلف إسماعيل فهمى " وزير خارجيته عن الرحله وقراره بالأستقاله !

ويضيف " موسى صبرى." قائلا بعد ذلك :

كنت أتأمل وجه السادات " وأنا سارح بخواطرى في هذه التساؤلات ، بينما أحاط به أشهر رجال الأعلام في العالم الذين حضروا من أمريكا ليصطحبوه في هذه الرحله التاريخيه التى يقوم بها رئيس أكبر دولة عربية إلى أرض الأعداء لكى يبشر بدعوة السلام !!

كان حوله " والتر كرونكايت " و " بربارة والترز " الشهيرة بمرتب المليون دولار ، وبيتر جنس " معلق الاى .بى سى ووالتروواين " ممثل " تايم " .

ماهو شعورك الآن ؟!

ويجيب السادات بصوته الواثق : كما تروننى أمامكم !

ثم هزنا نحن المصريين مشهد غريب علينا تابعته عيوننا بفضول ساخن .. طائرات مقاتلة إسرائيلية ، تحيط بطائرة الرئيس لكى تصحبه حتى الهبوط في مطار بن جوريون ! كان لهب هذه الطائرات ظاهراً لنا من النافذة بجوار السادات ! واسرع المصورون الأجانب لتسجيل هذا المشهد !

أما نحن يوسف السباعي " وأمينة السعيد ومرسى الشافعى ومحمد عبد الجواد وهمت مصطفى فقد التقت عيوننا في تساؤل صامت يقول : ما أغرب المفارقة ! >>

□ □

ويقول " حسن التهامى " واقتربت الطائرة من المجال الجوى الاسرائيلى ، ونزلت

الطائرة على أرض مطار بن جوريون واستجمع (السادات) كل قواه ، حتى أن عضلات وجهه قد بدت بارزة وأخذ ينزل درجات سلم الطائرة بهدوء وحيث كانت الكشافات مسلطة على باب الطائرة ، وعندما رأى جميع قادة إسرائيل يستقبلونه بحرارة بدأ السادات يشعر بارتياح وبدت ابتساماته واضحة ، وأطمأن إلى أن الاستقبال لم يكن فاتراً أو مزرياً ، وتردد حوله التصفيق والهتاف مما أشعره بالثقة المتزايدة بنفسه >>.

◘ ◘

في ذلك الوقت كان الكاتب الصحفى الكبير " أحمد بهاء الدين " في دولة الكويت، حيث كان يرأس تحرير مجلة العربى " الشهرية . كان بهاء قد تسلم عمله ابتداء من يناير ١٩٧٦ بعد أن استأذن الرئيس السادات .

تابع " أحمد بهاء الدين " مع الملايين عبر شاشة التلفزيون تفاصيل وقائع رحلة السادات إلى إسرائيل ، وعن مشاعره في تلك اللحظة يقول بهاء :

" كنا لم نفق بعد من هول الصدمة عندما جلسنا في بيتى بالكويت كمئات الملايين في العالم حول شاشة التلفزيون نرى بالأقمار الصناعية المشهد الذى لاينسى لأول طائرة مصرية تهبط في مطار بن جوريون في إسرائيل وينزل منها رئيس جمهورية مصر ، ويستعرض حرس الشرف حاملا الأعلام الأسرائيلية ثم يأخذ في مصافحة كل الوجوه الأسرائيلية المعروفة لنا : مناحم بيجن ، وجولد مائير ، وابا إيبان ، وموشى ديان ، إلى آخره !

يؤكد أحمد بهاء الدين قائلا :

كان المشهد كأنه غير حقيقى ! وشعرت أن هذا الحدث غير العادى بكل المعايير لا بد أن له خلفيات عميقه وله نتائج بعيدة لا يكفى فيها الأعتماد على مصادر الأنباء العادية وخصوصاً أن في إمكانى أن أقابل بطل الحدث التاريخى شخصياً وهو الرئيس أنور السادات . "

ووصل أحمد بهاء الدين إلى القاهرة ، وذهب لمقابلة السادات ، (كان يوم أحدفي شتاء ديسمبر البارد ١٩٧٧) وكان مكتب الرئيس السادات بعد أن أتصلت به قد

حدد لى موعداً في الساعة الحادية عشرة صباحاً في استراحة الهرم ..
وعندما وصل بنا الحديث إلى يوم رحلته إلى القدس شن حملة عنيفة غاشبة على الذين بادروا إلى مهاجمته دون أن يعرفوا أى شئ وقلت له : اسمح لى أن أدافع عن كل الغاضبين الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ! >>
وأصغى السادات بانتباه وتركيز لأحمد بهاء الدين الذى قال :
" لقد كانت مفاجأة وصدمة هائلة في حد ذاتها لقد كنت في بيتى في الكويت ..
وكان الناس يتصلون ببعضهم البعض ليتجمعوا معاً ويشاهدوا معاً في هذا البيت أو ذاك مشهد الزيارة على شاشة التلفزيون ، وطلبت إلى زوجتى آلا تقبل الحضور إلا من عدد قليل من المصريين والمصريات فقط حتى نكون على حريتنا .. معنى ذلك أولا ياريس أن كل مصرى كان يشعر أن المسألة أكبر وأقسى من أن يراها بمفرده في بيته .. وفعلا تجمع لدينا عدد من الأصدقاء الأقربين وزوجاتهم .. وجلسنا وشاهدنا مذهولين المشهد الخارق لكل ماهو مألوف ، وأذكر بعد إنتهاء نقل مشاهد الزيارة أننى تلفت حولى فلم أجد زوجة واحدة من اللاتى كن معنا ثم اكتشفت أن كل واحدة انطلقت إلى غرفة أو إلى حمام وأغلقت الباب على نفسها واخذت تجهش بالبكاء بكاء غزيراً ، ومضى بهاء يؤكد للسادات قوله :
لم يكن هذا ياريس تعليقاً سياسياً .. أنه رد فعل نفسى طبيعى لشعوب عربية تربت على معان أخرى تماماً .. ومن العدل آلا نأخذ كل شخص برد فعله الأول .. هذا رد فعل وطنى عاطفى طبيعى والشاذ هو غير ذلك (!!)
وهز السادات رأسه موافقاً ، وغشيت وجهه سحابة داكنة وقال لى :
أتظن أن الأمر كان مختلفاً بالنسبة لى ؟! انك تقول إنكم عندما رأيتمونى واقفاً على سلم الطائرة وقعت قلوبكم في أقدامكم . أنا كنت فى حالة من شبه الغيبوبة والدوار ..ونزلت درجات السلم وكأننى لا أشعر بالدنيا من حولى ، ولم أسترد أعصابى وانتباهى إلا عندما وجدت نفسى أصافح الذين كانوا في استقبالى .. أننى افهم هذا ومستعد لأن أقبله من الكثيرين جداً . >>

وكان من الطبيعى أن تلتفت وسائل الاعلام إلى ما سوف يقوله الاستاذ محمد حسنين هيكل " وسأله " جون سنايدر " مندوب " اى .بى .سى " فى الشرق الأوسط وكان ذلك يوم ١٥ نوفمبر وكان من ضمن ماقاله هيكل يومها :

عندما أعلنت المبادرة لم أخذ موضوعها جداً في البداية ، وتصورت المسألة كلها زلة لسان ، وكانت هناك بعض الشواهد المشجعة على هذا الظن ، لكن التطورات سارت في اتجاه آخر ، فقد التقطت إسرائيل الخيط ووجهت دعوة وتوالت الخطى المتبادلة ، واكتسبت القصة كلها قوة فعل ذاتية بدا صعبا ايقافها . "

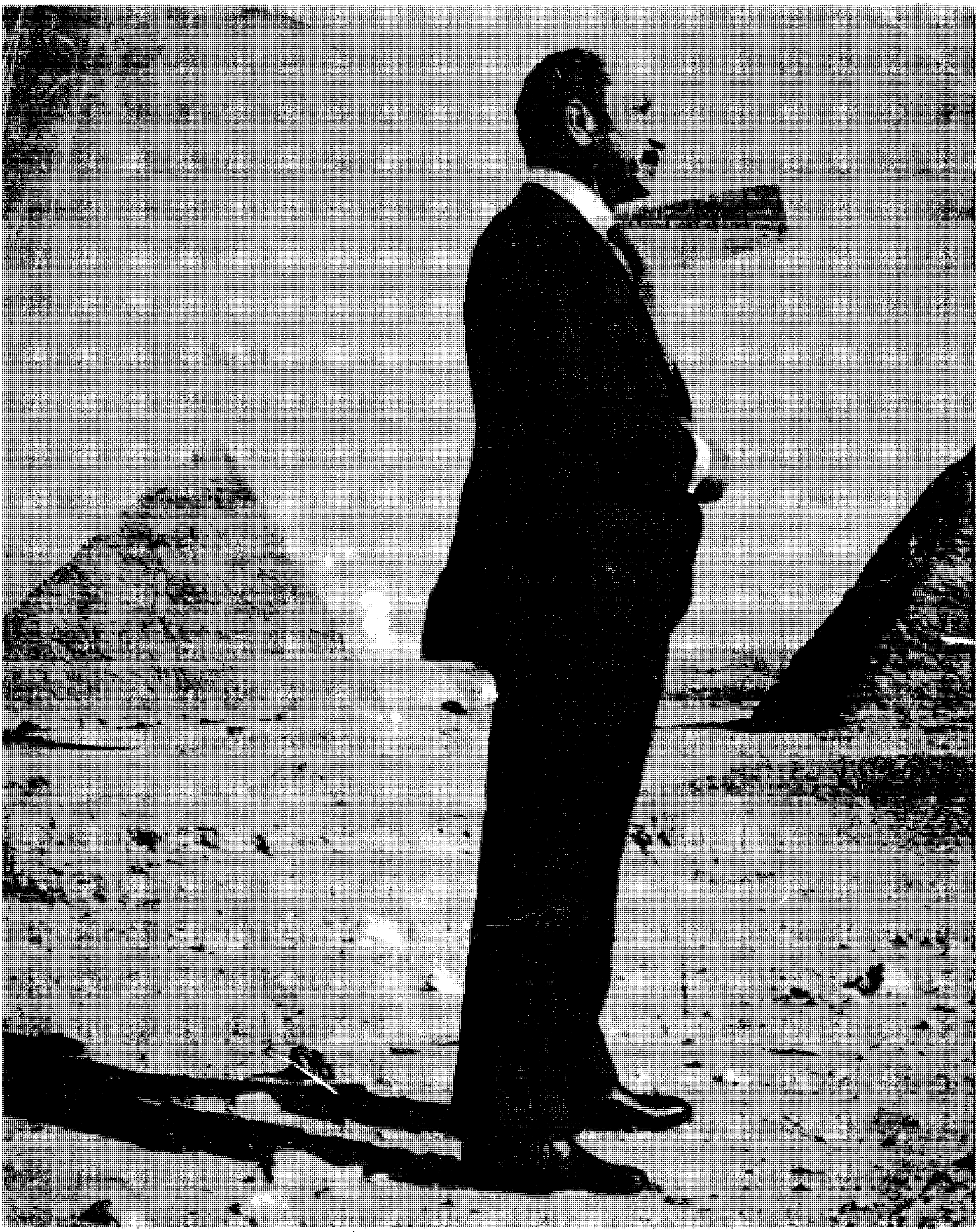
وجاء يوم الزيارة نفسه ويقول هيكل في حديث المبادرة : " غادرت القاهرة إلى الاسكندرية ، وعلى شاطئ البحر أمامى طوال الوقت جهاز راديو اتنقل بمؤشره بين اذاعات العالم ، واعترف على استحياء اننى لم اتمالك نفسى ذات مرة حين سمعت اذاعة القاهرة تتحدث عن ترتيبات وصول الرئيس السادات إلى القدس مساء ١٩ نوفمبر وتقول أن سرباً من مقاتلات سلاح الجو الاسرائيلى سوف يخرج للقاء طائرة الرئيس السادات . " لم أتمالك نفسى ولا أعرف لماذا لحظتها فاذا أنا أغطى عينى بكفى وأجهش في بكاء لم أعرفه منذ تلك اللحظة الرهيبة التى وقفت فيها بجوار فراش جمال عبد الناصر وهو يجور بالنفس الاخير . "

◘ ◘

كان " محمد ابراهيم كامل " السفير المصرى في المانيا الأتحادية قد أوى إلى فراشه ومالبث أن أدار مؤشر الراديو إلى إذاعة القاهرة ليستمع اليها كعادته !

كان الوقت عند منتصف ليلة ٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، وكانت الاذاعة تعيد اذاعة خطاب الرئيس السادات الذى كان قد ألقاه في مجلس الشعب صباح نفس اليوم .

ويقول " محمد ابراهيم كامل " << فجأة استرعت انتباهى جملة وردت في خطابه حول أستعداده للذهاب إلى أى مكان في العالم سعياً وراء السلام وحقنا للدماء ولو كان هذا المكان هو الكنيست الأسرائيلى . اعترتنى بعض الدهشه إلا أنى لم أعر الأمر اهتماماً اذا كان السادات كثيراً مايخرج في خطاباته عن النص المكتوب ويفصح عن آراء وافكار مرتجلة ربما دارت في خلده لأول مرة وهو يلقى الخطاب ،



فضلا عن اننا في السفارة لم نتلق أية مؤشرات لمثل هذا الأتجاه ! >>

وفي اليوم التالى - العاشر من نوفمبر - اتصل بعض السفراء العرب الموجودين في بون بمحمد ابراهيم كامل للأستفسار عن حقيقة الأمر فأجاب بأن ليس لديه معلومات ! << وأن الأمر لا يعدو أن يكون مناورة من قبيل احراج الحكومة الأسرائيلية التى طالما رددت استعدادها للتفاوض المباشر مع الدول العربية وهى واثقة بأن رد هذه الدول سيكون بالرفض ! >>

ويضيف " محمد ابراهيم كامل " ماجرى في تلك الأيام قائلا :

" لم يلبث مناحم بيجن رئيس الوزراء الأسرائيلى أن بعث بدعوة رسمية يوم ١٥ نوفمبر للرئيس السادات لزيارة القدس عن طريق السفارتين الأمريكيتين في تل أبيب وفي القاهرة ولم يمض وقت طويل حتى قبل السادات الدعوة بدوره ، وتحدد لبدء الزيارة مساء يوم السبت ١٩ نوفمبر وكان يوافق وقفة عيد الأضحى المبارك.>>

" وظلت اسئلة تدور في رأسى وتسبب لى حيرة كبيرة : هل زيارة القدس هى فكرة عارضة للسادات ذكرها في خطابه أمام مجلس الشعب في ٩ نوفمبر فتلقفها بيجن ووجه إليه الدعوة لزيارة اسرائيل . فشعر السادات بالحرج من رفضها والظهور بمظهر المتراجع عما أعلنه ، هل تم تفاهم مسبق بين السادات والدول العربية أو بعضها على الأقل قبل الأقدام على هذه القفزة الجذرية ؟ هل سبقها تفاهم سرى بين مصر واسرائيل؟ هل تمت بتدبير من الولايات المتحدة ؟ وهل هناك ضمانات لتحقيق المطالب العربية في حدها الأدنى ؟ >>

والحقيقة أن هذه الأسئلة التى دارت في رأس محمد ابراهيم كامل دارت في رأس الكثيرين أيضا في مصر والعالم العربى والخارجى أيضا !

ويقول محمد ابراهيم كامل : هزت المفاجأة العالم الذى أخذ النبأ على غرة ، وقد لاحظت ذلك في رد فعل الخارجية الألمانية التى لم تستطع أن تستوعب الفكرة ولم تكن لديها - رغم كفاءتها وفاعليتها الكبيرة - أية خلفية أو معلومات تمهد لمثل هذا التطور غير التقليدى في العلاقات العربية الأسرائيلية . >>

وازاء الحيرة والدهشة التى احاطت بمحمد ابراهيم كامل فقد قام بالأتصال بوزير الخارجية " اسماعيل فهمى " في تونس حيث كان يشارك في مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، فلم يجده ، وكان قد تحدث مع زوجة اسماعيل فهمى " وكانت بدورها غير ملمة بسر هذه التطورات .

ويعترف ابراهيم كامل قائلا : "

وكسفير لمصر في بون كنت في وضع غريب ومحرج ، فلم أتلق من القاهرة أية ايضاحات أو تعليمات تفسر مايجرى ولم أستطع أن أشفي رغبة الخارجية الألمانية في الحصول على تفسير لما يجرى ، ولا السفراء العرب أو الأجانب أو الصحفيين الذين انهالوا على بالأسئلة . كان الجميع غير مصدقين ، وأن تفاوتت ردود أفعالهم بين غير مصدق وبين غاضب وبين متفائل ومتشائم . >>

◘ ◘

لقد عكست صفحات الصحافة الألمانية صدى قرار السادات بالسفر إلى اسرائيل على نحو مثير تماما . ففى ساعات قليلة احتل السادات المانشيتات الرئيسية وأغلفة المجلات .

أن مجلة " شنيدت " الألمانية اعتبرت رحلة السادات أحدى أهم رحلتين في تاريخ الأنسانية في العصر الحديث ومضت تقول :

ان مئات الملايين من المواطنين في المانيا الاتحادية ومختلف دول العالم قد تابعوا رحلة السلام التى قام بها الرئيس المصرى إلى القدس بنفس الأهتمام الذى تابعوا به أول رحلة للانسان إلى القمر . أن كلتا الرحلتين غاية في الأهمية وتمثلان نقطة تحول في تاريخ الأنسانية ، ولقد أحرز السادات كثيراً من التأييد والتعضيد لشخصه ولشعبه وللقضيه العربية من مختلف شعوب العالم . >>

ووصفت مجلة " بيلد تساتيومج " السادات قائلة :

" أكد الرئيس السادات أنه ليس مغامراً سياسياً بل رجل دولة يضع سياسته بعد حسابات دقيقة .. إنه رجل يؤمن بالأسلام دون تعصب ، وأنه لا ينتظر وقوع الأحداث بل يمسك زمام الأمور وصنع الأحداث بنفسه . >>

ويضيف " محمد ابراهيم كامل " قائلا :

وبعد ظهر يوم السبت ١٩ نوفمبر علمت باستقالة وزير الخارجية اسماعيل فهمى فزاد قلقى ، إذا كانت تربطه بالسادات علاقة وثيقة واستنتجت على الفور أن مبادرة السادات لم يسبقها الاعداد الكافى ، على الأقل في نظر " اسماعيل فهمى " وهو دبلوماسى محنك ولم تمض ساعات حتى اعلنت إستقالة وزير الدولة للشئون الخارجية " محمد رياض " وتعززت شكوكى !!)

ويمضى " محمد ابراهيم كامل " فيروى كيف شاهد في سكنه - مع أغلب السفراء العرب زيارة السادات ومتابعة خطابه فيقول :

" بدا لنا كأننا في حلم غريب ثم بدأ السادات إلقاء خطابه وبعد فترة بدأت استرد هدوئى وأنا أتابع مايقوله وهو يشرح فلسفة مسعاه لاقامة السلام . >>

ويضيف : " كان خطاباً قوياً ملتزماً بالموقف العربى وقد صيغ بروح سامية ومنطق سليم، فدافعت عن مبادرته . >>

ومع ذلك أمضيت الليل دون أن أذوق طعم النوم تأخذنى الأفكار والحيرة ولم أستطع أن أتخذ بينى وبين نفسى موقفاً محدداً واضحاً من هذه المبادرة فمن ناحية بدت لى فكرتها براقة شجاعة بناءة ، ومن الناحية الثانية كنت أشعر بتخوف من هذه الزيارة إلى المجهول ، وأحسست أن ماأدخله السادات على نفسى من ارتياح وطمأنية قد بدده رد بيجن عليه فليس فيه مايدعو إلى الارتياح على الأطلاق . >>

وحتى ذلك الوقت كان " المهندس عثمان أحمد عثمان " أحد أقرب المقربين للرئيس السادات ، ولم يشفع له هذا القرب الشديد من السادات ، أن يعترض بعض معاونى الرئيس على سفره مع السادات !

ويقول عثمان أحمد عثمان " في مذكراته :

" ولم أعرف ذلك إلا قبل بدء الزيارة بساعات ، وقلت لهم إن لم تتخذوا الترتيبات اللازمة فأننى سأركب الطائرة مهما كان رأيكم ، ولن أتركه يذهب دون أن اكون معه !!

واذكر أن د. مصطفى خليل " رئيس الوزراء السابق كان وقتها نقيباً للمهندسين اتصل بالرئيس وقال له :

لم أطلب من سيادتكم في حياتى شيئا .. ولكن أريد أن أذهب معك إلى اسرائيل فاستجاب الرئيس إلى طلبه ، انضم إلى الوفد المرفق !

وأقلعت الطائرة ، وخلال المسافة مابين الاسماعيلية وتل أبيب ، كان الوجوم يسيطر على كل من كان على متن الطائرة ، إلا الرئيس السادات .. كان هادئاً جداً .. وطبيعياً جداً .. يشعل " البايب " وهو فى قمة الراحة النفسية وكان شيئاً لا يحدث .. بينما تقف الدنيا كلها تتابع ماكان يحدث في مشهد عظيم ، وصفته وكالات الأنباء العالمية أنه فاق لحظة هبوط الانسان على سطح القمر ! "

◘ ◘

ولم يكن السيد نائب رئيس الجمهورية " حسني مبارك " غائباً عن الصورة وما كان يجري وقتها ، وفي حواره مع الكاتب الصحفي أنيس منصور الذي نشره في مجلة أكتوبر (٦ ديسمبر ١٩٨١) قال حسني مبارك :

كان عندي فكرة عن " مبادرة الرئيس السادات ، فالرئيس السادات يرحمه الله كان مشغولا بهذه الخطوة الجريئة ، وكان ذلك في مارس سنة ١٩٧٧ ، لقد فاتحني في ذلك وكنا معه في استراحة القناطر ، وكان يوم جمعة ، وكان يجلس مع عدد كبير من الناس والذين سمعوه يتحدث عن هذه الفكرة لم يصدقوه .. أنا شخصيا قلت : والله فكرة عظيمة ولابد من عمل شئ ولماذا لايفعل ؟

وطبقا لما يقوله حسني مبارك فقد مضت الأمور بعد ذلك على النحو التالي :

" تلقى الزعيم الراحل خطاباً من الرئيس كارتر في أكتوبر جاء فيه : أن الخلاف العربي العربي ، أعنف بكثير جداً من الخلاف العربي الأسرائيلي ، ولا بد من البحث عن حل "

وكان من رأي الزعيم الراحل " السادات " أنه لابد من عمل شئ يحطم هذا الجمود والركود في الموقف العربي ، وقال : إنني أفكر جدياً في الرحلة " إياها " .

ويعلق " حسني مبارك " قائلا : اسعدتني الفكرة ورأيت فيها شيئاً جديداً جريئا

وسافر الزعيم الراحل إلى رومانيا وايران والسعودية ، ولكنه لم يطلع أحداً في هذه الدول على قراره النهائي ، إلى أن تبلورت الفكرة تماماً في رأسه ، وأعلن ذلك في خطابه إلى مجلس الشعب و اندهش الناس وكثيرون لم يصدقوا أن شيئا من ذلك القرار الغريب سوف يتحقق ، وربما في إسرائيل وفي العالم كله أيضاً ."

وفي اليوم التالي وكان يوم جمعة ، سافرت أنا إلى المغرب والجزائر ، ويوم الأثنين صباحاً تلقيت من الرئيس السادات رسالة بانهاء مهمتي والعودة فوراً ، واتصلت به تليفونيا وسألته : أن كان شئ خطير قد حدث وكان رده : لا . لا شئ ولكن أريدك أن تعود بسرعة !

وسافر حسني مبارك ليلتها من المغرب إلى الجزائر إلى باريس وعند منتصف الليل كان قد وصل إلى القاهرة وفي صباح اليوم التالي تقابل مع الرئيس السادات الذي قال : أنا قررت نهائيا السفر إلى اسرائيل !

وكان رد حسني مبارك : على بركة الله ، ربنا يوفقك !

ويضيف حسني مبارك في روايته قائلا :

وفي ذلك اليوم التقي الرئيس السادات بوفد أمريكي وسألوه عن زيارته لإسرائيل ايلتس ، فأكد لهم أنه سوف يفعل ولم يصدقوا ذلك وكان بين الوفد السيد هيرمان ايليتس سفير أمريكا في مصر ولم يصدق هو الآخر ! فأقترح السفير الأمريكي أن يكون ذلك يوم ٢٤ نوفمبر ولكني - أي حسني مبارك - أقترحت على السادات أن يسافر يوم الوقفه ويصلي العيد في المسجد الأقصى فأعجبه ذلك ووافق ، كانت الوقفه يوم السبت وهي عطلة مقدسة في إسرائيل ولكنها تنتهي عند غروب الشمس ، ولذلك سافر الرئيس السادات في الساعة السابعة والنصف من مساء نفس اليوم ليصل إلى مطار بن جوريون في حوالي الساعة الثامنه . وتوالت بقية الأحداث التاريخية التي نعرفها جميعا .

ولم يعد الشرق الأوسط هو نفس الشرق الأوسط !!

٣

بيجين : وعاصفة السلام !

لم يكن " مناحم بيجين " يحلم بالسلام عن طريق " السادات "!!

كان "بيجين " يتوقع وينتظر أن يحل السلام عبر بوابة الملك الحسن المغربيهأو بوابة الملك حسين الاردنية !!

لكن الظروف والاقدار كانت ترتب سيناريو مثير وعجيب أيضا لم يكن يخطر ببال مناحم بيجين أبداً !!

حتى ذلك الوقت لم يكن " بيجين " يدري كيف كانت صورته التي كونها عنه الرئيس السادات ؟!

وفيما بعد قال السادات : لقد درست بيجين جيداً كما يدرس الملاكم خصمه قبل المباراة".

ويرى المهندس " عثمان أحمد عثمان " موقفاً له دلالته فيقول :

عندما فاز" مناحم بيجين " برياسة الوزراء في إسرائيل ، وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة مساء ، ولم يشأ معاونو الرئيس أن يزعجوه بالخبر ، على اعتبار أن "بيجين " رجل متشدد ويمكن أن يعقد أمور السير في عملية السلام ، وفضلوا أن يبلغوه في الصباح !

وعندما عرف الرئيس الخبر قال :

أن هذا الخبر سعيد .. وليس مزعجاً لأن بيجين هو الرجل القوي في إسرائيل، ولذلك فهو الرجل الذي نستطيع أن نبدأ معه أولي خطوات السير على طريق السلام .

□ □

كان " الياهو بن اليسار مدير عام مكتب رئيس الوزراء " مناحم بيجين " راقداً فوق السرير يقرأ مساء التاسع من نوفمبر ١٩٧٧ .

ولم يدر بخلد " الياهو بن اليسار " وقتها أنه سيصبح بعد قليل سفيراً لاسرائيل في القاهرة.

كان الياهو بن اليسار " بلحيته التي تشبه لحية الزعيم الصهيوني " هيرتزل" ولكن لم يكن معروفاً أنه كان عميلا سابقاً وسرياً للموساد لسنوات طويلة ، وكان يحمل درجة الدكتوراه في التاريخ .

كانت شقة " الياهو بن اليسار" على مقربة من الشقة التي يقطنها بيجين في القدس، وحسبما يروية " اريك سيلفر " في كتابه (بيجين : سيرة حياته) ، فلقد دق جرس الهاتف بجوار سرير "بن اليسار" وكان المتحدث هو " عنان فاوي " محرر شئون الشرق الأوسط في صحيفة " جيروزاليم بوست " وكان قد أستمع على الهواء مباشرة من إذاعة القاهرة لخطاب الرئيس السادات الذي قال فيه "أنا أقول فعلا مستعد أن أذهب إلى آخر هذا العالم ، وستدهش اسرائيل عندما تسمعني أقول الان أمامكم أنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم ..

ويعلق "اريك سليفر" قائل :

لقد قوبل هذا العرض الذي قدمه الرئيس السادات بالنداء الحماسي " الله أكبر " من الأعضاء ، لكن بعض الذين استمعوا إليه لم ينتبهوا كثيراً لما قال ، أو أعتبروا ما قاله نوعاً من الصيغ البلاغية في الخطابة ، تماماً كما أعتبروا تهديد السادات منذ أربع سنوات مضت بالتضحية بمليون جندي مصري في سبيل إستعادة الأرض العربية من الغاصب الصهيوني ، لكن حرب يوم الغفران علمت " عنان صفاوي " أن الرئيس (السادات) في العادة يعني ما يقول ، قد ذهب إلى بيجين ليعلمه بالقضية وليعلم رد فعل بيجين لها .

كان " بن اليسار " غير مصدق لما سمع ، لكنه لم يرد أن يستبعد ما سمع استبعاداً تاماً، عاد ليسأل عنان صفاوي :

هل أنت متأكد من أن هذا هو ما أعلنه السادات ؟! أنني لا أصدق ، فبالرغم من كل ما نعرفه مقدماً الا أنني دهشت من سماع السادات أنه على إستعداد للحضور إلى القدس ورد "عنان صفاوي " قائلا : أنه متأكد كل التأكيد !

ومسألة عما إذا كان قد تلقى برقيات من وكالات الأنباء ، ورد بأنه لم يتلق بعد أي رسالة ، وقلت (بن اليسار) أرجوك أن تتأكد فإذا ما كان هذا صحيحاً وصح ما أعلنه السادات فعليك أن تكتب إليه بأنه سيلقي كل الترحاب في القدس ."

ولم يشأ " الياهو بن اليسار " أن يعكر أمسية " بيجين " وأن يروي له ما سبق أن أخبره به " عنان صفاوي " ولكنة أنتظر حتى الصباح

في الساعة الخامسة من صباح يوم العاشر من نوفمبر (اليوم التالي لخطاب السادات المثير) استيقظ بيجين من نومه كعادته منذ سنوات طويلة . استمع إلى نشرة أخبار الإذاعة البريطانية ثم قرأ صحف الصباح ولم يكن بها ما يسترعى الأنتباه .

في تمام السابعة بالضبط دق جرس التليفون في منزل بيجين وكان المتحدث هو الكاتب الصحفي " شلومو نكديمون " الذي كان على علاقة وثيقة وحميمة ببيجين منذ سنوات طويلة ،وكان أول ما أراد معرفته من بيجين هو رد فعله إزاء عرض السادات بالمجئ إلى اسرائيل !

قال بيجين له : ليس لدى حتى الأن النص الكامل لخطاب السادات ، ولذا فلن أستطيع أن أجيب على سؤالك .. وأنا أقترح أن تنتظر حتي يصلنا النص الكامل للخطاب "

وهنا أحس الصحفي " شلومو نكديمون " بأن خبطته الصحفية توشك على أن تضيع فقال بسرعة لمناحم بيجين :

أن لدي النص الكامل لما قاله السادات أمس !!

وبعد أن قام " شلومو نكديمون " بقراءة الفقرة الخاصة بعرض السادات المثير قال بيجين بعد لحظات صمت ربما كان يفكر فيها بعمق فيما يقوله وسيسمعه الناس بعد قليل ، وكانت أجابته على النحو التالي :

" بخصوص استعداد السادات لمقابلتي ، حتى لو كان ذلك في الكنيست بالقدس و وإذا لم يكن ذلك مجرد بلاغة إنشائية ، فأنني أعلن ترحيبي باستعداده هذا ، وأكرر تصريحي الذي أدليت به عند توليتي لمنصب رئيس الوزراء ، وهو أنني علي استعداد لمقابلة السادات في أي مكان ، حتى ولو كان ذلك المكان هو القاهرة ، وذلك من أجل التفاوض لإقرار سلام حقيقي في الشرق الأوسط ."

□□

وفي كتاب "بيجين سيرة حياته " يؤكد الكاتب الصحف " اريك سيلفر " مؤلف الكتاب أن أول حاكم عربي يتقرب إليه بيجين في بحثه عن السلام وأكثرهم قابلية وتفتحا هو الملك حسين ملك الأردن . كان وزراء إسرائيليون يقومون بالاجتماع به سراً منذ ماقبل حرب سنة ١٩٦٧ عندما كان لا يزال يحكم الضفة الغربية والقدس الشرقية واستمر الحوار خلال حكومات ليفي أشكول ، وجولدا مايئر واسحاق رابين . أما أكثر المقابلات وجها لوجه فقد قام بها ايجال الون ووزير دفاعه شيمون بيريز ثماني مرات ، واجتمعت به مسزمائير لأول مرة في باريس قبل حرب الأيام السته عندما لم تكن رئيسة وزراء بعد ، وفي إسرائيل بعد ذلك عندما أصبحت رئيسة للوزراء .

وخلال فترة حكم رابين عقدت كل الأجتماعات في اسرائيل ، ويقول أحد شهود العيان أنه على الرغم من أن تلك الأجتماعات لم تحقق أية نتائج فأنها كانت اجتماعات جميلة، ومناقشات حرة مفتوحة وودية بين جنتلمان واخرين على شاكلته !

ويمضى اريك سيلفر قائلا :

وفور تولي السلطة ، ألمح بيجين عن طريق الوسطاء الى أنه يرغب في الأنضمام إلى إجتماعات الملك حسين ، وجاء الرد من عمان بالرفض القاطع الأمر الذي أغضبه كثيراً وعلى الرغم من ذلك فقد فوض ديان في حضور اجتماع خاص مساء يوم ٢٢ أغسطس بعد أن تخلص وزير الخارجية الأسرائيلي من حارسه الخاص بدخوله منزلا آخر من خلال الباب الأمامي والتواري في سيارة كانت في انتظاره في الخلف . وعلى الرغم من أن المحادثات استمرت ليوم آخر بناء على طلب الملك حسين ، إلا إنها لم تكن مثمره بالمرة ، وقال الملك أنه نفض يده من الضفه الغربية والمشكلة

الفلسطينية ، وأعلنت الدول العربية أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وإذا كانوا لا يريدونه ، فبوسعهم إدارة دفه شئون الفلسطينين بدونه .

وكان " بيجين " شأنه شان معظم الأسرائليين يذكر تاريخ السادات المتعدد الألوان فهذا نشاطه المؤيد للنازية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهذا دوره في الثورة الناصرية ضد الملك فاروق ، ثم شنه حرب يوم الغفران !

لكن بيجين أستبعد عداؤه الغريزي ضد الزعيم المصري إلا عندما كان يشعر بأن السادات يلعب لعبة قذرة . ففي اجتماعاته الخاصة مع رجاله كان يسمح لكراهيته بالظهور فكان يقول : أن السادات كاذب (!!)

وكان بيجين يميل إلى احتقار العرب بصفة عامة ولذلك فأنه كان يحتقر السادات بصفته عربياً.

ولكن فوق هذا كله فإن بيجين يدرك أن السادات يريد السلام وأنه ركب المخاطر من أجل ذلك كان موقف رئيس الوزراء بيجين من السادات كما لخصه أحدهم هو "الاحترام والشك !

وفي إحدى المناسبات عندما حثه أحد أصدقائه بأن يفتح عينيه على السادات المراوغ والمخادع أجاب قائلا :

- لقد وهبنا الله القدير عقولانحن أيضا!!

وحتي لو كان بيجين لا يشارك جنرال " جور" في شكوكه العميقة إلا إنه لم يكن على إستعداد ليأخذ صداقة السادات بثقه تامة ، لقد كان الزعيم المصري عدواً لفترةطويلة ، وكان بيجين في حاجة إلى دليل عملى على حسن نية السادات ."

وأيضا فيما بعد اعترف " ديفيد كيمحي " مدير عام وزارة الخارجية الأسرائلية قائلا:

الواقع إننا نحتاج إلي إعادة النظر في شخصية السادات وأعماله ، لأنه كان رجلا عظيماً بكل ما للكلمة من معني سواء أعجبتم به أو كرهتمونه ! ولأنه كان مخلوقاً نادراً أو انساناً يستطيع اعطاء شكل للتاريخ حتى لو لم يكن هو الذي رسم ذلك

التاريخ "

ويضيف : لم تفهم في القدس الدوافع التي حملت السادات إلى إتخاذ هذا القرار إلا بعد فترة طويلة إذ ساد الاعتقاد إنها بسيطة وواضحة وصريحة إلا إنها عكس ذلك تماماً .الصحيح إننا ذهلنا لكننا ارتبكنا ارتباكاً شديداً ، وعبر وزير الخارجية السابق "إيجال ألون " عن ذلك أفضل تعبير ، فقبل أن يتأكد من أن سفر السادات سيتم سأل " ألون " ماذا حصل للسادات بين يوم عيد العمال ١٩٧٢ و ٩ نوفمبر ١٩٧٧ إذ قبل مالايزيد عن خمس سنوات خاطب جمهوره أنه سيسحق تكبر اسرائيل غير المحتمل !! ، أما الآن فهو مستعد للقدوم إلى إسرائيل للحيولة دون جرح جندي مصري واحد فما سبب هذا التحول الجذري ؟!

أن ما يلفت النظر في تحليل " ديفيد كمحي " في رؤيته للسادات هو قوله :

من يتابع خطابات السادات " منذ تبوئه الرئاسة في تشرين الأول ١٩٧٠ لا بد وأن يلاحظ عنصر العفوية والارتجال حتى في خطاباته المحضرة بأتقان ، كأن أفكاره الباطنيه تطغي على فتور خطا باته المحضرة مسبقاً .

صحيح أن كثير من السياسيين البارزين اللامعين في الخطابة عادة يدخلون مثل هذا التحوير على خطاباتهم المحضرة ، لكن " السادات " يتفوق بأشواط على أمثالهم في زمننا هذا فمن الممكن معرفة الكثير من السادات بدراسة خطاباته دراسة معمقه.

فالسادات - والكلام لديفيد كمحي - يمتنع بصفه أخرى ترتبط بارتجاله في خطبه ، إذ يجيد تمويه الحقائق واخفاءها وقد اكتشف " عبد الناصر " ذلك في الأيام الأولى من الثورة المصرية عندما كان يستطيع الأستفادة كثيراً من السادات.

ثم ينتقل " ديفيد كمحي إلى خطاب السادات أمام مجلس الشعب فيقول

وبحضور سفراء عرب وعرفات ، وبعد تهجم مطول على إسرائيل ، لمح إلى أنه مستعد للحوار مع الاسرائليين " في عقر دراهم في الكنيست " بحيث لم تكن لتلك العبارة أية علاقة بما سبقها ، كما أنه لم يتوسع بها.قط (!!)

فالسادات كان غاضباً ثائراً يوم القى خطابة في ٩ تشرين الثاني في القاهرة ،

وبشكل خاص من كارتر بسبب الرسالة التي تلقاها منة في ٢٨ تشرين الأول. إذ أن كارتر برأيه اقترح أنه في حال موافقة السادات على ورقه العمل التي اتفق عليها الأميركيون مع ديان سيكون كارتر مستعداً لخداع الإسرائيليين في مسألة الفلسطينيين والانسحاب إلى حدود ما قبل العام ١٩٦٧ ومسألة التسوية السلمية .

حنق السادات أيضا من قصر نظر الأميركيين وغبائهم لأنهم إذا ما خدعوا الإسرائيليين فسينسحب بيغن ودايان بكل بساطة من الاجتماع في جنيف وهكذا تبقي مصر فارغة اليدين .

اتسم خطابه في القاهرة ، وهو في الواقع تقريره إلى مجلس الشعب المصري ، بالتعنت تجاه إسرائيل ، إذ أتي قاسياً ولا يقبل المساومة . ويتجلي ذلك في المواضيع التي تضمنها . في ما يلي النقاط الأساسية التي تناولها قبل أن يصل إلى الموضوع الأخير حول إسرائيل والذي جاء بمثابة مفاجأة .

طمست إسرائيل المسألة الفلسطينية وشوهتها خلال السنوات الخمس والعشرين الفائتة. نجح كارتر في إزالة هذا الحجاب الإسرائيلي عن أعين الشعب الأميركي .

فرضت على أمريكا ورقة عمل الخامس من تشرين الأول الأميركية الإسرائيلية كنتيجة لحملة عنيفة قامت بها إسرائيل وللاعتداءات المخزية والشائنة على الرئيس كارتر .

نحن لا نخشى المواجهة مع إسرائيل لأننا وضعناها عند حدها ولم تعد تشكل قوة . لقد تقلصت وبتنا نستطيع التعامل معها .

يمكننا التفوق على ما تعبئه إسرائيل خارج نطاق حددودها أو أية مواجهة مخطط لها.

أصبح لديناالأن ما يكفي من المعلومات عن عدونا الاسرائيلي وأساليبه لتأمين انتصارنا في الحالات جميعها .

تعهدنا بهزيمة مآرب إسرائيل ونرفض لعب لعبتها . سنفرض عليها مواجهة شاملة .

عندما سنذهب أخيراً إلى جنيف لن تتمكن إسرائيل من المثول دون مطالبتنا بإعادة الأراضي العربية المحتلة في العام ١٩٦٧ أو بمنح الفلسطينيين حق تقرير المصير

وحقهم بدولة خاصة بهم .

سأذهب إلى جنيف بغض النظر عن هستيريا الإسرائيلين . لم يتمكنوا من ردعي عما أطلب ، ألا وهو الأراضي العربية وحقوق الفلسطينيين .

تخاف إسرائيل من مؤتمر جنيف ، لكن لا مبرر لأي عربي لأن يخاف منه لماذا ؟ لأننا صدرنا إلى المجتمع الإسرائيلي الانقسام والخوف والانهزامية والشك والريبة ، أي ، في الواقع ، كل ما كنا نعانيه في الماضي .

إني مستعد للذهاب إلى جنيف " إني مستعد للذهاب إلى أقاصى الأرض إذا كان ذلك يحول دون جرح جندي واحد أوضابط من أبنائي ، وأقول جرحاً وليس استشهادا سيصعق الإسرائيليون عندما يسمعونني أقول الآن أمامكم بأنني مستعد للذهاب إلى عقر دارهم إلى الكنيست بذاته .

◘ ◘

يقول " عايزر وايزمان " وزير الدفاع الأسرائيلي في ذلك الوقت :

" كنت متوقعاً مثل هذا الخطاب " بتاريخ ٩ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٧٧ ، وأعلنت وسائل الأعلام المصرية كعادتها بأنه سيكون خطابا هاماً . واعترف بأنني لم أكن أبدي انفعالا إزاء خطب السادات اللانهائية ، ولم أكترث للأهمية التي توصف بها سلفاً واعتمدت على خبراء شعبة الأستخبارات ، الذين كانوا يبدون اهتماماً بخطب الرئيس المصري ، ودائما كانت توضع وحدة " حتساف " في حالة تأهب ، وهي الوحدة التي من مهامها تتبع ماتنشرة الصحف وتذيعه الأذاعات العربية في الدول العربية . وأعتاد اعضاء هذه الوحدة على تقديم تقارير بأهم ما ورد في الخطاب ، أحيانا كانوا يفعلون ذلك قبل أن ينتهي الخطيب من خطابه ."

ويعترف وايزمان بأنه في السنوات الأخيرة توقفت " حتساف " عن هذه العادة ، لأن نشرات الأخبار الأذاعية كانت أسرع منهم ، ووصل الأمر بأعضاء " حتساف" أنهم كانوا يتسلون في كتابة خطب " عبد الناصر " والسادات" قبل إلقائها ، كثيراً ما كانوا يصيبون الهدف .

وعندما استعد رجال وحدة " حتساف " لسماع خطاب السادات في مجلس الشعب

كان عايزر وايزمان مشغولا - على حد تعبيره بأمورا أخرى ، كان على وجه التحديد ذلك الهجوم الذي شنه الطيران الأسرائيلي على قواعد الفدائيين في جنوب لبنان .

وهكذا مضى النهار كله دون أن يعرف وايزمان بمضمون خطاب السادات ، وعاد وايزمان إلى بيته .. وباقي ما جرى يرويه على النحو التالي :

" في الليل شعرت بالأنهاك ، والقيت بنفسي على السرير ونمت ، ولم يكلف أحدهم نفسه عناء ابلاغي بخطاب السادات في القاهرة، لأن الخطاب لم يتضمن أي جديد، واشتمل على كلمات معدودة حول الجمود في مؤتمر جنيف ، قبيل انتهاء خطابه الطويل اعرب عن أمنية غريبة ، الذهاب إلي القدس لإلقاء خطاب امام الكنيست لانقاذ حياة البشر ."

ثم يضيف وايزمان قوله :" لقد تحدثت الأذاعة والصحف الصباحية عن الخطاب باقتضاب ولم تتطرق تقريبا لأمنيته الغريبة بشأن الذهاب إلى الكنيست . وانتظرت النص الكامل للخطاب من وحدة " حتساف" وتوقعت أن يقوم سكرتيري العسكري كعادته ، بوضع خطوط تحت الفقرات الهامة في الخطاب ، وكان أول رد لي على أقوال السادات ، يتفق مع ٣٠ عاماً من العداء والحروب ، ولم أصدق كلمة واعتقدت بأنه يتحدث عن رغبته بزيارة القدس دون أن يقصد ذلك حقاً ."

لقد فاجأتني الصحف الأسرائيلية المسائية ، وتطرقت عناوينها الرئيسية لإقتراح السادات ونشرت رد رئيس الوزراء بيجين الذي قبل فيه التحدي الغريب . وكنت لا أزال أنظر إلى الموضوع بعين الشك ، ولم يبد الأمر جدياً بالنسبة لي . ماذا حدث ؟ لماذا قرر السادات فجاة السفر إلى القدس ؟."

◘ ◘

لم يشأ عايزر وايزمان - وزير الدفاع الأسرائيلي - أن يقدم جوابا على سؤاله السابق لكنه يعترف قائلا :

"لقد أخذت أكيل المديح لمناجم بيجين ، أمام الأشخاص الذين صادفتهم وقلت : لقد حل الموضوع ببضع كلمات غير ملزمة ، وأعاد الكرة إلى الملعب المصري . لو حدث ذلك في عهد أشكول أو جولدا مائير أو اسحق رابين ، لكان طلب السادات المجئ

إلى القدس قد رفض رفضاً قاطعاً ، وربما قرر اسرائيل جاليلي بأنه لا يوجد من نتحدث معه .

لكن المثير في الأمر فعلاً هو قول وايزمان " ومع ذلك فقد حاولت تخيل لقاء بين بيجين والسادات ، وبدأ لي هذا التخيل مثيراً للضحك ، فقد تخيلت رئيس وزرائي يطبع قبلة مجاملة على يد زوجة الرئيس المصري ، وأطلقت بعض النكات حول هذا الموضوع . وبعد يومين طلبت من الجميع نسيان هذه النكات ، لأن الذي بدأ لنا خيالا أصبح حقيقة ، وأصبح السادات وبيجين بطلي حدث عالمي ."

وسرعان ما سيجد عايزر وايزمان اجابة على سؤالة الحائر : لماذا قرر السادات فجاة السفر إلى القدس ، فيقول وايزمان :

" حتي اللحظة الأخيرة تقريباً ، رفضت أن أصدق بأن هذه الأشياء ستصبح حقيقة وأمام ناظرى ، ولكن ، ولكن وجهة نظر تلقيتها من شعبة الأستخبارات قد أقنعتني نهائياً بأن الرئيس المصري ينوي حقاً المجئ إلى القدس ، قال رئيس شعبة الاستخبارات

– أن السادات يشبه بطل سباق الحواجز ، الذي تجاوز جميع الحواجز ووقف علي خط النهاية يؤكد وايزمان قائلا : أعجبني هذا الوصف الرياضي الذي قدمه العميد شلوموجازيت "

◘ ◘

كان " شلومو جازيت " قد أصبح رئيس الاستخبارات العسكرية (أمان) في نهاية عام ١٩٧٤ .

وحسبما جاء في كتاب " الحروب السرية للاستخبارات الأسرائيلية ١٩٣٦ – ١٩٩٢" فأنه :

" في أوائل عام ١٩٧٦ بدأ رئيس أمان " شلومو غازيت " يقلق من أن الأسرائيليين لم يلاحظوا التحول في العالم العربي من النوايا العدوانية إلى السلمية !!

بعد صدمة يوم الغفران زادت " أمان " من حساسية هوائيها لجميع ما يتعلق بالتحضيرات العربية للحرب ، لكن هل كانت أجهزة استقبالها متناغمة مع

التحركات العربية بأتجاه السلام ؟! ماذا تكون إشارات التغيير في القلب العربي ؟!
في سبتمبر ١٩٧٦ بدأ " جازيت " يفكر بجدية حول هذا الموضوع ، وتقرب من أجهزة استخبارات أجنبية عديدة ، وبصورة أساسية وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وسأل عن أرائها شأن هذه الدلائل ، لكن اجاباتها لم تكن مفيدة (!!)
عندما تحول " جازيت " إلى هيئة دراسات الشرق الأوسط الأولي في إسرائيل وهي مؤسسة " شيلوح " في جامعة تل أبيب وسأل الأكاديمين عن عدة مؤشرات !
وأخيراً أعد ضباط "أمان " والأساتذة سؤالين :
١- هل هناك تغيير في المقولات الشعبية العربية حول إسرائيل ؟
٢- هل هناك تغيير له معياره في الموقف العربي إزاء إسرائيل وفكرة السلام ؟!
يعترف مؤلفا الكتاب (إيان بلاك وبني موريس) أن " أمان " استندت على هذه الخطوط العامة وبدأ قسم الأبحاث بالعمل وتوصل في أكتوبر ١٩٧٧ - أي قبل حوالي سته أسابيع من زيارة السادات لإسرائيل - إلى نتيجة أنه لا يوجد أي تغيير في العالم العربي فيما يتعلق بالموقف إزاء اسرائيل .
كان قسم الأبحاث يعتقد أن السادات قد وصل إلى مفترق الطرق وأن أمامه خيارين: الحرب أو السلام !!
فقد أعدت اتفاقية سيناء بين مصر واسرائيل في سبتمبر ١٩٧٥ على أن ينتهي مفعولها في أكتوبر ١٩٧٨ وكانت أمان مقتنعه أن مصر لن تجددها وهذا يعني أن الوضع الراهن في سيناء في خطر !
كان قسم الأبحاث يميل إلى الرأي القائل بأن السادات سيختار الحرب على الرغم من عدم إستعداد مصر الواضح لإستئناف الأعمال الحربية ."
وكما قال أحد كبار ضباط " أمان " في سياق المناقشات التحضيرية من أجل إعداد تقدير ألأمن القومي السنوي عام ١٩٧٧ ، وهو تقريبا يمزح : أن مصر يمكن أن تختار السلام ؟!
ويومها ضحك الجميع !هذا تذكره شلومو جازيت فيما بعد !!
أن اعتقاد اسرائيل الأساسي حول المواقف العربية من النزاع جعل من الصعب عليها

أن تأخذ فكرة السلام بعين الأعتبار ، وحسبما كتب "ألوف هاديجين " الذي عمل في مراكز أبحاث رفيعة في إستخبارات الجيش وفي الموساد " أن الثلاثين سنة من النزاع التي سبقت زيارة السادات قد بلورت طرق التفكير عندنا ، بطريقة أن العديد منا كانوا يرون احتمالين : التعايش المسلح أو الحرب."

◘ ◘

كان هناك عائق كبير أمام استخبارات الجيش الأسرائيلي-حسبما يشير مؤلفا الكتاب- وهو انها لم تعلم عن الإجتماع السري الذي عقد في ١٦ سبتمبر بين وزير الخارجية " موشي ديان " ونائب رئيس الوزراء المصري "حسن التهامي " في المغرب، وبشكل أوضح لم يكن لها أي طريقة لتعرف أن رئيس الوزراء " بيجين " سوف يرد بالترحيب على مبادرة مصر .

وفي بداية شهر نوفمبر (١٩٧٧) اقترح نائب رئيس الوزراء "ايجال يادين " إستدعاء الأحتياط الأسرائيلين لمواجهة تهديد مصرى محتمل في سيناء ."(!!)

وهكذا عندما أعلن السادات في ٩ نوفمبر استعداده لزيارة اسرائيل وإلقاء كلمة في الكنيست كانت "أمان" متشككه ؛ كثيراً ، إن لم تكن مشتبهة بها تماماً !!

وقال " جازيت " إنها تبدو خارج إطار التفكير والحالة العامة في مصر ."

وفي اليوم نفسه قال جازيت طوردخاى جور :" هذا هو خداع القرن العشرين "!

كان لأمان أسباب جيدة للشك في أن خطوة السادات حقيقة ،إن الذكريات المريرة لحرب ١٩٧٣ قد غرست في أذهان خبرائها في الشؤون المصرية إدراكاً مبالغاً به لدور الخداع في الأستراتيجية العربية .

أظهرت تقارير الأستخبارات أن الجيش المصري قد كشف التدريب وأنه كان يحضر للحرب عام ١٩٧٨.

وبعد بضعة أيام ترجمت شكوك أمان في تصريح لرئيس الأركان " موردخاى جور " من أن تحرك السادات يمكن أن يكون خطة خداع مصرية لحجب المخططات الهجومية الحقيقية ."

منذ البداية رفض " الجنرال " موردخاى جور " تصديق كلمة واحدة مما جاء في

خطاب السادات أمام مجلس الشعب !!

كان " موردخاى جور " يشغل منصب رئيس الأركان في جيش الدفاع الأسرائيلي وهو الرجل الثاني مباشرة بعد وزير الدفاع " عايزرا وايزمن ."

ووفقا للتقاليد العسكرية فأن أي حوار صحفي مع رئيس الأركان كان لابد قبل نشره من موافقة وزير الدفاع عليه !!

لكن " موردخاي جور " لم يستأذن وزير الدفاع " عايزرا وايزمان " في شأن الحوار بل أن وزير الدفاع فوجئ بالحوار منشوراً في صحيفة " يديعوت احرونوت "وقامت الدنيا ولم تقعد بسبب تصريحات " جور " يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧٧ أي قبل خمسة أيام فقط من سفر السادات إلى إسرائيل !!

وحقيقة الأمر أن " جور " سعى بنفسه إلى الصحافة في هذا الحدث الخطير ، وهو الذي تكلم وأفاض وأسهب في الحديث حول مخاوفة وتحذيره من خداع السادات .

أن تفاصيل ما جرى كاملا جاء في كتاب " عام الحمامة " ومؤداه هو :

لم يدهش الصحفي الأسرائيلى" هاريل " حين تلقي وهو في منزله مكالمة تليفونية من "موردخاي جور " رئيس الأركان ، فقد كان " هاريل " أحد جنود المظلات المخضرمين كما اشترك في حرب ٦٧ وحرب ١٩٧٣ ، كما أنه صديق شخصي "لجور " وساعده في كتابه عدد من كتبه !

طلب " جور " أو" موتاجور " كما يناديه الأصدقاء المقربون - من هاريل أن يأتيه فوراً وتوفيراً للوقت أرسل إليه أحد السيارات الموضوعة تحت تصرفه لإحضاره ، ولم يوجه "هاريل " إلى " جور " سؤالا واحداً بل هرع ينفذ ماطلبه صديقه .

كان "موردخاي جور " يتحدث إلى صديقه الصحفي " اسرائيل هاريل " في حزم وصراحة ، ولم يكن " جور " حتى تلك اللحظة مساء الأحد إذا كان السادات سيأتي فعلاً أم لا !!

لكن المؤكد أن " جور " لم يكن معجباً بفكرة دعوة السادات لزيارة إسرائيل ، قبلها كان قد قال في أحد مجالسه الخاصة أنه كان يجب قبل توجيه الدعوة للسادات أن تقوم الحكومة بالأستفسار من الولايات المتحدة عن أسس مواصلة الحوار بين مصر

واسرائيل بعد أن يعود السادات إلى بلاده !

ورغم أنه لم يكن من اختصاصات وظيفته أن يهتم بمثل هذه المسائل ، فأنه كان كثيراً ما يقول لمساعديه أن زيارة القدس سوف تسبغ على السادات " شهرة عالمية بوصفه رجل سلام ، الأمر الذي يجعل الرأي العام العالمي يلقي على إسرائيل مسئولية حدوث أي فشل !

وبدأ " جور " حديثه الصحفي لصحيفة "يد يعوت إحرونوت " قائلا:

- يجب أن يكون واضحاً للرئيس السادات أنه لن يستطيع أن يخدعنا مرة أخرى ، كما فعل في حرب " يوم الغفران " فنحن نعرف أن الجيش المصري يستعد لشن الحرب ضد إسرائيل في عام ١٩٧٨ ، وذلك بالرغم من كل تصريحات السادات عن إستعداده للقدوم إلى القدس .. أن من يريد السلام ، لا يجري مناورات عدوانيه في نفس الوقت وراح " جور " يروي لصديقه الصحفي تفاصيل المناورات التي أجراها الجيش المصري مؤخراً والتي لم تنشر عنها الصحف الأسرائيلية حرفاً واحداً ، ثم قال بعدها :

- سوف أكون سعيداً إذا كان وراء قدوم السادات إلى القدس رغبة حقيقية في إقامة السلام ، لكن المعلومات المؤكدة التي وصلتنا تشير إلى عكس ذلك ."

كان الحديث قد وصل إلى نهايتة ، وكان الصحفي مذهولا ومندهشا من صراحة جور فقال له بجدية : - لو إنني كنت رئيساً للوزراء ، لفصلتك على الفور بسبب هذه التصريحات !!

واجاب " جور " الذي كان سلفه قد فصل من وظيفته بسبب إتهامه بأنه أخذ على غرة في حرب ١٩٧٣ قائلا :

إذا كان على أن اختار بين تحمل مسئولياتي كرئيس لاركان الحرب - خاصة بعد حرب يوم الغفران - وبين خوفي من الفصل أو التقريع فأن اختياري بلا أدني شك سوف يقع على البديل الأول ."

وكما سبق القول فأن مورد خاي جور" لم يستأذن وزير الدفاع " عايزر وايزمان " وفقاً للتقاليد المتبعة في نشر هذا الحوار ، وفوجئ وزير الدفاع بما قاله " جور "

كاملا !!

ويروي " عايزر وايزمان " تفاصيل ما حدث وقتها على النحو التالي :

وفي خضم الأستعدادات لزيارة السادات تلقيت صدمة شديدة ، ولم أصدق ما وقعت عليه عيناي ، فقد أدلي" جور " بتصريحات عنيفه ، ولمح صراحة إلى نوايا الخداع المتوفرة لدى الرئيس المصري وقال :

إننا نعلم بأن الجيش المصري يقوم باستعدادات لشن حرب ضد " إسرائيل " قبيل عام ١٩٧٨ ، وذلك على الرغم من إعلان السادات إستعداده للمجئ إلى القدس .

وكدت أغلى من الغضب ، كيف يسمح رئيس الاركان لنفسه بالادلاء بمثل هذه الأقوال بدون الحصول على إذن منى ويدون أن يقول لي رأيه حول الموضوع ، فهل كان يجب أن أقرأ آراءه في الصحف ؟!

لقد انقضت وسائل الأعلام على المقابلة ، وكأنها تنقض على كنز ثمين ، ونشرت فقرات منها في جميع الصحف ومحطات الأذاعة والتلفزيون ، واشتدت حدة العاصفه من لحظة لأخرى ، واتصل رئيس الوزراء (بيجين) هاتفيا ، كما أتصل الوزراء وأعضاء الكنيست ووجهوا أسئلة ،فغضبت على " جور " غضباً شديداً ولكنه لم يكن موجوداً ، فقد كان في زيارة لأحدى الجيوش الأجنبية و نشرت المقابلة في غيابه "

كان أكثر ما يقلق بال " عيذر وايزمان " في ذلك الوقت وطبقا لما سجله بنفسه في مذكراته " الحرب من أجل السلام " خشيته من أن " يلغي السادات عزمه على زيارة القدس .. كان باستطاعة الكثيرين اتهامنا باهداد الفرصة التاريخية بسبب مقابلة صحفية بائسة لرئيس الأركان ، الذي فتح فمه بدون استشارة المسئولين عنه وبالتشاور مع رئيس الوزراء (بيجين) قررت القيام بخطوه منقطعه النظير : فقد وبخت رئيس الأركان من على منبر الكنيست وقبل الأستماع إلى وجهة نظر " جور"!

لقد أوجب نشر المقابلة رداً شديداً ولكن كيف ؟! أن من غير الممكن معاقبة رئيس الأركان بل يمكن عزلة ، ولكني لم أعتقد بأن اقتراح السادات لزيارة " اسرئيل "يستحق إقالة " جور "!!

لقد استدعي جور من المطار بملابسه المدنية إلى مكتب وزير الدفاع وكنت انتظره بفارغ الصبر ، ولم أستطع أن أفهم الدوافع التي جعلته يدلي بما أدلي به من أقوال، وكان غضبي لاحدود له !!

واستقبلتة غاضباً وأردت أن أصرخ وأهدء ، ولكنني تحدثت بصوت خافت ، وقال جور :

أنه وجد بأن واجبه يحتم عليه التحذير من الخطر الذي سيحدق بأسرائيل نتيجة زيارة السادات ، وقال أنه لم يشأ إزعاج المستوى السياسي ، لأنه أدرك أن المسئولية " الأمنية " بعد حرب تشرين (أكتوبر) تقع علي رئيس الأركان !

وقلت له : أن واجبه يحتم عليه ابداء رأيه أمامي وليس أمام الصحف ، وجرى الحديث بيننا في جو متوتر !!

أن الأصوات العلنية التي طالبت بإقالة رئيس الأركان ، لم تجد طريقها إلى قلبي ، فقد عزل رئيس أركان الجيش الأسرائيلي بعد حرب تشرين (أكتوبر) ولم أرغب في توجيه ضربة جديدة للجيش الأسرائيلي ، ومع ذلك فقد وجدت لزاماً على أن أرد وقلت للموردخاي جور" : أنني أنوي تقليص خدمته كرئيس للأركان بحيث ينتهي مهام منصبه في نهاية كانون الأول ١٩٧٧ وليس في نيسان (ابريل) ١٩٧٨ مثلما اتفقنا قبل ذلك بأسبوع !!

فغضب جور وقال :

- لا في نهاية كانون الأول ولا في هذه للحظة ، ولا يمكن معاقبتي ، أما أن أعزل من منصبي أو يطلب مني الأستقالة ؟!

فقررت عرض الموضوع على رئيس الوزراء (بيجين) لأتخاذ قرار بهذا الشأن !! وبعد دقائق كنت في سيارتي متجهاً إلى القدس للاجتماع برئيس الوزراء بيجين ."

وبعد ذلك جرت الحادثة المعروفة (انقلاب سيارة " عايزر وإيزمان") ما تسبب في إصابته اصابه خطيرة ألزمته الفراش في المستشفي ومنعه الأطباء من الحركة تماماً !

□ □

وبينما كانت انظار العالم كله تتجه إلى إسرائيل لمعرفة الخطوة التاليه التي ستقدم

عليها اسرائيل بعد عرض السادات المفاجئ ، كانت اسرائيل نفسها في غاية القلق والأرتباك . ولم تحسم أمرها في خطوتها التالية .

وسرعان ما يعترف وزير الدفاع الأسرائيلي " عايزر وايزمان " قائلا :

"كان الوقت يمضي بسرعة ، وكانت أنظار العالم متجه نحو حلبة الأحداث ، وتخيلت بأن التاريخ توقف للحظة ، ولكن حكومة إسرائيل لم تكرس ولو للحظة واحدة للتفكير بما سيحدث أو ستغير عندما ستطأ أراضي إسرائيل قدم أكبر اعدائها وافترضت بأن "بيجين " و ديان " يفكران ويعملان كثيراً في الموضوع ولكن الحكومة لم تفعل أي شئ .

" أتصلت هاتفياً مرات عديدة بمكتب رئيس الوزراء في القدس ، واقترحت إجراء نقاش في الحكومة ،أو على الأقل في اللجنه الوزارية لشئون الأمن للأستعداد للزيارة ونتائجها . ولم أتلق أي رد . وحاولت أن تستعد وزارة الدفاع على الأقل للزيارة وطلبت من رئيس شعبه الأستخبارات تقدير الوضع ."

وسرعان ما يصف عايزر وايزمان رئيس شعبه الاستخبارات بقوله " شلومو غازيت" رجل موهوب ومثقف ومخلص في عمله . وكان حذراً أكثر من رؤساء الأستخبارات السابقين الذين وضعوا إسرائيل في وضع صعب في حرب تشرين .

واستطاع وضع الاستخبارات على قدميها ، وكان يصيغ تقديراته دائما بحذر وتعقل . وكنت أتقبلها بدون تحفظات ."

بأختصار شديد كان رأي " رئيس شعبة الأستخبارات" كما عرفه وزير الدفاع الأسرائيلي يقول الآتي :

السادات ينوي فعلا المجئ إلى إسرائيل ، وأعرب عن إعتقاده بأنه لم يكن أمام رئيس الوزراء خيار سوى توجيه الدعوة إليه ، وإلا فأن وضعنا السياسي سيصبح أكثر تعقيداً ولن يصدقنا أحد عندما نزعم بأن العرب لا يريدون التفاوض معنا ."

وأضاف شلومو جازيت قوله :

" أن الرئيس المصري سيقدم في الكنيست مطالبه المتطرفة للغاية ، وهي المطالب التي رفضتها " إسرائيل " أكثر من مرة ."

ثم يؤكد عايزر وايزمان بعد ذلك :

" قدم لي جازيت صورة غير مشجعة للمصيدة التي ينصبها السادات لأسرائيل ."

وأمام عدسات التليفزيون وعلى الهواء مباشرة كان بيجين يقوم بتسليم الدعوة إلى السفير الأمريكي في أسرائيل " صمويل لويس " قائلا له :

- ها أنا يا سعادة السفير أسلمك خطاباً شخصياً موجها مني إلى السادات أدعوه فيه للقدوم وزيارة بلادنا .

□ □

وفي ساعات وصلت إلى الرئيس السادات نص الدعوة الرسمية لزيارة القدس ، والتي جاءت سطورها على النحو التالي :

سيادة الرئيس أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية - القاهرة.

بأسم حكومة إسرائيل أتشرف بتوجيه هذه الدعوة الودية اليكم للقدوم إلى القدس لزيارة بلدنا .

أن استعداد سيادتكم للقيام بمثل هذه الزيارة كما عبر تم عنها في اجتماع لمجلس الشعب المصري قد قوبل هنا بالأهتمام العميق والأيجابي ، كما عبرتم في بيانكم عن رغبتكم في توجيه خطاب إلى أعضاء برلماننا الكنيست ، وفي الأجتماع بي .

وإذا ما قبلتم دعوتنا - كما اامل - فسوف نتخذ الترتيبات لتوجيه خطابكم إلى الكنيست من فوق منبر الكنيست وسوف يكون بمقدوركم أن شئتم أن تلتقوا مع مختلف المجموعات البرلمانية بالكنيست ، هؤلاء الذين يؤيدون الحكومة والذين يعارضونها على حد سواء .

وفيما يتعلق بتاريخ زيارتكم المقترحة فسوف يكون من دواعي سرورنا أن نلتقي بكم حيثما كان ذلك ملائماً لكم . وقد حدث أني كنت مرتبطاً بالتوجه إلى لندن يوم الأحد الموافق ٢٠ نوفمبر في زيارة رسمية لبريطانيا بدعوة من " جيمس كالاهان" رئيس الوزراء البريطاني ، فإذا أبلغتموني سيادة الرئيس إنكم مستعدون للمجئ إلى القدس يوم الأثنين الموافق ٢١ نوفمبر فسوف أعتذر لمستر كالاهان رئيس الوزراء وأرتب تأجيل زيارتي إلى بريطانيا حتي يتسني لي أن أستقبلكم شخصياً وأن

نبدأ معاً سوياً محادثات حول إقرار السلام الذي يعرف كلانا أن شعوب الشرق الأوسط تصبو إليه وتصلي من أجله .

أما إذا قررتم أن تأتوا إلى هنا يوم الخميس الموافق ٢٤ نوفمبر أو بعد ذلك فسوف أعود من لندن مساء يوم الأربعاء واستقبلكم .

اسمحوا لي سيادة الرئيس أن اؤكد لكم أن برلمان وحكومة وشعب اسرائيل سوف يستقبلكم بالاحترام والود .

إمضاء " مناحم بيجين"

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن يتوجه " بيجين " إلى الكنيست لكي يحصل على موافقته رسمياً على توجيه الدعوة للرئيس السادات لزيارة اسرائيل .

وفي صوت مشحون بالانفعال والجدية ودراما الحدث ذاته قال بيجين لأعضاء الكنيست "سوف نتحدث أنا والرئيس المصري عن السلام . وأنا سعيد لأن أي من الجانبين لم يضع شروطاً مسبقة للقيام بهذه الزيارة . أن توجيه هذه الدعوة إلى السادات لا يعني إننا نحاول بذر بذور الفرقة والخلاف بين الشعوب العربية ، وأنا على إستعداد لاجراء مفاوضات من أجل السلام ومن أجل عقد معاهدة صلح مع جميع جيراننا.

وأضاف بيجين قائلا في جدية شديدة :

" ونحن نعتقد أنه ليس هناك من سبب يبرر العراك بيننا وبين مصر ، ولقد كان الصراع بيننا طويلا ومأسوياً وغير ضروري (!!) وأنا أدعو السادات للمجئ إلى هنا كي نبدأ المفاوضات من أجل السلام ."

كانت قاعة الكنيست يلفها الصمت المطبق ، والوزراء في حالة إنصات كامل ، ويرتدون على غير العادة البذل الكاملة ، فقد كانت كاميرات التلفزيون تنقل ما جرى على الهواء مباشرة . وتركز الكاميرات على وجه بيجين وكان يقول :

"وأنا أوجه نفس الدعوة أيضاً إلى الرئيس السوري وإلى الملك حسين وإلى الرئيس اللبناني" .

ووسط الصمت الرهيب انطلق صوت ممثل الحزب الشيوعي الأسرائيلي " مائير ويلز وكان من مناصري إنشاء دولة فلسطينية يقاطع بيجين متسائلاً في تحدي :

".. وهل ستوجه الدعوة أيضاً إلى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية " ياسر عرفات.؟

كان السؤال مفاجئا ومباغتاً وَربما كان خارج الأهتمام في تلك اللحظات ، لكن بيجين رسم على وجهه ابتسامة باردة وقال على الفور :

"ليست هناك ضرورة لأن تدفعني ياويلز . وأتمني حين يقدم السادات إلى هنا الاتقاطعه باسئلتك كما تفعل الآن ..

وضجت قاعة الكنيست بالضحك ، وعندما طالبه الأعضاء بقراءة مضمون الدعوة التي كتبها للرئيس السادات ، اعتذر قائلا :

ليس من الائق إعلان الدعوة حتي يقرأها الرئيس المصري أولا ...

وبعد ذلك تم الأقتراع على دعوة السادات لزيارة اسرائيل فوافق ٨٨ عضواً على مجئ السادات والحديث أمام الكنيست ، أما الأعضاء الثلاثة الذي رفضوا ذلك فقد كانوا اعضاء الحزب الشيوعي الأسرائيلي .(!!)



٤

ومبادرة چيهان
شتاء 1974

فى خريف ١٩٧٣ فوجئ الرئيس السادات بما فعلته زوجته السيدة چيهان ووجه اليها لوماً شديداً وقاسياً ؟!

فوجئ السادات بزوجته ترد على خطاب من سيدة اسرائيلية وقال لها لائما :

- ان الوقت لا يزال مبكراً للاتصال بالاسرائيليين !!

وفى خريف ٧٧ فوجئت چيهان بما فعله السادات وهز العالم كله بمبادرته .

.. كانت السيدة « چيهان السادات » آخر من يعلم بالقرار !!

نعم فوجئت السيدة « چيهان السادات » بقرار زوجها بالسفر إلى القدس !!

فوجئت وأندهشت وأرتبكت وأنتابها الخوف على « الرئيس » الذى هو زوجها وأبو اولادها قبل أى شىء آخر !!

وقبل سنوات قليلة ، كان الكاتب الكبير « أحمد بهاء الدين » يعتقد بل ويؤمن أن «الشخص الوحيد فى العالم الذى يمكن أن يعرف مولد الفكرة لأول مرة بشكل جدى هو السيدة « چيهان السادات » التى ربما تستطيع إذا ارادت أن تجلى تلك النقطة التاريخية الغامضة » !!

وفى أول الامر وفى نهايته فقد كان السادات بالنسبة لچيهان هو الحبيب والصديق والزوج وأبو الأولاد وكان شعورها بالخوف عليه طبيعياً وله مبرراته الأنسانية وحسب

قولها فيما بعد : « كنت مقتنعة ان زوجى لن يعود من القدس حياً . . كنت قلقة جداً على حياته . . »

فى ذلك الوقت من شهر يناير ١٩٧٤ كان قد تم التوقيع على الاتفاقية الأولى لفض الاشتباك بين مصر واسرائيل وبعد عدة أيام فوجئت چيهان بتلقى رسالة من سيدة اسرائيلية اسمها « روش ليز » وهى أم اسرائيلية قتل ابنها فى حرب اكتوبر ١٩٧٣.

وحسبما روت چيهان فى مذكراتها فقد كتبت لها السيدة تقول :

سيدتى اننى أمد يدى من وراء معسكرات القتال لأسألك أن تقومى بتوحيد جميع النساء اللاتى مثلك ومثلى يرغبن فى وضع حد للتصرفات العدائية ، ولتكوني إتحاد يكون على إستعداد للتعاون مع النساء فى إسرائيل ، نحن النساء إذا اتحدنا فأننا سنشكل قوة عظيمة لا تترددى فكل يوم يحسب ، وكل يوم يأتى ، تأتى معه ضحايا جديدة وليست بضرورية»

وكان تعليق چيهان على رسالة هذه السيدة الاسرائيلية هو قولها :

« لقد وافقت على ما قالته تماما . ان الآمنا فى الحرب واحدة .

أجبت على رسالة السيدة « روث ليز » برسالة نشرت فى الاعلام الاسرائيلى تقول : أننى أتمنى أن تحذف كلمة « حرب » من قاموس العلاقات الانسانية .

أننى اتمنى ان يقوم قادة إسرائيل بتوجيه جهودهم نحو السلام ، فالقوة لا تستطيع حل مشاكل الأنسانية ، هذا هو أيمانى العميق وهذا هو نداء زوجى إنه حتم علينا ان نعرف ان الحب والصداقه أفضل من العراء والخصام !! »

أنتهت رسالة چيهان السادات كما أوردتها فى مذكراتها ، لكن ما لم تذكره وسبق أن صرحت به فى اعقاب زيارة السادات للقدس فى حوار اجرته معها مجلة « تايم » الأمريكية هو قولها :

« وقد لامنى زوجى على الأتصال بالإسرائيليين وقال ان الوقت ما زال مبكراً »

وحسبما يقول « موسى صبرى » والذى كانت السيدة « چيهان السادات » قد كلفته بكتابة ردها على رسالة السيدة الأسرائيلية ، ان رد السيدة « چيهان » كان مؤثرا

ونشر فى الصفحات الأولى فى كل صحف إسرائيل وأعطى أثراً طيباً عن ان السيدة الاولى فى مصر من مريدى السلام .

وقد لمس كرايسكى « مستشار النسما بنفسه اثر هذه الرسالة عندما زار إسرائيل وجرى حديث سائق التاكسى معه عن روعة هذه الرسالة وهذا ما قاله لى عندما لقيته فى ڤيينا. »

◘ ◘

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها اتصال غير مباشر بين السيدة «چيهان» وبين اسرائيلى ما !!

فهناك اتصال آخر لا تذكر السيدة چيهان عنه شيئا فى مذكراتها ، لكننا سمعنا به وقرأنا تفاصيله فى عدد « الهلال » الخاص الذى صدر بمناسبة مرور أربعة سنوات على حرب أكتوبر أى قبل شهر واحد من مبادرة السادات نفسها .

كان العنوان الذى نشر به الموضوع هو « رساله من مدرس اسرائيلى ورد من چيهان السادات » وقدمت الهلال لهذه الصفحات بقولها :

« فى ديسمبر ١٩٧٣ كتب مدرس اسرائيلى رسالة الى سيدة مصر الأولى « چيهان السادات وقد ردت السيدة چيهان على هذه الرسالة فى ١٤ فبراير سنة ١٩٧٤ رداً إنسانياً رائعاً يصور حقيقة الفكر الانسانى العربى بعد نصر اكتوبر العظيم فنحن لم نحارب غروراً او من اجل الدمار والخراب ، بل كنا نحارب من اجل البناء والحضارة وتحرير الارض والانسان. . »

وكانت رسالة المدرس الاسرائيلى الى السيدة چيهان على النحو التالى وبالحرف الواحد

◘ ◘

عكا - ٢٣ ديسمبر ١٩٧٣

إلى صاحبة السعادة حرم أنور السادات - القاهرة .

سيدتى العزيزة :

مضى وقت طويل منذ شعرت أننى يجب ان اكتب اليك ، إذ اننى اعتبرك أم

المصريين وانا اتوجه اليك باسم اسر كل الجنود الاسرائيليين المفقودين على الجبهه المصرية وباسم اسرتي التى بودى ان اقص عليك قصتها هنا فى هذا الخطاب :

لقد كانت اسرتي « اسرة » كمهى » .. اسرة اسرائيلية عادية الى ان اندلعت الحرب الاخيرة وقد انزعجت الام مثل اى ام .. كثيراً وانتظرت بصبر ينفد ان تصلها مكالمة تليفونية من ابنها ، واعتراها الخوف من كل طرقة على باب بيتنا ، ومع ذلك فما خشيت منه حدث يوم الجمعة ١٩ اكتوبر (١٩٧٣) وكان نص الرسالة كالآتى :

" ابنك ايلى كمهى » مفقود منذ قيام كوماندوز البحرية بعملية فى بورسعيد بتاريخ ١٧ اكتوبر .. لقد خرج هو وصديقه « اودد امير » لأداء المهمة ولم يعودا . »

وفى منزل أبى وأمى توقف الزمن فى هذا اليوم ، وحاول والداى ان يخفيا حزنهما ويتقبلا النبأ بشجاعة رغم ان قلبيهما مثقلان بالحزن وقد رجوتهما ان لا يبكيا ويخففا الآمهما ودفعتهما الى التمسك بالأمل ثم جاءت أيام مجنونة من الامل والايمان ، قد يكون وقع فى الاسر ، ومر يوم اثر يوم تمزق والداى بين الامل والياس الى ان جاء اليوم المرير حين نشرت كل قائمة اسرى الحرب ، ففى هذا اليوم تطلعنا بصبر نافذ الى الرجل ذى البزة الرسمية الذى سيأتينا بالانباء .

لقد كان يوماً طويلا جداً ولكن لم تصل الانباء المتوقعة .

وكانت الايام التى تلت ذلك اياماً سوداء ومريرة من الصعب وصفها . أطلق أبى لحيته دون ان يعلن سبب ذلك ، وسجنت والدتى نفسها فى المنزل ، والهواجس والافكار تنتابها حول ما قد يكون حدث لأخى والخجل يعتريها ، وهى تشبع حاجاتها العادية من طعام وشراب ونوم بينما مصير ابنها مجهول ، إنها تدور فى الحجرات دون هوادة والمنزل مملوء بصور أخى والاشياء التى أنجزها وكل ركن يذكرها بابتسامته التى تكشف عن اسنان بيضاء وعن قوته وعن قوة وجهه اللطيف وبصفة خاصة عن صغر سنه وعطفه وانا اتلفت حولى فى تعجب حزين !

ومضى المدرس الاسرائيلى يقول للسيدة چيهان السادات فى رسالته اليها :

« لقد نشأنا فى منزل شُرِحَتْ فيه أصول الصراع العربى الاسرائيلى بصوت موضوعي وباعتبارنا مواطنين قدامى لمدينة عكا المختلطة بالعرب واليهود فكثيراً ما كنا

ضيوفا فى منازل العرب ، والعرب فى منازلنا ، وتعلمنا ان نعتبرهم كآدميين وليسوا اعداء ، لقد تعلمنا حب الجنس البشرى وان نحاول فهم الآخرين .

ويحيط بأبى اصدقاء عرب وحين سمعوا عن اختفاء أخى رفض قاضى عكا ان يبارك المسلمين فى نهاية شهر رمضان وأخبر أبى ان قلبه لن يكون مسروراً اذا ظل اخى مفقوداً ورفض أصدقاء ابى أن يحصلوا على اجازاتهم وبكى الاصدقاء العرب على مكتب ابى الى ان اضطر الى ان يطلب منهم الانصراف من مكتبه وذلك لكيلا ينفجر فى البكاء !

وانا انظر الى نفسى كشخص تربى فى هذا المنزل وأصبح مدرساً فى اسرائيل وفى احد دروسى قصت إحدى تلميذاتى حلماً راته فى نومها - فقد رأت نفسها تقتل جندياً عربياً وشعرت التلميذة بانها بطلة وقد أمتلات انا بالغضب منها وشرحت لها انه لا يوجد شخص يستحق الثناء على القتل ، ونحن لا نعلم القتل ، فالجندى العربى كالجندى الاسرائيلى إنسان إضطر للقتال إطاعة الاوامر ، ولم يتغير موقفى بالرغم من مصيبتنا ، ولقد قلت هذه الكلمات أمام تلميذاتى بصورة طبيعية تماماً باعتبارها جزءاً منى .

وانا أخبرك يا أم المصريين أن بكاء أبى الذى لم يبك من قبل ابداً ، وبكاء والدتى الصامت وملابسها السوداء وحزنها العميق - سيطاردانى على الدوام - وتنتهى قصتى هنا ، وهى قصة حزينة لأسرة من بين الآف القصص عن الاسر الحزينة على كلا الجانبين ، ومازال مصيره مجهولا وربما كان بوسعك مساعدتنا » .

« المخلص »

« أوفيرا تبليم هيرتزوج »

« عكا - إسرائيل »

ولا أحد يجزم بحقيقة المشاعر التى انتابت السيدة چيهان بعد استلامها تلك الرسالة المثيرة لا هى أفصحت ولا الآخرين تكلموا ، لكن المؤكد انها قرأتها باهتمام وعناية بل وردت عليها !

وبدأت السيدة چيهان السادات ردها على خطاب المدرس الاسرائيلى كما يلى :

السيدة اوفيرا تبليم هيرتزوج

قرأت رسالتك التى وصلتنى عن طريق الصليب الاحمر ، بأمعان شديد واهتمام كبير ، ولقد تاثرت كثيرا للالام القاسية التى تعيش فيها اسرتك ، فأننى اقدر تماماً مشاعر الام عندما تفقد ولدها وهو قطعة من قلبها .. وأعرف تماماً مشاعر الاب الذى يلم به مثل هذا المصاب واراحنى ان جيران اسرتكم من العرب قدموا لكم ما استطاعوا ان يحسوا به من مشاعر المشاركة فى مصابكم ، فهذه هى الطبيعة العربية عبر اجيال التاريخ المتمسكة دائما بالتقاليد الانسانية الكريمة ..

تأثرت لمشاعر والدتك - لاننى أم ، ولاننى التقيت بأمهات وأباء من بنى وطنى فقدوا ابناءهم شهداء فى حرب اكتوبر ، ولاننى كرست نفسى لخدمة ابنائى الجرحى والمصابين فى المستشفيات ، وشاركتنى فى ذلك ابنتى « لبنى » و « نهى » وهما طالبتان فى الجامعة وكل افراد اسرتى ، وتطوع لهذه الخدمة مئات من سيدات مصر وشبابها !

وهذه هى نتائج الحرب ، التى حاولنا بكل الوسائل ان نتجنبها وان نفتح ابواب السلام ، حتى لا يواجه أحدٌ ويلاتها وهى أولا خسارة شباب من الجانبين لهم احلامهم وآمالهم فى المستقبل السعيد ، ولهم أسرهم التى ترى فيهم كل بهجتها وسعادتها..

ومضت رسالة چيهان السادات المؤثرة تقول :

كان زوجى رئيس الجمهورية الذى أؤمن بكل جوارحى انه رجل محبة وسلام يردد دائما اننا قادرون على القتال لتحرير ارضنا المحتلة ، ولكننا لا نريد الحرب من اجل الحرب بل إننا نريد السلام ، ولذلك فقد طرقنا ابواب السلام أينما وجد طريق الى السلام .

خاطبنا زعماء العالم جميعهم شرقاً وغرباً لكى يتدخلوا من اجل إقرار سلام عادل ودائم وحتى لا نضطر دفاعاً عن الارض والشرف والكرامة ان نلجأ الى القوة العسكرية ، ولكن بكل الاسف - اوصد رجال الحكم فى اسرائيل ، وهم قادة المؤسسة العسكرية كل الابواب ، وصموا كل الآذان ودفعونا بعنادهم رغم صبرنا الطويل والحاحنا الدائب على السلام ان نلجأ الى القتال فكانت الحرب وكانت

نتائجها واستشهد الآلاف .

لقد فرض علينا القتال وماكنا نريد الا السلام .

ولعل نتائج الحرب أقنعت المهيمنين على حكم اسرائيل ، ان السلام هو اسلوب الحياة وأن الجوار الذى ينشدونه مع الشعوب العربية ، لا يمكن أن يتحقق بالكراهية والدم والاحقاد وان البيت السعيد هو هدف الحاكم من أجل المحكوم ، وأن طبائع الاشياء لا يمكن أن تتحدى حكمة التاريخ ، وانه لا سعادة على حساب شقاء الآخرين ، ولاحياء اذا كان سبيلها سلب حياة الآخرين ، وإن الاعتراف بحقوق الغير رمز قوة وعدل ، وان احترام حق الشعوب فى ارضها هو الطريق الى الحياة الافضل التى يجب ان ينشدها الانسان فى كل مكان .

وأود قبل أن أستطرد فى الرد علي رسالتك أن اؤكد لك ، أننى اعطيت كل إهتمامى للسؤال عن مصير شقيقك المرحوم « إيلى » وقد علمت أن قواتنا لم تستطع العثور على جثمانه لان امواج البحر قذفته بعيداً أثناء هجومه كضفدع بشرى على شاطئ بورسعيد ، فبينما عثرت قواتنا على جثمان زميله وقد أجابنى المسئولون أنهم لم يبخلوا باى جهد فى البحث عن جثث الضحايا لان للموت جلاله فى ميدان القتال ، ولجثمان المقاتل حرمته !

وأرجو أن تبلغ عزائى إلى والدتك وأسال الله أن يعوضها عن فقد وليدها بمستقبل تعيشه فى سلام ، وإنى إذ أحى فيك الروح الإنسانية الرامية إلى السلام ، أقول أنه لو أن كل مسئول في إسرائيل ، فعل ما فعلته أنت مع تلميذتك التى شعرت بانها بطلة حينما حلمت أنها قتلت عربياً لا مكن حقا أن يسود سلام دائم وتنشأ أجيال جديدة بقلوب مفعمة بالحب والسعادة ولأنتهى تماماً هذا المشهد الغريب ، مشهد الشباب اليهودى فى العالم الخارجى الذى يجمع التبرعات لاسرائيل تحت شعار « إدفع دولاراً لتقتل عربياً »

ان الحرب لا تعرف منتصراً حقيقاً او منهزماً حقيقاً فالخسائر تصيب الامهات والزوجات والاباء .

وهذا ما حاولنا بكل الجهود الدبلوماسية أن نتجنبه .. إن قلوبنا تتوجع من الاعماق

لفقد شاب واحد أو طفل واحد ، وقد أستشهد فى اليوم الاول للقتال الضابط الطيار شقيق زوجى رئيس الجمهورية ، وكل شهيد فى قتال العاشر من رمضان هو إبننا وقطعة من أرواحنا .

وفى نهاية الرسالة تقول چيهان السادات :

ومرة أخرى أؤكد لك ولكل من يقرأ هذا الخطاب من اسرتك وجيرانك واصداقئك وتلاميذك .. إننا جادون فى كل خطوة من أجل السلام العادل الدائم .. السلام عدل ومحبة إننا نريد أن نبنى ونعمر .. نريد أن يصل شعبنا الي تحقيق الامل فى أسرة سعيدة وبيت سعيد .

ولك تحيتى واشكر لك ثقتك فى شخصى التى عبرت عنها رسالتك

واكرر التعزية للسيدة والدتك .

« جيهان السادات »

« ١٤ فبراير ١٩٧٤ »

وأثارت رسالة السيدة چيهان السادات - وقتها - ردود فعل عنيفه ، كان أكثرها حدة أنها بمثابة إعتراف صريح بأسرائيل ، لكن الشاعر العربى الكبير « نزار قبانى » رأى فى هذه الرسالة عملا متحضرا راقياً ، لقد قرأ الرسالة وانفعل بها ، وتحت عنوان « الكتابة علي العقل الاسرائيلى . . ، كتب نزار قبانى واحدة من أحلى مقالاته ونشرها فى مجلة الاسبوع العربى [١٨ مارس ١٩٧٤] ويقول فيها :

الرسالة التى كتبتها السيدة « چيهان السادات » إلي المدرس الاسرائيلى» اوفبرا هيرنزوج « ليست مجرد رسالة عارية تقرأ كبقية الرسائل ، وليست عملا بروتوكولياً يمليه عليها مركزها الرسمى .

إن چيهان السادات فى رسالتها الراقية تتكلم لغة حضارية جديدة ، وترجع بالقضية الى ينبوعها الاول : الانسان !

إن أى حوار لا ينطلق من الانسان ، ولا ينتهى به ، هو حوار ضيق وهامشى ، ونوع من الكتابة على الماء . وچيهان السادات لم تكن تكتب على الماء ، وإنما كانت

تكتب على العقل الاسرائيلى ، والكتابة علي العقل الاسرائيلى ليست خطأ قومياً كما يتصور البعض ، ولكن الخطأ هو أن نبقى مقتنعين بأن الكلام مع أنفسنا هو أجمل أنواع الكلام .. وبأن الكتابة على راحات أيدينا هى أرقى أنواع الكتابة .

حاولت چيهان السادات أن تشرح للمدرس الاسرائيلى الحزين - بسبب موت أخيه إيلى أثناء غارة كوماندوز على مدينة بورسعيد خلال حرب تشرين ، أن الحزن الاسرائيلى هو شجرة طلعت من رحم الحزن العربى ، وأن دموع أمه ليست سوى جدول صغير فى بحور دموع الامهات العربيات .

كما شرحت له أن البكاء وهو قاسم مشترك بين الباكين ، وأن الامهات اليهوديات اللواتى ينتحبن فى مقابر عكا وحيفا ، ليس أكثر أمومة وأشد لوعة من الامهات العربيات اللواتى ينتحبن فى مقابر دمشق والقاهرة وأن التعادل فى الموت يصبح القانون الوحيد حين يصبح التعادل فى الحياة أمراً مستحيلا .

ومضى نزار قبانى « يقول فى رسالته :

إن مشكلة الصهيونية الاساسية انها رفضت فكرة « التعادل فى الحياة » حتى إضطر أخيراً الى قبول فكرة « التعادل فى الموت » . وإذا كان الضفدع البشرى الاسرائيلى « ايلى هيروتزوج « لم يعد إلى بيته عكا لتناول طعام العشاء فإن المئات من أولادنا لم يعودوا إلى بيوتهم ، ولم يجلسوا هم أيضا على مائدة العشاء .

لقد غرق « إيلى هيرتزوج » فى مياه بور سعيد لانه كان يحمل بيده الموت ، ولم يكن يحمل وردة او رسالة حب . ولو كان يحمل الينا زهرة حب لقدمنا اليه مائة زهرة مقابل الزهرة .

فالعرب على أمتداد تاريخهم أهل تسامح ومروءة ومحبة ولكن « ايلى هيرتزوج » لم يأت الينا بمهمة غرامية ولكنه جاءنا بمهمة بربرية فاذا إبتلعه الموج على شواطئنا فلانه جاء لكى يقتل الحياة ويطفئ ضوء الشمس .

هل تسمح لي السيدة چيهان السادات أن أضيف بعض الهوامش علي رسالتها فأسأل المدرس الاسرائيلى « اوفيرا هيرتزوج » بعض الاسئلة البسيطة :-

لماذا لم يخطر ببالك ان تكتب رسالتك خلال حرب حزيران ١٩٦٧ يوم كانت الالة

الحربيـة الاسرائيلية تطحن فى طريقها الشجر والبشر وتمر علي اجساد الوف الشباب العرب الذين لا يقلون عن اخيك شباباً ، ووسامة ، وتطلعا الى الحياة !!

لماذا لم يخطر ببالك أن تتحدث عن التعايش بين العرب واليهود على أرض فلسطين حين كانت حراب الجنود الاسرائيليين تبقر بطون النساء وتذبح الاطفال والشيوخ فى « قبية » و « ويرياسين » و « جزيرة شدوان » وتفتت أجساد اطفال مدرسة ابتدائية بكاملها فى « بحر البقر » ؟!

هل يكون موت أخيك هو الموت الوحيد ويكون موت الاخرين موتاً مجانياً ؟!

لماذا كتبت الى زوجة الرئيس المصرى ، ولم تكتب إلى رئيسة وزرائك التى لا تزال تصر حتى بعد أن أبتلع البحر أخاك .. على أن الجولان هى جزء من أرض اسرائيل ؟

ولماذا لم تكتب الى مناحم بيچين واريل شارون ودافيد اليعازر » وموشى ديان وبقية العنصريين الصهيونيين الذين يريدون ان يصيغوا لكم وطناً من حديد الدبابات وزئير الطائرات وأحزان الآخرين ؟!

نحن لم نقتل أخاك يا أوفيرا هيرتزوج بدليل أنه كان يعيش فى عكا .. كما جاء فى رسالتك . مع جيرانه فى إطار مثالى من السلام ، وأنت كاستاذ فى مدرسة للبنات لابد أن تكون قد قرأت فى كتب التاريخ أن اليهود فى المجتمعات العربية كانوا مواطنين متساوين فى الحقوق والامتيازات وفرص الحياة مع بقية المواطنين وكانت لهم تجاربهم وحوانيتهم واحياؤهم ومدراسهم ومعابدهم بل كانوا يمثلون فى بعض البلدان العربية الطبقة الاوفر نعمة والاكثر ثراء .

وختم نزار قبانى رسالته بقوله :

ان رسالتك تكشف عن بداية وعى المثقف الاسرائيلى بعبثية وجوده واستحالة تأسيس دولة لاسرائيل بالمعادلة العسكرية وحدها فالمعادلات العسكرية ليست معادلات ثابتة ولا أبدية فهى كالسحب الخريفية تهطل مرة عليكم .. ومرات علينا ، فهل يمكن أن تقول هذا الكلام لتلميذاتك قبل أن يلتحقن كمجندات فى الجيش الاسرائيلى هل يمكن ان تضئ لهن شمعة فى ليل الحقد الطويل ؟!

« نزار قبانى »

انتهت رسالة نزار قباني ، في شتاء ١٩٧٤ ، وبعد عامين أدرك نزار ببصيرته الكبيرة مدى معاناة وأوجاع مصر السادات والضغوط الهائلة التى يئن تحتها السادات وايضا مصر .

وبتاريخ ٢٠ يناير ١٩٧٥ وتحت عنوان « مصر تريد فولا وطعمية لا رسائل غرامية» كتب يقول :

لو كنت مكان الرئيس أنور السادات لإعتقلت المدعو حاتم الطائي عند وصوله الى مطار القاهرة الدولي ، وأحلته للنيابة العامة بتهمة تزوير التاريخ ، وانتحال صفة الكرم الكاذب

ولو كنت مكان الرئيس السادات لشطبت من كتب التاريخ في المدارس المصرية إسم هذا الرجل الذى إستثمر لحم ناقته الفاً وخمسمائة سنة ليمارس علينا أعمال النصب والاحتيال ...

مصر تضع يدها علي بطنها من قسوة الجوع ...

مصر ترهن أساورها ... وظفائرها .. وملاءتها .. وتمد يديها الي شبابيك سيدنا الحسين طالبة المدد ...

ولا احد يقرأ دموع مصر .. ولا أحد يرى جراح مصر .. ولا أحد قلبه على مصر ..

الاميريكين يذهبون إلى مصر سائحين ..

والعرب يذهبون اليها (شمامي هواء .. قطافي ورد ..) يحملون جنبهاتهم المهربة .. وشهواتهم .. وغلاظاتهم .. وقلقلة قافاتهم .. ويحرثون شوارعها ، وفنادقها ، وزرقة سمائها ، وأجساد نسائها ، ومواضع كبريائها ..

لا أحد يرى نزيف مصر ..

لا احد يسمع صدرها المثقوب بالسعال ..

لا أحد يبصر كيف يبكى النخيل في عينيها الخضراوين ..

فمصر عند العرب هي فندق شيراتون ، وهيلتون ، وشبرد ، ونجوى فؤاد ، وسهير زكي ... وبقية الخصور والارداف التى لا اتذكر اسماءها ...

هى الجارية التى ترقص على موائد العرب ..
والراقصة التى تزف أولادهم فى الأعراس ..
والمغنية التى تحيى لهم الليالى الملاح ...
وبدلا من أن يدفع العرب الجزية لمصر لأنها حمت أرضهم وأرزاقهم وأولادهم وأعراضهم من الإغتصاب .. تجدها تدفع الجزية للعرب وهى تبتسم ...
تجدها تتسول الشاى ، والطعمية ، والفول المدمس ، ورغيف العيش بينما اثرياء العرب يقامرون فى كازينو المقطم .. ويتجولون بسياراتهم الشاهانية (إسكندرية - إدخال مؤقت) فى حين تمشي أوتوبوسات مصر على ثلاث عجلات .. ويمشى الشعب المصرى متكئاً علي كتف الله ...
وبدلاً من أن يقبل العرب يد مصر من الوجه والقفا ... لأنها حاربت بالنيابة عنهم ، وجاعت وعطشت بالنيابة عنهم ، تجدهم يتوقعون من مصر أن تقبل أيديهم ، وتسبح بحمدهم ، وتمسح اطراف عباءاتهم المقصبة ...
كل هذا .. ومصر لا تفتح فمها ، ولا يسمح لها كبريائها أن تعترف بحزنها وجوعها ومتاعبها ، ولا تسمح لها أخلاقها وأصالتها ان تقول لعشاقها الكثرين أن حجرتها التى تسكنها فى (شبرا البلد) واقعة تحت الحجز .. لأنها تأخرت عن دفع أجرتها...
إن مصر شبعت من باقات الزهر وقصائد الشعر التى يحملها اليها عشاقها العرب . شبعت من المدائح والنياشين وبرقيات التهنئة فى ذكرى العبور المجيد ..
إن مصر بكل اختصار تريد أن تحاسب البقال .. وتدفع أجرة غرفتها ..
ربما كانت مصر تستحى أن تقول أن غرفتها محجوزه ... وان البقال السوفياتى يطرق بابها كل صباح مطالباً بتسديد الفاتورة .. فاتورة طائرات الميغ ، وصواريخ سام التى القيت علي أرض معركة تشرين ..
لذلك أسمح لنفسى أن الفت نظر الإخوان العرب الذين يدّعون عشق مصر الى ان غرفة حبيبتهم محجوزة ... وأساورها مرهونة .. وأثاث بيتها مطروح للبيع فى المزاد العلنى .. فإما ان يواجهوا من مصر غير مأسوف عليهم ..

أما أن تبقى مصر بالنسبة للعرب مجرد (وصلة طرب) .. أو مسرحية هزلية فى شارع عماد الدين .. أو رحلة نيلية الى الاقصر واسوان .. فهذا فى نظرى منتهى الاستغلال لأرض مصر ، وشعب مصر ، وطيبة مصر ، وآلام مصر ..

إن مصر هى (بروسيا) العرب .. لا هونج كونج ، او سنغافورا ، او مونت كارلو العرب..

ولقد كان بإمكان الرئيس جمال عبد الناصر - لو أراد - أن يجعلها بخمس دقائق مونت كارلو ثانية .. لاهم لها سوى التزلج على الماء .. باراً .. ولعب الروليت ليلاً.

ولقد كانت الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٢ على أتم استعداد لإعطاء عبد الناصر كل مايريده من أجل تحقيق هذا الحلم الصغير ...

ولكن عبد الناصر كان كبيراً ..

والكبير لا يحلم أحلاماً صغيرة ..

ولا يزال بإمكان الرئيس أنور السادات - إذا أراد - أن ينزع عن مصر صفة الدولة المحاربة ، ويحول ألوف الملايين التى تُنفق علي الألة الحربية المصرية الى قطاع الاستهلاك فلا يضطر المواطن المصرى للوقوف ثلاثة أيام فى الطابور للحصول على قطعة صابون او أوقية شاى ..

وهكذا كان لابد لمصر من أن تختار بين الموقف السهل والموقف الصعب .. بين الزمن الضيق والزمن العريض ... بين أن تكون اسبارطة .. او ان تكون جزيرة كابرى ..

وطبعاً ..أختارت مصر قدرها الاسبارطى ..

وفى أسبارطة كما فى جميع الدول المحاربة ، يأتى المقاتلون فى المرتبة الاولى ، ويقف الاقتصاد القومى خلفهم بكل قدراته . أما الذين لا يقاتلون أو لا يذهبون الى الجندية فيدفعون الضرائب وبدل الخدمة العسكرية .

وهذا المبدأ يجب أن يطبق فوراً فى العالم العربى .

الذين لا يقاتلون يدفعون لمن يقاتلون ..

والدفع للمقاتلين يجب ألا يأخذ شكل التبرع .. أو الصدقة ... أو الزكاة ... وإنما يجب أن ينظم تنظيماً ضرائبياً لا يهرب منه كبير ولا صغير ..

لو كنت مكان الرئيس السادات لجمعت العرب فى غرفة واحدة وقلت لهم بالحرف العريض ما يلى :

أنتم تملكون مالاً ولا تقاتلون .. ونحن نقاتل ولا نملك مالاً .. ومصر لا تستطيع ان تسكن الى ما شاء الله فى غرفة مرهونة ... فإما أن تدفعوا أجرة الغرفة أو ستضطرون مصر الى الانتقال نهائياً من الحى العربى .. الى بلاد الجان .. وأحضان كسرى انو شروان ... »

□ □

وكأن « نزار قبانى » كان يقرأ كف مصر في تلك المقالة ، فقد إنتقلت مصر بعد عامين ونصف من الحى العربى « الى بلاد الجان ، واحضان كسرى انو شروان .. إنتقلت مصر الى اسرائيل !!

وفوجئ « نزار قبانى تماما بما جرى » وكتب يقول :

لقد ذهب الرئيس السادات إلى الغابة وفى تصوره أنه سيجد البلبل « أخرج يا سيادة الرئيس من الغابة فإن إسرائيل هى تاجرة حروب ، لا تاجرة بلابل !!

□ □

وعلى نفس درجة مفاجأة نزار قبانى كانت مفاجأة السيدة چيهان السادات بالكامل!!

نعم فوجئت چيهان وصعقت واندهشت وارتبكت وأحتارت ايضا !!

□ □

منذ سنوات طويلة كان الرئيس « السادات » قد إعتاد على برنامج يومى لم يكن يغيره أو يبدله إلا نادراً !!

هذا البرنامج اليومى وصفه الكاتب الكبير انيس منصور على النحو التالى :

« وهو رأى السادات . قادر علي التحكم فى حياته تماماً . فله برنامج يومى محدد ، فهو يصحو فى ساعة محددة ، ويمارس بعض الرياضة ، ثم يقرأ الصحف ، ويبدأ نشاطه اليومى فى الساعة الحادية عشرة ، ويظل كذلك حتى الثالثة ، وبعدها يمشى ساعة أو ساعة ونصفاً ثم يقوم ببعض الحركات الرياضية . ثم ينام ويصحو لتناول وجبته الوحيدة، وبعد ذلك يتلقى مكالمات تليفونية حتى يجيء موعد السينما

ويشاهد أحد الافلام . »

وفى صباح يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ لم يغير السادات شيئا من عاداته أو سلوكه ابداً!!

وفى مذكراتها « سيدة من مصر » تعترف السيدة چيهان السادات قائلة :

« قليلون أولئك الذين عرفوا مقدماً بنية أنور زيارة القدس ، لم أكن منهم و ولو أن أنور ناقش قراره معى لكنت أيدته بنسبة مائة فى المائة . »إن تفاصيل ما جرى فى بيت السادات فى الصباح وقبل ذهابه الى مجلس الشعب لالقاء قنبلته التاريخية مثير« وغريب فى نفس الوقت .

كان المعروف عن السادات أنه يصحو متأخرا من نومه « كانت تلك عادته منذ سنوات طويلة ، فى ذلك اليوم « التاسع من نوفمبر .. تعترف السيدة چيهان إنها استيقظت من نومها متأخرة قليلا ، واسرعت لاعداد محاضراتها التى ستلقيها على طلبتها فى كلية الأداب جامعة القاهرة ، ثم ذهبت الى غرفة نوم الرئيس السادات وقامت بفتح نوافذ الغرفة وايقظته من النوم قائلة له : صباح الخير فقال لها : صباح النور .

تقول چيهان فى مذكراتها بعد ذلك .

« وبينما كنت اسلمه صحيفة الصباح ، لاحظت أن وجهه يبدو عليه الهدوء والصفاء ، قلت : هل نمت جيداً قال جداً . »

ولاحظت جيهان أن « عيناه صافيتان لا يبدو عليهما الانتفاخ الذى يدل على الارق والسهاد . »

ثم تقول « كنت أريد أن أجلس معه . . السادات . . لتناول الأفطار معاً ولقراءة الصحف سوياً ، لكنى كنت قد تأخرت عن برنامجى المقرر وأعتذرت قائلة :

« لن أعود الى البيت حتى وقت متأخر من الليل . . لدى لقاء هام مع مجموعة نسائية »

ورد السادات متهكما بقوله :

دائما أنت هكذا مستعجلة يا چيهان . . ليس لدى شئ اليوم سوى القاء خطاب الجلسة الافتتاحية للبرلمان . »

ومضت ساعات النهار .. وعندما عادت السيدة چيهان الى البيت فى المساء عقب اجتماعها مع المجموعة النسائية قالت لها إبنتها الصغرى فى هياج بالغ :

« مامى .. مامى .. هل سمعت الاخبار ؟ »

تعترف چيهان قائلة : « توقف قلبى » !

ونضيف : لقد كانت أبنتى نهى علي وشك وضع مولودها الثانى فهل حدث شئ لها » ثم قالت بحدة : ماذا حدث يا نانا ؟! »

قالت نانا وصوتها فيه مسحة من الشك : بابى سيزور القدس (!!)

قالت چيهان : والدك سيذهب الى ماذا ؟!

ردت نانا بسرعة قائلة : لقد أعلن ذلك فى خطابه للبرلمان صباح اليوم .. لقد عرض ان يتوجه الى القدس »

قالت جيهان : يذهب الى القدس « أنور » أين هو يانانا ؟

قالت : فى الدور الثانى !

وتمضى چيهان السادات قائلة !

وإندفعت صاعدة السلالم وقلت : أنور .. هل صحيح ما قالته لى نانا ؟! »

فأومأ انور برأسه قائلا : نعم .. »

ومضى السادات يشرح لچيهان أبعاد قراره قائلا لها :

« لقد قبعنا طويلا فى عواصمنا نصدر التحذيرات الى اسرائيل لإعادة الاراضى المحتلة وصورتنا لدى العالم مضحكة وقبيحة ، إننا نطالب باعادة ارضنا لكننا نرفض ان نطلب ذلك من هؤلاء الذين يحتلونها ، وقد قررت أن أذهب إلى الاسرائيليين مباشرة ، ماهو الخيار الآخر لدى ؟!

كانت چيهان لا تزال تستمع بينما واصل السادات كلامه قائلا لها :

« اذا لم نستعد سيناء سلمياً ، فلابد اذن من أن نمضى فى تهديدنا ، ونخوض الحرب مع إسرائيل مرة اخرى ، ويفقد المزيد حياتهم ، هل هذا ما نريده لشعبنا ؟! أن

نضحى بحياة أبنائنا في حروب لا يمكن لاى دولة الانتصار فيها ، أن تنفق أموالنا على الاسلحة بدلا من إستخدامها فى إعادة بناء بلدنا ونساعد الشعب ؟! هذا خراب يا چيهان الخراب سوف يستمر . لابد أن أستكشف كل وسيلة للسلام بين أيدينا ، بل وللمنطقة كلها »

وطبقا لمذكرات السيدة چيهان فأنها سألته : ولكن لماذا تذهب الى هناك بنفسك يا أنور» ؟

فهز السادات رأسه قائلا : لا أستطيع إنتظار مؤتمر السلام فى چنيف ؟! من الذى يعرف ما الذى سيأتى به مؤتمر السلام أو حتى ما إذا كان سينعقد ؟! ان شهوراً او ربما سنين سوف تضيع بينما كل واحد يجادل فى جدول الاعمال والوفود واشتراك الفلسطينيين لا يا چيهان الطريق الوحيد للبدء فى البحث عن السلام هو أن يتحدث بلدانا بالاخلاص والصراحة كل مع الآخر ، وأنا مستعد لعمل ذلك . »

□ □

وتعترف چيهان قائلة : « هززت رأسي وأنا لا أصدق « سلام مع إسرائيل ؟! لم يذهب زعيم عربى واحد إلى إسرائيل ، لكن زوجى كان رجلا عادى ، قلت وأنا ألف زراعى حوله وأقبله : « آه . . أنور . . تفكر فى إمكانية السلام مع إسرائيل ، ولكن ماذا لو رفض رئيس الوزراء بيچن أن يجتمع معك ؟!

ورد السادات قائلا : تلك ستكون مشكلته . . الخطوة القادمة ستكون عليه » .

ثم تقول چيهان إنها شعرت بالحيرة ، ولكى تعود إلى الارض فتحت التليفزيون لمشاهدة الاخبار تنقل اقتراح انور التاريخى ، وتقول إن السادات كان يقول اقتراحه فى هدوء كما لو كان يتحدث عن الطقس . »

وتنهي چيهان شهادتها بقولها : « وظلت الصدمة تهز البلاد لمدة أسبوع . لم يصدق أى أحد أنور ، لا أحد سواى . »

□ □

فى تلك اللحظات النادرة وضعت السيدة « چيهان السادات » يدها على قلبها . . ملأها الخوف والقلق والتوتر على حياة زوجها « أنور السادات » .

ففى نهاية الامر كان السادات زوجها ووالد أبنائها ورفيق رحلة المشوار منذ زواجهما فى مايو ١٩٤٩ .

كانت چيهان قد اقترحت على السادات قبل ساعات من صفره أن يرتدى سترة واقية من الرصاص « لكن السادات رفض بعناد شديد على حد قولها .

كان السادات يقيم في الاسماعيلية طوال الايام القليلة التى سبقت السفر الى القدس ، وحرص السادات على أن تلتقط له مع أفراد أسرته عشرات الصور الفوتوغرافية وكان السادات فى قمة سعادته بل تقول چيهان « أنور يضحك وهو يلقى بحفيدنا الصغير شريف فى الهواء مرة بعد الاخرى ، وكلما كان انور يخرج شريف من المياه كان الطفل الصغير يصمم على القاء نفسه فيها ، وقد رسمت فى ذهنى كل تفاصيل وملامح وجه انور، لم يجهر اى منا بشئ ولكننا جميعا أدركنا أنها ربما تكون اللحظات الاخيرة التى نلتقى فيها معاً . »

وحسبما روت السيدة چيهان فى مذكراتها تقول بعد ذلك :

« لم يتوقف جرس التليفون عن الرنين ، والخطوط تتغير كل دقيقة ، أنور سيقلع من المطار فى الصحراء بجانكليس . هل سيستقل الهليوكبتر الصغيرة الى المطار ؟! ام الهليكوبتر الكبيرة ؟! ووصل الوفد المسافر معه ومن بينهم الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء والدكتور بطرس غالى .. وجرس التليفون لا يزال يرن أخذاً انور منا بإستمرار . وأردت أن أقطع السلك لكننى لم أستطع طبعا . لم اشعر من قبل أننى ممزقة بهذا القدر ، ففى الوقت الذى أشعر فيه بسعادة بالغة لانه سيقوم بمهمته السلمية. كنت قلقة جداً على حياته . »

وتضيف چيهان السادات قائلة :

واخيراً جاء الوقت . وعلي سلالم الهليكوبتر قلت له : ربنا معاك يا أنور .. ربنا يبارك فيك .. لا إله إلا الله . »

ورد قائلا : ومحمد رسول الله »

◘ ◘

وحسبما تقول السيدة « چيهان » أقلعت الهليوكبتر وأنا وأطفالى واقفون في

الصحراء، والرياح تلسع أيدينا وجلدنا بالرمال ، ولم نملك سوى أن نذرف الدموع ، وظل « شريف» (حفيدها) يسألني : ما الحكاية يا جدتى ؟! ما الحكاية ؟!

ولما لم أرد عليه اتجه الى والدته يسألها : ما الحكاية يا أماه ؟!

ولم تستطع « نهى » (ابنتها) ان ترد عليه !

وجلست أحملق فى شاشة التليفزيون وجسمى مشدود لعدة أيام ، لدرجة أنى لم أستطع تحريك عنقى بعد ذلك ، ويقول المذيع وهو نفسه غير قادر على مداراة أثر عدم التصديق فى صوته أن الطائرة المصرية ٧٠٧ التى تقل أنور الى إسرائيل تستعد الآن للهبوط فى مطار « بن جوريون » نحو موعد وصول الرئيس هو الساعة ٨ ، وقد حان وقت الوصول .

كنت أهدئ شريف حفيدى الذى سقط علي الدرجات الامامية ، وقطع شفته بشدة ونحن نندفع عائدين الى القاهرة لمشاهدة وصول انور على التليفزيون . وأرسلت إبنتى «نهى» التى كانت على وشك وضع مولودها الثانى بعد أسابيع قليلة الى بيتها للراحة، وابقيت شريف معى .

بدأنا نشاهد أنا وشريف طائرة أنور تهبط على الممر ونشاهد سلم شركة طيران « العال » الاسرائيلية يتجه نحو الباب الامامى للطائرة ، وكان شريف لا يزال يصرخ من الالم وهو قابع فى حجرى ، بينما انهمرت دموعى ، دموع الخوف وعدم التصديق ، زوجى فى اسرائيل « شئ غير ممكن !!

وعزفت موسيقى الاستقبال وينفتح باب الطائرة .. ها هو .. قلبى يدق وأنا أشاهده ينزل على سلم الطائرة .. كان يبدو واثقاً وهادئاً .. ما الذى يشعر به فى أعماقه؟ بعد ذلك سوف يقول لى « شعرت أن الله ارسلنى فى هذه المهمة السلمية .. وعندما وطأت قدمى لأول مرة التراب الاسرائيلى شعرت أننى لست من هذا العالم ، ولكننى شعرت كاننى الطير . »

وتضيف چيهان السادات قائلة :

» شعرت وأنا أشاهده كأننى أيضا أحلم ، ولكن علي وشك أن يتملكنى كابوس ، وكم تمنيت أن تكون عيناى كاميرتين تليفزيونيتين لكى أستطيع مسح الجماهير لضبط

المشتبه فيهم حتى أستطيع رصد أى مسدس او بندقية قبل أن يفوت الاوان !!

وقد رتبت لأنور حراسة جيدة بالطبع ، فقد تم إرسال مزيد من قوات الامن الى اسرائيل قبل ذلك اليوم للتأكد من ترتيبات الامن ، وصحبة كثير من رجال الامن ايضا ، لكنى كنت خائفة اكثر منهم ، فإن كان هو رئيسهم فهو زوجى . »

لا أستطيع أن أصدق عينى ، أنور يصافح « إبراهام كاتزير » رئس إسرائيل ، ومناحم بيجين « رئيس الوزراء ، هناك يظهر على نفس شاشة التليفزيون زعماء دولتين متعاديتين فقد الالاف من أبنائهم حياتهم ، واسمع نشيدنا القومى « بلادى .. بلادى» تعزفه الفرقة العسكرية الاسرائيلية ، وأرى الاعلام المصرية تلوح جنباً الى جنب مع نجمة داوود « الاسرائيلية . كيف كان ذلك ؟!

وبينما يقترب عزف نشيدنا القومى من النهاية سمعت طلقات الرصاص . وحسبتها موجهه الي « أنور » وأمسكت شريف وأحكمت قبضتى عليه لدرجة أنه نسي الالم فى شفته للحظه ، واحسست كاننى ارى فجوات فى شاشة التليفزيون ، لكن زوجى لم يسقط وادركت ان تلك الطلقات هى الاحدي والعشرون طلقة للتحية ، وبدأت أعد جزيئات الوقت الذى ظل زوجى فيها حياً ، حيث قضى أول عشر دقائق ، وبقت عشر دقائق أخرى يتعين قضاؤها وسط الجموع .

كنت أسمع جرس التليفون يدق خافتاً مرات ومرات لكنى لا أرد عليه لم أكن لاصرف تركيزى ولو لدقيقة واحدة !!

◘ ◘

ومضت السيدة « چيهان » تصف ما رأته عبر شاشة التليفزيون وقتها فتقول :

« كان هناك فى إستقباله « موشي ديان » و « شارون » و « جولدا مائير » و « مردخاى جور » كلهم كانوا فى صف المستقبلين الحكوميين السابقين منهم والحاليين فى المطار ، وانور يتجه نحوهم مصافحاً اياهم ومانحاً وضاحكاً . كنت اجهد نفسى في قراءة ما تنطق به شفتاه وشفاههم ! ما الذى يقوله كل منهم للآخر ؟! يبدو انهم يحى كل منهم الاخر كالاصدقاء القدماء .. واذا كانت الحرب سخيفة وغير عقلانية فان هذا المشهد السلمى يجعلها أكثر من ذلك

« شارون » الجنرال المفزع يشد الآن على يد « أنور » بحماس وحرارة شريكين قديمين في المعركة يلتقيان من جديد ، في وقت لاحق أبلغني أنور أنه مازح « شارون » بقوله:

- كنت علي وشك سد الثغرة التى أحدثتها فى خطوطنا تماماً ، لكنى لم أستطع الامساك بك !!

وعلى الشاشة رأيت شارون يعتدل قائلا :

« - أنا سعيد لتحيتك كضيف فى بلدنا !!

وبينما « أنور » يتجه الى « جولدا مائير » حبست نفسى ، كنت قد سألت « أنور » قبل ان يقلع الى القدس قائلة :

- من فضلك يا أنور إبذل جهداً خاصاً مع مسز مائير !!

ونظر الى بدهشة قائلا :

- أوه . . يا چيهان . . كانك لا تعرفيننى هل تعتقدين أننى سأبذل جهداً اقل معها لانها ليست رجلا ؟!

لكننى أكدت له قائلة :

- لا . . يا أنور لا . . إنى أعرفك لكن أحيانا يسئ الناس فهمك . . إنك تحتفظ بأحاسيسك لنفسك وأحيانا لا تنطق على الاطلاق ، إن إناساً مثل « مسز مائير » لا يعرفونك جيداً ربما يعتقدون انك غير ودود وتنقصك الحماسة . »

وقد رد « انور » ساخراً قائلا :

- سوف ترين ما سابذله من جهد مع « مسز مائير » من أجل خاطرك فقط يا جيهان !

وتضيف « چيهان السادات » قائلة فى مذكراتها :

والان « أنور على وشك تحية مسز مائير التى اكن لها الكراهية والاحترام فى وقت واحد ، على شاشة التليفزيون أرى « أنور» يمسك بيد « مسز مائير » وارى اصغائها بتركيز اليه وكانت اذناى تئن من التوتر وحب الاستطلاع ، وفجأة علت وجهها

إبتسامة عريضة ، ولا شعورياً إبتسمت أنا أيضا .

وفى وقت لاحق ابلغنى « انور » بما دار بينمها من نقاش حيث قال لها :

- « انت معروفة جداً فى بلدنا يا مسز مائير« هل تعلمين بماذا توصفين ؟!

قالت مائير : لا... بماذا ؟!

قال : أقوى رجل فى إسرائيل!

ولذلك ضحكت مسز مائير « وردت قائلة :

- « إنى آخذ ذلك علي إنه مديح يا سيدى الرئيس » !

وعندما ابلغنى « انور » بما قاله ارتعشت ابسامتى لانى كنت غير متأكدة انه كان يقصد بذلك المديح . لكنه من المرجح ان يكون قد قصد ذلك . وبمجرد ان التقى وجهه بوجهها كما ابلغنى بعد ذلك قرار ان يعفو وينسى ، وايلا من التمسك بالماضى ، اراد ان يفتح صفحة جديدة بين مصر واسرائيل لبدء حقبة جديدة للسلام ، وبدأ كما لو كان سينجح !

◘ ◘

وحتى تلك اللحظة كان الخوف لا يزال يسيطر على السيدة چيهان وخاصة عندما توجه للصلاة في المسجد الاقصى ، وكما تقول :

ان قتل زوجى وهو يصلى فى هذا المكان المقدس سيكون اكبر إغراء لاعداد السلام المتشددين مع اسرائيل ، وكنت ادعو الله وانا احتضن شريف قائلة : يارب إشمل زوجى بعنايتك « ثم اخر ساجدة ! »

وعند منتصف الليل تلقت السيدة چيهان تليفوناً من « حسن مرعى » زوج ابنتها يخبرها فيه : ان قلق « نهى » زوجته على والدها السادات جعل مخاض الولادة ياتيها قبل موعده وتم نقلها الى المستشفى ، واسرعت السيدة چيهان الى المستشفى حيث ترقد ابنتها وسرعان ما تمت الولادة وقالت چيهان ضاحكة لابنتها :

- إنا قبيحة جداً .. لكنها بشرة خير .. لا بد انها ستكون بشير السلام .

وتضيف جيهان قائلة :

« اتصلت بانور فى القدس حيث كان على وشك مغادرة الفندق للصلاة فى المسجد الاقصى وأخبرته « اصبح لنا حفيدة » ان بشرتها خمرية ، وليست جميلة جداً . . انها شبهك !!

وضحك انور قائلا :

- اذا كانت داكنه مثلى فلابد ان تكون حسنة المظهر حقا ! »

واخيرا جاءت اللحظة الحاسمة ، وها هو السادات الان فى قلب الكنيست يتأهب لالقاء خطابه التاريخى ، وكان السؤال الذى يشغل بال السيدة چيهان « وهى جالسة امام التليفزيون وقتها هو : هل سيكون الاسرائيليون متحمسين لما سيقوله عندما يسمعونه!! ويلفت الانتباه ملحوظة السيدة چيهان عندما تقول عن السادات :

لقد ادهشنى كم كان يبدو وسيماً فى بدلته السوداء ، يقف منتصباً شجاعاً أمام البرلمان الاسرائيلى »

ثم تضيف قائلة :

وعلى مدى ساعة كنت واحدة من ملايين العالم يشاهدون ويستمعون الي المستحيل زعيم مصر يقدم غصن السلام الى الهيئة الحاكمة لاسرائيل . »

وعندما عاد الرئيس السادات الى القاهرة بعد رحلته التاريخية ، كانت السيدة چيهان فى المنزل تشاهد عبر التليفزيون مراسيم الاستقبال التى اعدت للسادات ، فى نفس الوقت كان « جمال انور السادات » ابنها داخل احدى طائرات الهليوكويتر التى حلقت فوق موكب السادات وهو يحمل كاميرا فيديو يسجل بها هذا الترحيب الحار بوالده . »

◘ ◘

قائلة :

لكن السؤال الذي كان يشغل بال السفير الإسرائيلي " موشيه ساسون " وطرحه علي السيده جيهان بعد سنوات كان لماذا لم تأت معه إلى القدس رغم مرافقتك له في كل سفرياته ؟!

قالت جيهان للسفير الإسرائيلى

شعرت انه من ألا جدر أن تكون هذه المناسبه العظيمه له وحده فقط واضافت للسفير قائلة لقد شاهدته مثلك في التليفزيون الذي صور كل قسمات وجهه من مسافه قريبه وهكذا إستطعت أن أعرف جيداً ما يحتمل داخله في تلك اللحظات العظيمه " .



٥

العرش السعودي ..
وعلامات إستفهام !

كان غريباً ومثيراً أيضا أن يسأل السفير الاسرائيلي "موشيه ساسون "الرئيس السادات هذا السؤال :

- لقد ذهبت إلى السعودية ولكنك لم تكشف لهم أي شئ عن خطة زيارتك للقدس؟! وبعد ذلك أعجب السعوديون من حقيقة انك لم تطلعهم على سر الزيارة؟!"

وأجاب السادات على سؤال السفير الاسرائيلي بقوله :

- كان من الواضح إنه إذا أبلغت "السعوديين "بهذا السر فقد كانوا سيعارضون وبشده هذه الرحلة ، بل وسيقولون رأيهم علانية حتى قبل الرحلة ، ولذلك فقد فضلت أن يعرفوا بعد ذلك بدلا من أن يعارضوا الزيارة قبل أن تنفذ "

هكذا كان رد السادات في وقتها ، ولكن مالم يكن معروفا وقتها ، وطبقا لاعترافات "ديفيد كمحي "مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية قوله : أن عاهل المملكة العربية السعودية (الملك خالد)قد أعرب إلى وزير الخارجية (الأمريكي) فانس في أوائل كانون الأول ١٩٧٧ ، وبعد خطاب السادات أمام الكنيست بثلاثة أسابيع فقط عن أماله الخاصة بنجاح مبادرة السادات ، وعن مخاوفة مما قد يحصل في حال فشلها ، وطلب - أي الملك خالد - إلى الولايات المتحدة مساعدتها في تعزيز مبادرة السادات !

وشرح الملك خالد أنه إذا فشلت الولايات المتحدة في ذلك ، وستضطر المملكة

العربية السعودية إلى قطع علاقتها علناً مع السادات ."

ويقول ديفيد كمحي " أن الاداره الامريكية أخذت طلب " الملك خالد " بعين الأعتبار!! ووصل الرئيس السادات إلى الرياض !

وطبقا لم يقوله السادات فأنه لم يخبر " الملك خالد " ملك السعودية ، وذلك حتى لا يورط أحداً ، كما أنه أراد أن يتحمل مسئوليتها بالكامل ."

وفي حديث السادات للتلفزيون العربي على ظهر الطائرة التي أقلته من السعودية إلى القاهرة ، سئل السادات عن تقييمه السريع لزيارة السعودية فقال :

بنعمل تقييم لما وصل إليه الموقف الأن وخصوصاً بعد عودة الأمير "سعود الفيصل" وزير الخارجية من أمريكا .

ويؤكد " محمد حسنين هيكل ..في حديث المبادرة أنه :

"في الرياض يقول المتصلون بالقصر الملكي أن الملك خالد لم يسمع من الرئيس السادات شيئا عن نواياه ولو عرف لحاول اثناءه عن عزمه ."

ويضيف هيكل : " والراجح أن الرئيس السادات أشار في أحاديثه مع بعض المسئولين السعوديين بطريقة عابرة إلى "اعتقاده بأن تحريك الأزمة قد يقتضي في مرحلة لاحقة نوعاً من الأتصال المباشر باسرائيل " ولكن خيالهم لم يصل إلى حد تصور ماهو قادم، ثم أن الملاحظة العابرة لم تدفع أحداً منهم إلى تصور أن في الأمر عجلة ولعلهم ظنوا أنه حين يجئ أوانه فأنهم سوف يعرفون مسبقاً وسوف تكون لديهم الفرصة لابداء الرأي فيما سوف يعرفون ." .

لكن هيكل يعود فيؤكد على أن السادات كان في الرياض غامضاً ، فقد اكتفى بأن قال للأمير أن الأمريكيين يضغطون عليه من أجل إتصالات مباشرة مع اسرائيل وأنه يفكر في الأمر ، وكان تعليق الأمير فهد غامضاً بمقدار غموض ملاحظة أنور السادات وفيما بعد وعندما كان موشي ديان يسأل السادات متى طرأت فكرة الذهاب إلى القدس ، قال السادات لديان أن الفكرة طرات له فجاة عندما كان في طريقة لزيارة شاه إيران..و قررت الذهاب بنفسي إلى اسرائيل .غضب السعوديون من جراء ذلك ، لأنني لم أطلعهم على ما أعتزمته في ذلك الحين من زيارة القدس .

وليس لهم الحق في ذلك ، لأنني لم أتخذ القرار إلا بعد أن غادرت السعودية ، وعندما كنت معهم ، لم تكن الفكرة قد خطرت ببالي .

بعد ثمانية أيام بالضبط من زيارة السادات إلى اسرائيل ، كان الرئيس اللبناني "الياس سركيس " في زيارة رسمية للسعودية . وكانت زيارة السادات المذهلة على فاتحة جدول المباحثات بين الملك خالد والرئيس سركيس ، ويؤكد "كريم بقردواني "المستشار السياسي للرئيس سركيس أن الملك خالد في حواره مع الرئيس اللبناني نفى أن يكون السادات قد استشاره في أمر هذه الزيارة .

وينقل كريم بقردواني عن الملك خالد قوله : اننا نجهل العوامل الحقيقية التي تحرك أعمال السادات ، فإذا كان مدفوعا بحاجة اقتصادية كما يزعم رأينا أن نذكره بأن المملكة العربية السعودية هي وحدها تساعد مصر فعلا ، ولن يقدم له الأمر يكيون ولا الأسرائيليون المساعدة الأقتصادية التي يتوقعها ."

باختصار شديد فأن " السعوديين سمعوا برحلة السادات ."

ويظل السؤال قائما لماذا أخفى السادات الأمر عن السعودية ؟!

ويزداد الأمر غموضاً إذا ما وصلنا إلى شهادة " اسماعيل فهمي " وزير الخارجية بشأن ما جرى في السعودية .

يقول اسماعيل فهمي :

دار بيننا وبين الملك خالد والأمير فهد ولي العهد والأمير عبد الله والأمير سلطان والأمير سعود بن فيصل وزير خارجية السعودية مناقشات طويلة ، وأتسمت المقابلات بالأخوة . كما كان السعوديون كعادتهم على جانب عظيم من المجاملة .. وفي اليوم التالي لحضورنا إلى الرياض قلت للرئيس السادات :

– مارأيك في إجتماع خاص مع الملك خالد والأمير فهد فلنجلس معهما ، وأنت ياسيادة الرئيس تخبرهما بنفسك عن فكرتك في الذهاب إلى القدس ، ولا بد أن توضح لهما أنك لاتطلب تأبيدهما أو إلتزامهما بما سوف تقوم به في النهاية ، وليس الغرض من الأجتماع بهما إلا انك تضعهما في الصورة لعلاقتهما الخاصة بك .. وبهذه الطريقة ندرك رد الفعل لديهم ."

وعن مغزي الأقتراح الذي قدمه اسماعيل فهمي للسادات يقول موضحاً:

..قدمت هذا الأقتراح لسببين : أولاً اردت معرفة إذا ما كان السادات قد نبذ فكرة الذهاب إلى القدس وثانيا لأنني كنت أرجو أن يكون رد فعل السعوديين لهذه المبادرة عنيفاً إلى درجة تمنعة منعاً باتاً ونهائياً وتحتم عليه العدول عن رايه ..ولكن بكل أسف رفض السادات فكرة الأجتماع بالملك خالد وولي العهد والأمير "فهد" أو أي سعودي آخر ليطلعهم على خططه . وحقيقة الأمر أنه أغتاظ بشده لعرض هذا ، وأصر على أن السعوديين لا يمكن أن يتفهموا هذه الأفكار ، وأعلن قائلا :

- انهم ليسوا بالمستوى الذهني ليفهموا أو يتفهموا هذه التحركات . وبعد أن تمت المبادرة أثار موقف السعودية دهشة الأعلام العالمي ، وفي حديث السادات للتليفزيون الأمريكي (برنامج واجه الامة) سئل السادات :

في وسط كل الهجمات التي تشن عليكم وعلى رحلتكم إلى اسرائيل وبصفة خاصة من السوريين والعراقيين والفلسطنيين ظلت السعودية صامتة . أولا لماذا تعتقدون أنهم ظلوا صامتين ؟. .ثانيا هل سمعتم منهم شيئا على نحو هادئ ؟!

وقال السادات : انني لم أبلغهم مقدماً من قبل عندما اتخذت قراري ، ولم أطلب منهم حتى هذه اللحظة ١٩٧٧/١١/٢٨ أن يوافقوا أو حتى لا يوافقوا عليها لأنني أترك ذلك لهم وهكذا فأن للسعوديين فكرتهم الخاصة ، وأنا لا أعرف ما هي ولكن علاقاتنا طبيعيه وعلى مستوى الأخوة حتى هذه اللحظة ؟!

وتلي ذلك سؤال يقول : أن المملكة السعودية تعد واحدة من البلاد التي تدعم مصر مالياً فهل تستطيع بلدكم أن تمضي بدون هذا الدعم ؟!

وكظم السادات غيظه وغضبه وقال لمذيع التلفزيون الأمريكي :

لماذا يحلو لك أن تذكر مثل هذه الأشياء ، إننا لا نتعامل مع بعضنا البعض بمثل هذا الأسلوب المادي الذي تتحدث عنه أن هذا لا يدخل في علاقتنا فيما بيننا كأشقاء عرب وزملاء عرب .

وبعد عشرة أيام بالضبط نشرت صحيفة نيويورك تايمز حواراً مع السادات وعاد السؤال يتكرر : اتخذت السعودية موقفاً غير حاسم إلى حدما إزاء مبادرتكم ماهو

موقفهم الأن كما تفهمون ؟ وهل تستطيعون الأستمرار في الأعتماد على معونتهم؟!
وقال السادات : أن الأمر مع المملكة العربية السعودية يختلف عنه مع الأخرين ، ذلك لأن هناك صداقة واخوة راسخة بيننا وقد نختلف كبشر ، وقد اختلفنا حول مبادرتي فلم أطلعهم عليها مسبقا ولكنهم حاولوا بعد أن أعلنت رسمياً عن مبادرتي.
- وأعلم أن الأسد الرئيس السوري كان يحثهم على هذا - حاولوا أن يطلبوا مني عدم القيام بهذه الزيارة . وقلت أنني مقتنع بأنها مهمة مقدسة لأجيالنا القادمة فلا أريدهم أن يقاسوا ما قاسينا بالفعل . وحتى هذه الحظة فإنه لم يحدث أو يقع شئ بيننا قد يظهر إنه اشارة على أي شئ أكثر من مجرد خلاف في الرآي فقط ، ولديهم الحق في أن يختلفوا معنا فنحن بشر .
وحتى اللحظة الأخيرة كان الملك "خالد " ملك المملكة السعودية يأمل ويتمنى أن يتراجع السادات في لحظة ما عن قراره بالسفر إلى إسرائيل !!
ولم يكن الملك " خالد " وحده هو الذي يأمل ويتمنى بل كان إلى جواره باقي أفراد الأسرة المالكة .
وحتى ذلك الوقت كانت العلاقات بين الرئيس السادات والملك خالد سمناً على عسل وربما من هنا فقط تصور الملك خالد أو خطر بباله أن يستجيب السادات لندائه بارجاء الزيارة .
وتكشف الرسائل المتبادلة بين كل من الزعيمين عن مدى إتساع هوة رؤية كل منهما لطبيعة وفكرة المبادرة .
وقبل ٤٨ ساعة من سفر السادات أرسل إليه الملك خالد رسالة تقول بالحرف الواحد
من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز .
إلى فخامة الأخ الرئيس محمد أنور السادات .
تعلم فخامتكم تقديري واحترامي لكل ما بدر من فخامتكم من مساع لإيجاد الحل السلمي للمشكلة الفلسطينية ، وأنا واثق من أن صراحتى مع فخامتكم في السراء والضراء أدت إلى خدمة مصلحة شعبينا خاصة ، وأمتنا الإسلامية عامة . ولما أكنه

لفخامة أخي من معزة وإخلاص فأنني مؤمن بأن سفر فخامتكم لاسرائيل سيعيق مساعيكم الحميدة من أجل ايجاد حل سلمي للمشكلة الفلسطينية وذلك لسببين :

أولاً : أن الشعوب العربية شرعت في إبداء عدم تقبلها لهذه الزيارة .

ثانياً : صرح رئيس وزراء إسرائيل بأنه لن يقبل بالأنسحاب من الأراضي المحتله أو اقامة دولة فلسطينية ، وهما المبدأن اللذان يصر عليهما فخامة أخي قبل غيره من الزعماء العرب .

ولذلك ولتمنياتي لفخامتكم دائما بالتوفيق والنجاح فأنني اقترح على اخي إرجاء هذه الزيارة .

وتفضلوا فخامتكم من أخيكم دعواني لكم بالتوفيق .

"خالد بن عبد العزيز "

وفي اليوم التالى مباشرة,(١٨ نوفمبر ١٩٧٧) صدر عن الديوان الملكي السعودي بيانا جاء فيه ما يلي :

"مرت القضية العربية في الوقت الحاضر بمرحلة صَعبة ، ويزيد من صعوبتها ما أتسمت به هذه المرحلة من جمود وسكون ومن تصرفات غير مؤكدة في نتائجها وغير متناسقة في وسائلها مع الموقع العربي العام .

والمملكة العربية السعودية ، إذا تحدد موقفها تجاه القضية العربية في مرحلتها الراهنة إنما تحدده إنطلاقاً من سياستها الإسلامية والعربية الواضحة ، ومواقفها التاريخية المعروفة والمرتكزة على مقررات مؤتمرى القمة العربي في الجزائر والرباط الهادفة إلى الإنسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس ، والأعتراف للشعب الفلسطيني بحقوقه المشروعة بما فيها حقه في العودة إلى وطنه وانشاء دولة مستقلة له على أرضه .

ولقد فوجئت المملكة العربية السعودية بعزم فخامة الرئيس " محمد أنور السادات" رئيس جمهورية مصر العربية على زيارة اسرائيل وقد بادر جلالة الملك "خالد بن عبد العزيز " في حينه ببعث رسالة إلى فخامته ، وضح موقف المملكة العربية السعودية إنطلاقاً من قدرات القمة العربية التي لم تحدد الأهداف فحسب وإنما حددت

الوسائل الرامية إلى تحقيق هذه الأهداف لتعتبر مبادئ التضامن العربي هي الأساس السليم والمنطلق الواجب الاتباع لأي جهد مبذول في سبيل حل القضايا العربية .

ومن هنا فأن المملكة العربية السعودية تؤمن بأن أية مبادئ عربية في هذا الشأن يجب أن تنطلق من موقف عربي موحد .

وفقنا الله جميعا لما فيه خير الأمة العربية وهدانا سواء السبيل .

وقبل ساعات من سفر الرئيس السادات إلى اسرائيل ، كان قد بعث بخطاب إلى الملك خالد رداً على رسالته السابقة .

كتب الرئيس السادات يقول في رسالته المؤرخة بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ما يلي:

جلالة الأخ العزيز الملك خالد .

تحية طيبة وبعد .

فأحب أولاً أن أوجه اليكم والأخوة وجميع الأشقاء في المملكة هناك التهنئة وأطيب التمنيات بمناسبة حلول وقفة عيد الأضحى المبارك ، أعاده الله عليكم وعلى أمتنا الإسلامية بالخير والسعاده والتوفيق .

وقد تلقيت رسالتكم الكريمة التي تحدثتم فيها عن إرجاء زيارتي لبت المقدس بالنظر إلى أن الشعوب العربية قد شرعت في عدم تقبل الزيارة وإلى التصريحات المتشددة التي لا زالت تصدر من حكام إسرائيل متضمنة عدم إستعدادهم للأنسحاب من الأرض العربية المحتلة أو قيام دولة فلسطينية .

وإذ أعبر لكم عن تقديري الكامل للإعتبارات الأخوية الصادقة التي حدت بكم إلى الكتابة إلى في هذا الشأن ، الذي يهمنا جميعاً ، فأنني أود أن أضع نصب أعينكم الحقائق التالية:

إنني حرصت على أن أعلن على الملأ ، واكرر أكثر من مرة أن هذه المبادرة التي طرحتها هي إجتهاد مني وليست محصلة اتفاق مع اشقائي القادة العرب . وكنت أقصد من هذا أن أتحمل وحدي مسئوليتها كاملة في نظر أمتنا وفي صحف التاريخ.

ثانيـاً : إنني منذ اللحظة الأولى كنت أعلم جيـداً أن الأمـر لن يخلو من إنتـقـادات توجـه إلى المبـادره سواء عن سـوء قـصـد أو بحـسن نيـة ، فـهـي خطوة تجاوزت حـدود المألوف الذي درجنا على أخذه كقضيـة مسلمة ، ينحصر أمامـها تفكيـرنا ويعجز عن الأنطلاق إلى مـاوراءها ، وليـست هذه هي المرة الأولى ولن تكون الأخـيـرة التي تتعرض فيها مصر للنقد .

ثالثاً : ولكنني قبل كل هذا ومن منطلق شعوري بجسامة المسئوليـة التـاريخيـة التي أتحملها أجد لزاماً على أن أفكر في أمرين :

الأول : معاناة الشعب الفلسطيني في الحاضر والمستقبل .

والثاني : مستقبل القضية القومية .

ويدعوني هذا الإيمان إلى التصميم على عمل شئ كفيل بهذا الموقف لصالحنا جميعا وبالذات لصـالح جـمـاهيـر الشـعب الفلسطيني التي ترزح تحت الأحـتـلال وربما بدأ اليـأس ينتـابهـا من المسـتـقـبل إزاء جـمـود الموقف . وليس أسـهل عـلى إنسـان من أن يأخذ مـوقف المتفرج أو يكتـفي بتسجيل المواقف بالكلمات التي لا تجدي نفعاً ولكن ليس هكذا تتحقق الأهداف .

رابعاً : إنني لا أتوقف كثيـراً عند تصريحـات السـاسة الاسرائيليين لأنـني لم أتخذ قـراري هذا على اساس إعتـدالهم وانما رغبـة مني في الضـغـط عليـهم ، ومن هنا فأن هذا يكون مدعـاة لإصرارنا على تعبئة مزيد من الضغط عليـهم ، ولو كنت أعلم إنهم قـوم يمكن أن نتـوقع منهـم الاعـتـدال لتـركت الأمـور تجرى في مـجـراها الطبـيـعي في مؤتمر جنيف أو غيره من المحافل الدولية

خامساً : ويهمني أن تكونـوا على بينة من أنني لا أقصد بهذه الزيارة أن اعود منهـا باتفاق على شئ وكل ما أقصده هو أن أهز المجتمع الاسرائيلي من أعماقه وأن أضع المجتمع الدولي أمام وضع لا يملك إزاءه سوى القيام بمزيد من الضغط على إسرائيل.

وغنى عن البيان أنني لن ألزم أي شعب عربي بشئ أثناء هذه الزيادة كمـا أني لن أمس أي حق من حقـوقنا التـاريخيـة بل أنني على العـكس ذاهب لحمـاية هذه الحقوق وتأكـيـدها ، ومن ثـم فليس هناك مـا يخيـفنا من مـواجهـة الأسرائيليين في أي سـاعـه

وتحت أي ظروف فقد كسرنا حاجز الخوف منهم في حرب رمضان المجيدة إلى غير رجعة بحمد الله .

وإزاء هذه الاعتبارات أرجو أن تتفقوا معي على أن من الأهمية بمكان أن يأخذ العالم كلامنا بجدية ، وأن ينظر الينا بالأحترام الذي يتناسب مع تراثنا وحضارتنا وأن أتوجه كما التزمت إلى القدس حيث التقي بالشعب الفلسطيني .. أصلّي معه ومن أجله وأشد من أرزه وأكرر له اننا جميعاً معه نفكر فيه ونكترث ونهتم لكل ما يصيبه .

ومن المهم أيضا ألا أفوت هذه الفرصة الساخنة للضغط على حكام إسرائيل وحرمانهم من جمع الأسلحة التي دابوا على إستخدامها ضدنا وشهرها في وجوهنا أيا توجهنا .

وقد فكرت في مفاتحتكم في أمر بيان نقلته بعض الوكالات منسوباً إلى المملكة دول هذا الموضوع غير أنني فضلت التجاوز عنه وخير لنا جميعاً أن ننتظر ونقيم نتائج هذه الخطوة فيما بعد !

ختاماً أكرر لكم تحياتى وتمنياتي الطيبة

الله الموفق والمستعان .

أخوكم "محمد أنور السادات "

إنتهى رد الرئيس السادات على رسالة الملك خالد ، وتبقى بعض الملاحظات الأساسية على الرد يمكن إجمالها فيا يلى :

١- أن المبادرة وفقاً لاعتراف السادات نفسه " اجتهاد من (السادات) وليست محصلة اتفاق مع الاشقاء العرب .

٢- ولهذا جاء تأكيد السادات " أتحمل وحدي مسئوليتها كاملة في نظر أمتنا."

٣- يلفت الأنتباه قول السادات : لن الزم أي شعب عربي بشئ ، كما أني لن أمس أي حق من حقوقنا التاريخية ."

لكن مايلفت النظر فعلا ويبعث على الدهشة هو أن الملك "خالد" قام بكتابة رد على خطاب الرئيس السادات ، والرد مكتوب بتاريخ (٢١ نوفمبر) أي بعد

مرور يومين بالضبط على سفر السادات بل أن الرئيس السادات حتى ذلك التاريخ كان لا يزال موجوداً في إسرائيل يتابع ويواصل زيارته التاريخية !

ولم يقل لنا الكاتب الكبير " موسى صبري " الذي انفرد بنشر هذه الرسالة والرسالتان السابقتان في كتابة (السادات الحقيقة والأسطورة) كيف تسلم السادات هذه الرسالة ؟! وهل وصلته عندما كان في القدس ؟! أم أنه قرأها عقب عودته من رحلته التاريخية .

لكن المهم في كل الحالات هو ما جاء في الرسالة نفسها ، والتي يقول فيها الملك خالد : فخامة الرئيس محمد أنور السادات

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ..

لقد تلقيت رسالتكم الكريمة التي حملت إلى تهنئتكم الأخوية بمناسبة عيد الأضحى المبارك والتي يسرني مبادلتكم اياها متمنياً لكم ولإمتنا الاسلامية كل خير وتوفيق.

وأود أن أعرب لفخامتكم عن تقديري لما تضمنته رسالتكم من إيضاح للاعتبارات التي حدت بكم إلى تحبيذ زيارة إسرائيل والآثار الايجابية لها على الصعيد الدولي، بما يخدم القضية العربية وبحث خطاها نحو الحل المنشود ، كما أود أن أعبر عن يقيني بأن الآثار السلبية لهذه المبادرة على الصعيد العربي قد كانت أيضاًمحل اعتباركم كما هي دائما محل إعتباري.

وهذه الآثار السلبية بالاضافة إلى عنصر المفاجاة الذي صاحب المبادرة التي وصفتموها فخامتكم بحق بأنها خطوة تجاوزت حدود القانون ..لم تدفعنى إلى حكم مسبق عليها بل حدت بي إلى الأتصال بفخامتكم في نطاق التشاور المستمر بين بلدينا.

ولقد كانت "المملكة العربية السعودية " حريصة كل الحرص على هذا التشاور وتبادل الرأي مع شقيقاتها من الدول العربية وفي مقدمتها " جهورية مصر العربية " إيماناً منها بمسئوليتها المشتركة تجاه أمتنا وقضاياها .

وهذه المسئولية لا بد لنا - شئنا أم أبينا - من تحملها سوياً ، إنطلاقاً من وحدة

المصير وحتمية إمتداد آثار اية مبادرة على أمتنا العربية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والمملكة العربية السعودية إنطلاقاً من ذلك وفي إطار هذه المفاهيم الثابتة لسياسة الملكة العربية السعودية والتي تحرص المملكة على إمتدادها إلى مقتبل الأيام فقد كنت أشعر أنه من الطبيعي والمألوف ألا تفاجئني وكالات الأنباء بعزمكم على القيام بزيادة إسرائيل لاسيما وانها قد جاءت بعد فترة وجيزة من آخر لقاء لي مع فخاتكم ومع ذلك فقد تجاوزت هذا الشعور وبعثنا اليكم برسالة وكنت أطمع إلى تلقى إجابتها في وقت مناسب في نطاق تبادل الرأي المعهود بيننا .

ولقد لفت نظري في برقية فخامتك كلمتان كنت أود لو أنهما لم تردا وهما "نسوباً إلى المملكة "فيما يختص بالبيان الرسمي الذي أصدرناه من ديواننا بمناسبة إعتزام فخاتكم زيارة إسرائيل . وكلمة (فضلت التجاوز عنه) مع أنه لا يعدو كونه تبياناً لموقفنا واقتناعاً منا بضرورة وحدة الصف العربي أمام قضيته التاريخية .

وأخيراً أحب أن أعبر عن تقديري للصراحة المتبادلة التي يتسم بها الرأي بيننا واني لست في حاجة إلى أن أوكد لكم ، إنها تنطلق من مرتكزات الأخوة الصادقة العميقة التي كانت ولا تزال وستظل دائما تهدف إلى زيادة الوشائج بيننا دعماً ، والروابط بين بلدينا الشقيقين قوة ، والعمل على مافيه خير أمتنا العربية .

مع أصدق تحياتي وأخلص تمنياتي والله يحفظكم ويحفظ مصر والأمة العربية .

أخوكم " خالد بن عبد العزير آل سعود "

ومع ذلك وبعد عودة السادات من القدس ، سارع بإرسال تقرير إلى الأمير " فهد بن عبد العزيز " وذلك بأمل أن يؤدي تزويد السعوديه بشكل دائم بالمعلومات عما يدور، ولكن رد الفعل السعودي اتسم بالفتور .

وفي مذكرات الرئيس الامريكى "كارتر " يقول :

" في ٣ يناير ١٩٧٨ أجرينا مباحثات مثمرة للغاية مع السعوديين برئاسة ولي العهد الامير "فهد" ووجدت من السعوديين آذانا صاغية وروحاً بناءة ، وقد عبروا عن تاييدهم القاطع للسادات لانهم يرغبون في اقرار السلام والاستقرار في المنطقة ، ولكنهم اكتفوا بمجرد الابتسام عندما الححت عليهم ان يجعلوا تاييدهم هذا معروفا

عن طريق تصريحات علنية ، فلم يكونوا راغبين في أغضاب العرب الاكثر تطرفا .

وكان ديان حريصا أيضاً علي ان يستفسر من السادات عن ملابسات فكرة المبادرة وكان مما قاله السادات خاصا بالسعودية هو قوله :

سافرت كما تعلم باموشي ، من أيران الي العربية السعودية ، وهناك وفي الطريق من الرياض الي القاهرة ، غيرت رايي ، فكرت في ان الدول الخمس الكبري ربما لا تحقق ما انتظره منها ، ثم ان فشلها يعني العمل علي تفاقم الموقف ، لذا قررت الذهاب بنفسي الي اسرائيل . غضب السعوديون من جراء ذلك ، لانني لم أطلعهم علي ما اعتزمته في ذلك الحين من زيارة القدس، وليس لهم الحق في ذلك ، لانني لم اتخذ القرار الا بعد أن غادرت السعودية ، وعندما كنت معهم لم تكن الفكرة قد خطرت ببالي .

as stuck in a
ay of Sadat's
avan
affic
' she
'You
ople
hing
s of

nore
eeks
ael's
y 90
firm
ved
l the
per
iced
ther
last
ade
blic
was
pe,"

ntry
exu-
Sa-
h a
m's
em-
ons,
lrop

astic ministry also proposed a joint tour-
ism project and envisioned each country

Sadat fans in Jerusalem: 'He really wants peace'

AP



and us like th
an Israeli jou
der A
conc
tooni
depic
plain
ing "
and s
diagr
Sadat
Cau
Israe
ance,
seem
the s
natio
maki
hawk
a new
did w
age v
new
Gersl
Haifa
the vi
men.
tion t
Israe
move
belie
mont
we a
ther

News

٦

الأسد يتراجع عن إعتقال السادات !

كان الرئيس السادات يجلس مع سفير إسرائيل في مصر " موشيه ساسون " حين فوجئ بسؤال للسفير يقول فيه :

- عندما قررت ياسيدي الرئيس الحضور إلى القدس ذهبت إلى دمشق ودعوت الرئيس حافظ الأسد للإنضمام إليك في رحلتك ، وقد رفض دعوتك بل إنه قال - أي الأسد - إذا ما ذهبت بالفعل إلى القدس فسوف يعلن عن إستنكاره لتصرفك ، فلماذا إخترت أن تخبر الأسد بسرك ، بينما أخفيت الأمر على السعوديين ؟!

وكانت إجابة الرئيس السادات علي سؤال السفير الاسرائيلي كما يلي :

- عندما قررت أن أزور القدس كان من الواضح لي أن نجاح الزيارة يلزم قبل أي شئ إبعاد السوريين عن هذا الموضوع واشتراكهم يضمن عدم النجاح التام ، وأبسط طريق لضمان عدم إشتراك الأسد كان دعوته للإشتراك في زيادة القدس ؟!

وأضاف السادات لساسون : لقد دعوته - أي الأسد - وهو رفض كما هو متوقعاً الدعوة .

ووصل الرئيس السادات إلى دمشق يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ ، ولم تكن تلك الزيارة مفاجأة بل كانت مقررة قبل ذلك ويقول السادات في مذكراته :

حدث قبل أن اتجه إلى مجلس الشعب لإلقاء خطابي، إتصل بي الرئيس " حافظ الأسد " ليذكرني بالوعد الذى كنت قد أعطيته إياه بأن أزوره في الصيف ، ونجتمع في اللاذقيه ، وهنا قلت له أنني سأتي علي الفور . وفعلا . سافرت إلى سوريا

وإجتمعت مع الرئيس الأسد الذي سألنى : هل ماقلته في خطابك بالنسبة لزيارة القدس صحيح ؟

فأجبت : نعم أنا لا أقول شيئا لا أعنيه !

فتساءل : ولكن كيف يتم ذلك ؟

واستمرت مناقشاتنا أربع ساعات كامله قلت له بعدها :

إسمع ياحافظ .. لو ثبت أن هذه هى آخر مهمة أقوم بها كرئيس جمهورية فسوف أقوم بها وأعود لأقدم أستقالتي إلى مجلس الشعب في مصر كما ينص الدستور ، أما أنا فمقتنع مائه في المائه بإتمام هذه المبادرة .

وباعتراف السادات نفسه فقد فشلت مباحثاته تماما مع الرئيس السورري حافظ الأسد لكن ماجرى في دهاليز وكواليس المباحثات بين السادات والاسد كان مثيراً ولافتا للانتباه ولم يتح لأحد أن يشاهد إلا من كانوا بحكم مواقعهم موجودين بالقرب من السادات !

يقول السفير جمال منصور (رئيس البعثة الدبلوماسية المصرية في دمشق) مايلى هبطت طائرة الرئيس السادات في مطار دمشق ، وصعدت للقائه دخل الطائرة ، وكان في إستقباله الرئيس الاسد " والسيد وزير الخارجية " عبد الحليم خدام مع باقي الوزراء السوريين وبعد إنتهاء مراسم الاستقبال الرسمي في المطار ، تقدم إلى مدير المراسم برئاسة الجمهورية السورية وطلب منى أن أركب في العربة رقم (٢) خلف عربة الرئيس السادات !! ولقد كانت العربة رقم (٢) مخصصة له فأرجو أن تحل محله في هذه العربة.وكان يقف معنا السفير حسن أحمد كامل رئيس ديوان رئيس الجمهورية وسألته عما حدث فانتحي بي جانباً وأفادني بأن السيد اسماعيل فهمي لم يعلن عن إعتذاره عن الحضور في صحبة الرئيس السادات إلا صباح هذا اليوم ، وأفاد بأنه مريض لا يستطيع السفر فقام السيد حسن كامل بابلاغ الرئيس السادات بإعتذار السيد إسماعيل فهمي فرد الرئيس :

- أحسن أنه ماجاش ، عمل طيب !!

ويمض السفير جمال منصور في مذكراته " في الثورة والدبلوماسية " فيقول :

ووصلا الرئيسان إلى قصر الضيافة بجوار السفارة المصرية بحي " أبو رمانه " والقصر عبارة عن فيللا متواضعة كانت تشغلها السفارة المصرية إلى أن جاءت الوحدة مع سوريا .

وتبادل الرئيسان السؤال عن صحة الآخر ، وتحدث الرئيس السادات قائلا أنه يشعر دائما بنشاط كبير لأنه لا يأكل كثيراً . وأضاف أن أكلته المفضلة " الجبنه البيضاء واللبن غذائه لا يتعدى الخضروات والفواكه وقطعة من اللحم أحيانا ، أما العشاء فيكاد لا يقدم عليه إلا في المناسبات الرسمية ، ومع ذلك لا يأكل كل مايقدم في مثل هذه المناسبات ، وأنه يصوم يومي الأثنين والخميس . وسأل الرئيس عن الموعد الذي يناسب الرئيس السادات لبدء المباحثات فأجاب الرئيس السادات أنه يناسبه موعد الساعة السادسة مساء (وكانت الساعة الواحدة بعد الظهر عندما وصل الرئيس قصر الضيافة) فقال الرئيس الاسد : يبدو أن الرئيس السادات متعب من رحلته ، فأجابه السادات بأنه صائم ويود أن يأخذ بعض الراحة حتى آذان المغرب ، وسوف يتناول وجبه خفيفة ثم يذهب للقاء الرئيس السوري في منزله .

وطبقا لما يروية السفير جمال منصور فقد إتفق الرئيسان على هذا الموعد وانصرف الرئيس الاسد مع باقي الوزراء السوريين ، ثم تقدم جمال منصور يسأل الرئيس إذا كانت هناك أية توجيهات فقال له السادات : أرجو أن تبقي بجانبنا هنا تحسباً لاي شئ نحتاج إليه .

يقول جمال منصور : وصعد الرئيس إلى غرفته بالدور الثاني ومعه السيد " فوزي عبد الحافظ " ثم إنصرفت إلى مكتبي لإنهاء بعض المسائل العاجلة ثم عدت إلى قصر الضيافة وجلست مع باقي أعضاء الوفد المرافق للرئيس في الدور الأول من القصر .

وفي السادسة مساء نزل الرئيس السادات من غرفته وصافحني وطلب مني أن أبقي في قصر الضيافة إلى حين إنتهاء الإجتماع بين الرئيسيين . وكانت عربة الرئاسة السورية في إنتظار الرئيس السادات التي أقلته بمفرده إلى منزل الرئيس الاسد لبدء المحادثات على إنفراد دون حضور أي مسئول مصري أو سوري . وكانت رئاسة الجمهورية قد وجهت الدعوة إلى كافة السفراء العرب وذلك على العشاء تكريما

للرئيس السادات ، ولكن صدرت التعليمات في آخر لحظة بالغاء هذا الحفل .

وانتظرت مع باقي الوفد في صالون الاستقبال في قصر الضيافة ، ومرت الساعات ساعة بعد أخرى ونحن ننتظر عودة الرئيس السادات ، وبدأ القلق يساورني فأدركت أن المحادثات قد صادفت صعوبات ، الأمر الذي جعل الرئيسيين يقطعان كل هذه الساعات في حوار متصل .

وفي الواحدة من صباح اليوم التالي سمعنا آلات التنبيه لموكب السيد الرئيس وهو قادم إلى قصر الضيافة ، فقام الجميع لتحيته عند قدومه ، ولعلني أقول هنا الرئيس السادات كان قد ذهب للقاء الرئيس الاسد في السادسة مساء وهو في أبهي هية ، ثم عاد في الواحدة من صباح اليوم التالي وكأنه خارج من حلبة الملاكمة. وأحس الجميع بأن شيئا خطيراً قد حدث في لقاء الرئيس وتقدمت لمصافحة الرئيس السادات ورافقته إلى الدور العلوي حيث يقيم ثم سألته عن أي توجيهات فقال لي أن مؤتمراً صحفياً عالميا سوف يعقد في قصر الضيافة في العاشرة صباحاً وسوف يحضره والرئيس الاسد.

وعدت إلى دار السكن لأستريح بعض الساعات قبيل إنعقاد المؤتمر الصحفي العالمي، وفي التاسعة صباحا عدت من مكتبي إلى قصر الضيافة ووجدت حشداً هائلا من الصحفيين العرب والاجانب . وأن هناك بعض الوزراء السوريين ومن بينهم المرحوم "أحمد إسكندر " وزير الاعلام السوي الذي تقدم إلي ليبلغني بأن الرئيس الأسد لن يحضر المؤتمر الصحفي ولكنه سوف يصطحب الرئيس السادات بعد إنتهاء المؤتمر ويودعة في المطار قبل سفره إلى القاهرة .

وصعدت إلى الدور العلوى وكان الرئيس السادات قد قارب على الانتهاء من إرتداء ملابسة وتقابلنا في الصالة المجاورة لغرفته وصافحني ، وسأل عن المؤتمر الصحفي فأبلغته بأن عدداً كبيراً من الصحفيين العرب والاجانب موجودون حالياً في الدور الأول ولكن السيد " أحمد إسكندر " وزير الاعلام أبلغني بأن الرئيس الأسد لن يحضر المؤتمر.

وطبقا لما يرويه جمال منصور فقد : " ظهرت علامات عدم الارتياح على وجه الرئيس السادات وقال أنه رغم أن الأسد قد إتفق معه على حضور المؤتمر الصحفي إلا أنه

كان لدية إنطباع بأنه لن يحضر هذا المؤتمر . ودار الحديث بين السادات وبيني وسألني عن الاوضاع الداخلية في سوريا وعن ردود الفعل المحتمله بشأن زيارته المقبلة لاسرائيل ، فشرحت له سياسة حزب البعث .. وأخفيت أننا لابد أن نتوقع حملة إعلامية وانتقادات عنيفه من بعض البلاد العربية لأن مثل هذه الخطوة لن يتقبلها بسهولة بعض القادة العرب الذين عاصروا قضية فلسطين وعاشوا فيها فأجابني :

- أنا رميت طوبة العرب ونفضت يدي منهم ، ولهم أن يفعلوا مايشاءون .

وهناك جانب آخر لما حدث بين السادات والاسد من مناقشات وحوارات يرويها الكاتب الصحفي البريطاني " باتريك سيل " في كتابه الهام " الأسد الصراع علي الشرق الاوسط.يروي باتريك سيل " ماجرى بين السادات والأسد علي النحو التالي:

- جلس الرجلان طيلة سبع ساعات يناقش كل منهما الآخر ، ويناشده ، ويهاجمه بحده ولكن ذلك أصبح في النهاية حواراً عقيماً تركهما على أشد مايكون من الاختلاف ، مع إصرار كل منهما على الانفصال عن الآخر والذهاب في طريقة المستقبل ، فقد جاء السادات في محاولة أخيرة لإقناع الأسد بالموافقة على تعامله المباشر مع إسرائيل أو ليكسب صمته على الأقل . كانت تلك الليلة الطويلة المريرة ذروه أربعة أعوام من النقور المتزايد كانت جذوره كامنه في خيبة الأمل في حرب تشرين (أكتوبر) والزيارة تسمح بتحرك السادات بإتجاه إقامة علاقة منفصلة مع إسرائيل ، وقدر لذلك الاجتماع أن يكون آخر لقاء بينهما !

وأثناء النقاش حدث أن صاح السادات : فلنذهب معاً إلى القدس أو إذا لم تكن تستطيع المجئ فارجوك أن تلتزم الصمت ولا تجابهني بالاستنكار والادانة ، فإذا فشلت فسوف أعترف بفشلي بأنني كنت مخطأ وسأقول لشعبي أن يعطيك زمام القياده .

واستعمل الأسد لغة مشحونه بالخطر أكثر من المعتاد في تحذيره للسادات من العواقب الكثيره الخطيره لرحلته .إذ إنها ستكون أخطر نكسة في التاريخ العربي وسينجم عنها عدم توازن إستراتيجي يجعل إسرائيل تضرب الاقطار العربية والتي لا دفاع لها واحداً بعد الاخر .

وأضاف "باتريك سيل" لما سبق قوله : وبلغ الغضب بالأسد مبلغا جعله يفكر في أحدي اللحظات بحبس الزعيم المصري ومنعه من مغادرة دمشق .

وواقعة الفكرة التي راودت الرئيس الأسد بحبس الرئيس السادات علي خطورتها وأهميتها لا يذكرها السادات في مذكراته ، بل أن السيدة جيهان السادات تعترف بأنها لم تعلم إلا بعد إغتيال السادات في أكتوبر ١٩٨١ ، وتقول السيدة جيهان في مذكراتها : أن السادات كان لديه أملاً كبيراً في إقناع رفيقه في السلاح الرئيس السوري لتأييد موقفه وطار أنور إلى دمشق ليعود فقط خائب الأمل ومترنحاً وقال لي (لجيهان) : تناقشت وحاولت مع حافظ حتي الرابعة صباحاً وقالها والارهاق يكسو وجهه وأضاف أبلغته أنني سأتحمل المسئولية الكاملة عن تصرفاتي ، فإذا نجحت وتأكد السلام ، عندئذ سيكون إنتصاراً لنا جميعاً وإذا فشلت سأتحمل وحدي عواقب فشلي .

وتكمل جيهان السادات قائله : غير أن "حافظ" إستمات في معارضة مبادرة أنور السلمية وانقلب حتي على أنور نفسه ، وبمجرد عودة أنور من سوريا بدأ راديو دمشق يشن حملة طعن على زوجي ، وأي واحد إعتزم مصاحبته في رحلته المقترحة ، وهدد راديو دمشق قائلا ، أي واحد يطأ قدمه القدس المحتله يكون بذلك خائنا للعرب ، وسوف يتحمل وطأه كل الدم العربي الذي أريق لتحرير فلسطين ، وقد شعرت بالاحباط من تهجمات حافظ الاسد ، فقد كان مقرباً جداً لأنور وأكل مع أسرتي على المائدة ، وضحك معنا ، والآن يهدد صديقه القديم بالقتل ، ولم أكن أعرف حتي بعد إغتيال أنور أن الحكومة السورية بحثت إعتقال أنور في دمشق لمنعه من مواصلة سعيه إلى السلام ، وفي الدقيقة الاخيرة فقط أدرك الأسد أن هذا إجراء خطير وغير ذي جدوي .

- يقول موسي صبري : " وأثناء إجتماع السادات والأسد حتي ساعة مبكره من الصباح كانت قيادة حزب البعث في إجتماع طويل بغير وجود الاسد معهم ، وقد قرروا في هذا الإجتماع إعتقال الرئيس السادات قبل مغادرته دمشق .. وإعلان محاكمته سياسياً وشعبياً بتهمة الخيانه ! وكانوا قد قرروا إعتقاله في مطار دمشق قبل أن يركب الطائرة.. وخلال مراسم التوديع ذهب رسول من القيادة القطرية إلى

المطار لكي يحصل على موافقة حافظ الأسد على القرار .. ولم يستطع الرسول أن يقابل الأسد .. إلا بعد أن ركب السادات الطائرة .

- ويضيف أنيس منصور قائلا :ولما ذهب الرئيس يخبر الرئيس حافظ الأسد بذلك قرر حزب البعث إلقاء القبض علي الرئيس السادات وإعدامه فوراً لانه خائن ولأن ذهابه إلى القدس إهانه لكل العرب وقبوله للشروط الامريكية الإسرائيليه .. صدع للصف العربي فهو رجل خائن والمصريون جميعا خونه . وكل الذين سوف يسافرون معه أو يؤيدونه يجب إغتيالهم ! وفيما بعد روت المذيعة التليفزيونية اللامعه " دورين كايز " في كتابها ضفادع وعقارب :" من الذي قتل السادات " تقول :

الواقع أن حافظ الأسد من بين جميع الزعماء في العالم العربي كان أشدهم إعتراضا على رحلة السادات السلاميه ، وبعد إغتيال السادات بشهور إعترف أمامي وزير سوري سابق بقوله : لقد وضعنا بالفعل خطة لإعتقال السادات عند وصوله إلى دمشق لمنعه من الذهاب إلى إسرائيل ، ولكن الرئيس الأسد إعترض في اللحظة الأخيرة على أساس أن الخطة كانت غير عملية .

وبعد أن تمت زيارة السادات بالفعل إلى إسرائيل ، كان الرئيس السوري " حافظ الأسد " قد إلتقي مع وفد من حزب الكتائب اللبناني ، وكان خمس أعضاء هذا الوفد كريم بقردواني " السياسي للرئيس اللبناني سركيس " الذي سجل ماجرى بين الأسد " والوفد الكتائبي في كتابه " السلام المفقود " فيقول أن الرئيس الأسد حاول ثني السادات عن عزمه وشرح له أن إسرائيل لن تتنازل عن شئ لأن التوازن الاستراتيجي بينها وبين العرب هو لصالحها ، وأنه أكد للسادات أن زيارته لم تسفر عن أية منفعه إيجابية ملموسة للعرب ، وأن أية نتيجة إيجابية لهذه الزيارة سيكون ثمنها باهظاً من الخزي والعار ، والأمر الذي لا يفهمه السادات هو أن المصالح بين الدول لا تحل علي طريقة النزاعات بين القبائل . فزيارة بسيطة قد تحل خلافاً قبلياً ، ولكن الحروب بين الشعوب والامم لا يمكن أن تحل بهذه الطريقة .

وقال حافظ الأسد أيضاً : أن السادات يتصرف تصرف رئيس قبيله أكثر منه رئيس دولة . والذي أره أن المهم ليس إعادة قطعة من الارض إلينا . بل الأهم هو الطريقة التي تقاد بها هذه الارض . ذلك أن مايحسب له حساب أكثر من الاستعادة بحد

ذاتها هو التصور الجماعي لهذه الاستعادة في الاذهان والصدمة التي تحدثها في محتويات الشعب من الافضل لنا أن تبقي أرضنا محتله من أن نستعيدها علي حساب كرامتنا الوطنيه ، ومن أن نضحي في سبيلها بمصالح الامه العربية . إذا كانت المسأله مسألة مساحة فالارض العربيه واسعة مترامية الاطراف وعندنا منها مايزيد علي حاجتنا . الموضوع ليس موضوع أرض بل هو القضية التي ترمز اليها هذه الأرض .

وطبقا لما سجله " كريم بقرادوني " في كتابة "السلام المفقود " فقد واصل الرئيس الأسد كلامة لأعضاء الوفد الكتائبي قائلا:

خطأ السادات هو أنه بدأ حيث كان يجب أن ينتهي . إعترف باسرائيل حتي قبل أن يفاوض . إن موقف السادات قد ألمني جداً ، لم يكن منطقه كمنطقي إطلاقاً في أثناء المحادثات التي أجريناها ، لقد حاول أن يجد تبريراً لقرار إتخذه ولا يريد التراجع عنه وحاولت ألا أقطع العلاقات معه وألا أمس شعوره مساً مؤلماً ، ولم يكن قد مضي زمن طويل على إتفاقنا في الرياض لأنهاء الصراع المصري - السوري وبالتالي إنهاء الحرب القاسية في لبنان ، وقد كانت هذه الحرب إلى حد ماحرباً بين سوريا ومصر وأني أعرف يقينا أن كل نزاع مسلح مصري سوري سيتطور في المستقبل إلى حرب ضارية أشد فتكاً من حرب لبنان ، معركتنا ضد السادات ستكون شرسة ، اختلاف وجهات النظر بيننا ستكون داميه . فهو سيدفع ونحن سندفع بوصفنا عربا ثمناً باهظاً . قوة العرب الحقيقية تقوم على تفاهم بين مصر وسوريا . وفي غياب تفاهم كهذا يجد العالم العربي نفسه بدون عموده الفقري .

- ومضي الرئيس حافظ الأسد يقول في نفس حواره مع الوفد الكتائبي :

كان بيجن قليل الأدب مع السادات ، فالآراء التى أبداها رئيس الكنيست كاللهجه التي تكلم بها رئيس الحكومة تظهر قلة الاهتمام بنا ، لو شئنا أن نصرف النظر عن العادات والتقاليد السائدة في العلاقات بين الدول والرؤساء ، لما سمحنا أبداً للسادات بمغادرة سوريا ليقوم برحلته إلى القدس . لنا منطقنا الخاص على هذا الصعيد : فكل شخص على علاقة مع العدو يعتبر خائنا ، وكل خائن يجب أن يعدم ولا يمكن إعتبار الخائن بطل سلام كما يريد السادات أن يوهمنا . شرحت للسادات

الفارق بين السلام والإستسلام وصارحته قائلاً : أن مبادرتك قد تهدم السلام عوضاً عن أن تبنيه . فالإتفاق الثنائي بين مصر وإسرائيل شئ ، ولكن السلام الحقيقي هو شئ آخر ، فالصلح سيكون شاملا أو لا يكون أبداً ، نحن في سوريا فرضنا فيما مضي شروطاً تتعلق بمساهمتنا في مؤتمر جنيف ، وأردنا أن نضمن الحد الادني من الحقوق العربية قبل أن نبدأ المحادثات . فهل من الطبيعي أن نذهب إلى القدس بشروط ، وبهذا المقدار من الخسه والاستهتار ؟!

لقد أفهمت السادات - يقول حافظ الأسد - أني لا أستطيع تأييده وختمت حديثي معه قائلا له بقوة : حتي لو وافقت أنا عل مسعاك ، فإن شعبى لن يوافق عليه وسيشجبة وأخذ حافظ الأسد يسترجع ذكرياته عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي خاضها مع حليفة السادات وقال لإعضاء الوفد الكتابئي :

- السادات غريب الاطوار . إنه دائما مستعجل نسف مؤتمر جنيف بسبب إستعجاله الذهاب إلى القدس . وخسرنا مكاسب حرب تشرين بإستعجاله علي طريق فك الارتباط مع إسرائيل . ولو قبل السادات إستمرار المعارك ولو وقتاً قصيراً ، ولو أنه لم يستعجل في قبول فك الارتباط لحلت مشكلة الشرق الأوسط حلاً شاملا ولمصلحة العرب .، في أسوأ الاحوال كنا قادرين آنذاك علي بلوغ ماانطالب به الآن . وماترفضه إسرائيل أي الانسحاب من الاراضي العربيه المحتلة وإقامة دولة فلسطينية . ولكن فك الارتباط جعل إسرائيل تستعيد أنفاسها ، وأتاح لها تجديد قواتها .

وبعد عدة دقائق من صمت الرئيس الاسد عاد ليقول متسائلا وحائراً :

- لم الإستعجال ؟! لسنا مستعجلين على الحل، لا شئ يجبرنا على ذلك . ثلاثون سنة إنصرفت ، فلنقاوم ثلاثين سنة أخرى ! لا يضحي هكذا بقضايا الشعوب والامم . والمهم في الوقت الحاضر أن نتجمع ونعيد التوازن الذي أختل ، وبعدئذ نحاول أن نجد حلاً . تؤكد معلوماتنا أن القوى المصرية الحية هى ضد السادات . صحيح أن الشعب المصري غير يأسه بمقدار ماهم عليه اللبنانيون والسوريون . القسم الأكبر من الجماهير المصرية لا يهتم بالسياسة . وليست هذه حال القوي الحية كالطلاب والنقابات والمثقفين والاحزاب التي لا توافق على مساعي السادات . إن الرئيس

المصري يمش معاكساً مجرى التاريخ . أن المستقبل لمصلحتنا ، يكفي للتثبت من ذلك أن نلقى نظرة على طاقاتنا أرضا وبشراً .

بإختصار شديد كان الرئيس الأسد مؤمنا ومتأكداً أن " الوقت حليفنا الاساسي بشرط أن تعرف كيف نستعمله" .

وحتي تلك اللحظة من حديث الأسد مع أعضاء الوفد الكتائبي فإن أحداً منهم لم يعرف هذه الزيارة ومغزي اللقاء مع الرئيس السوري إلي أن قال لهم :

- أخشي أن لا تكونوا قد أدركتم في لبنان إدراكا تاما فداحة الأخطار التى تهددكم بعد مبادرة السادات ، وأخشي أيضا أن تنظروا إلى الأحداث من زاوية ضيقة وجزئية ، لا تفرحوا كثيراً بموقف السادات من القضية الفلسطينية ، ولا تستعجلوا في تأييده فقط لأنه اليوم ضد المقاومة الفلسطينية .

ومضى الأسد يقول لأعضاء الوفد الكتائبي مفنداً أخطار زيارة السادات لإسرائيل على كيان ووحدة لبنان نفسه قائلاً :

- فخطة السادات ستؤدى إلى إبادة الفلسطينين واللبنانيين على التوالي . ولبنان هو اليوم في خطر من جراء مبادرة السادات ، ولتكملة معلوماتكم أقول لكم أن حسين والسادات تفاهما على توطين الفلسطينين حيث هم الآن في الضفة الغربية وسوريا ولبنان وتوطين الفلسطينين فى سوريا ليس مشكلة (!!) ، أما فى لبنان فإنه يحدث مأساة فكل عربي يستطيع عندنا أن يكون مواطنا مكتمل الحقوق ، يستطيع الاقامة في سوريا والعمل فيها ، وفي وسعه حتي أن يشغل منصباً سياسياً . إن قرارنا برفض توطين الفلسطينين ناجم عن موقف مبدئي ومفهوم قومي . نرفض إعطاء الفلسطينين للهوية السورية ما داموا لم يحصلوا بعد على دولة فلسطينيه لهم . ومتي كانت لهم دولتهم الخاصة لكل فلسطيني يستطيع أن يصبح مواطناً سورياً بمجرد طلبه هذه المواطنه أسوة بجميع العرب الآخرين ولكن الحالة في لبنان تختلف كليا عن واقعنا . فالتوطين عندكم يتخذ حجما آخر ، إنه يهز أساس بلادكم ويخل توازن التعايش ، ورفضكم التوطين ناجم عن إعتبارات لبنانية صرفة ، والحال أن الاتفاق المصري الاسرائيلي يوازي توطين الفلسطينين في لبنان ، لهذا السبب ليكم أن ترفضوا مبادرة السادات إكراماً لنا بل لتنقذوا الهوية اللبنانية .

وعلت نبرة الرئيس الأسد وهو يقول بحسم شديد لأعضاء الوفد الكتائبى اللبناني :

- لا أريد شيئا من السادات .. لن يترك هذا الرجل شيئا بعده .

وفيما بعد يعترف موشي ديان " معلقاً بقوله :

لم نجد أي مبرر لزيارة السادات لدمشق لتنسيق المواقف مع الرئيس السوري الأسد.

ورغم مرور عدة أسابيع على إنتهاء زيارة السادات لدمشق ، فإنه لم يستطيع إخفاء مرارته وحزنه وضيقه من الأسد وذلك عندما قابله " أحمد بهاء الدين " في ديسمبر ١٩٧٧ وطبقاً لما يروية " أحمد بهاء الدين " فقد قال له السادات :

- ولكن مارأيك في حافظ الأسد مثلاً ؟ حافظ الأسد أولا ضيع علينا شهوراً طويله بعد حرب ١٩٧٣ عندما أخذ يساوم وكأنه بقال يبيع أو يشترى قطعة جبن . ظل شهوراً طويلة يساوم على متر من هنا وشبر من هناك ، غير فاهم أن الأهم من المتر والشبر هو سرعة التقدم في المفاوضات حول الموضوع الاصلي والحديث لا يزال ساخناً بعد حرب ١٩٧٣.

ومضي السادات يقول لأحمد بهاء الدين بعد ذلك :

- حافظ الأسد هذا خذلنا بعد يومين من حرب ١٩٧٣ . لم ينفذ الخطة المشتركة المتفق عليها واجتاح الجولان كله في يومين ثم طلب وقف إطلاق النار ، وجيشنا مازال في معمعة عبور القنال ، كان يظن أنه يمكنه أن يخرج بإسترداد أرضه كلها ولنذهب نحن إلى الشيطان لكن الاسرائليين بعد أن نجحوا في تشبيت جبهتهم في سيناء إستداروا إليه واستولوا علي الجولان كلها ، واستولوا علي أكثر ماكان في أيديهم قبل الحرب .

وهنا قال أحمد بهاء الدين للرئيس السادات .

- ولكن سيادتك نفيت ذلك وقلت علناً أن الروس كذبوا عليك عندما أبلغوك بطلب حافظ الاسد منهم بالتدخل لوقف إطلاق النار ؟!

ولم ينكر السادات أو ينفي ذلك بل وجد نفسه يقول لبهاء بكل بساطة :

- أنا فعلا " لزقتها " في بريجنيف بتحالف الأسد معنا ، ولكنه فعلاً طلب ذلك .. ليس هذا هو المهم الآن ولكنني ذهبت كما تعرف إلى حافظ الأسد في دمشق وقلت

له أنني ذاهب إلى القدس ، وشرحت له مافي ذهني وكل حساباتي ، وقد إختلفنا فعلا ولم يوافقني علي ذلك ، ولكنني قلت له في النهاية طيب ياحافظ .. أنا ذاهب إلى القدس وتستطيع أن تهاجم ذلك ، ولكنني أطلب إليك ألا تذهب بعيداً في الهجوم علينا ، وبلاش حكاية الخيانه والعماله والكلام ده .. لأننا سنريدك بعد هذا لكي نسلمك الأرض(!!).

ويعترف "أحمد بهاء الدين" أنه وجد نفسه يسأل السادات ببلاهة حقيقية .

- ورد السادات : الجولان طبعاً!! أم أنك تصدق الدعايات التى تقول أنني سأعقد صلحاً منفرداً ؟! ومع ذلك ذهب حافظ الأسد يصدر الكلمات المليئة بتهم الخيانه والعماله وما إلى ذلك .

◘ ◘

وعندما زار الملك حسين القاهرة ، وعقب مباحثاته مع الرئيس السادات قام الملك حسين بمقابلة " محمود رياض " أمين عام جامعة الدولة العربية ، ودارت المناقشة بينهما حول نتائج المباحثات التي كان قد أجراها قبل أيام قليلة مع الرئيس حافظ الأسد في دمشق!

- ويقول محمود رياض أن الملك حسين أبلغه أن السوريين في غضب شديد فهم مقتنعون تماما بأن الرئيس السادات يسعي إلى حل منفرد مع إسرائيل أو الأتفاق مع الولايات المتحدة وأن أي إجتماع تحت إسم مؤتمر السلام في القاهرة أو جنيف سيكون لتغطية الاتفاق الثنائي المصري الاسرائيلي .

وأضاف الملك حسين يقول لمحمود رياض :

- أنه حضر للقاهرة لمحاولة حصر الخلافات برغم أن السوريين قد حذروه قبيل مجيئه بأن إتصالاته مع الرئيس السادات لن تؤدي إلى نتيجة .

وفيما بعد فقد سافر محمود رياض بنفسه إلى دمشق واجتمع مع الرئيس الأسد حيث أمتد الاجتماع حتي الرابعة صباحاً وكان قد بدأ قبيل منتصف الليل ، وتحدث الأسد مع رياض عن خلاصة تجربته في السنوات الاخيرة مع الرئيس السادات خاصة تجربة فض الاشتباك الأول حين وقع الرئيس السادات على الاتفاق دون إنتظار وصول



سوريا إلى إتفاق مماثل" .

ويمضي محمود رياض قائلاً :

- وذكر الرئيس الأسد أن الرئيس السادات زاره قبل سفره إلى القدس وأبلغه بقراره بالسفر إلى إسرائيل ، وأنه حاول إقناعه بالعدول عن السفر " لأن هذه الزيارة ستحدث موجة من الاستياء والغضب في الرأي العام العربي" . ولكن الرئيس السادات رد قائلاً بأن أي غضب عربي تثيره زيارته للقدس سرعان ماسينتهي قبل مضي ثلاثة أشهر يكون هو- أي السادات - قد توصل خلالها مع إسرائيل إلى تسوية شاملة ، لان المشكلة في رأي السادات بيننا وبين إسرائيل ليست الاحتلال إنما هي مجرد حاجز نفسي يمنع الاسرائيليين من الانسحاب الكامل ، وهذا الحاجز سوف يزول خلال أيام أو أسابيع من زيارته للقدس .

ويضيف محمود رياض قوله :

- سكت الرئيس الأسد قليلا قبل أن يضيف قائلاً : أن زيارة الرئيس السادات إلى القدس قد حطمت فعلا الحاجز النفسي ولكن لدي العرب وليس الاسرائليين وهو الحاجز الذي كان يدفعهم إلى الصمود في وجه المخططات الإسرائيلية . لقد قدم الرئيس السادات بمبادرته تلك تنازلات لم تكن تحلم بها إسرائيل بلا مقابل وأخلت بالتوازن في المنطقة لصالح إسرائيل .

وانتهت زيارة الرئيس السادات إلى دمشق وقبل مغادرته للعاصمة السورية عقد مؤتمراً صحفياً عالمياً ليجيب فيه على عشرات الأسئلة الحائرة !!

كان الملفت للنظر أن يبدأ السادات مؤتمره الصحفي بتوجيه التحيه إلى شعب لبنان ورئيسه " الياس سركيس " .

ثم جرت وقائع المؤتمر الصحفي علي النحو التالي :

- سؤال : سيادة الرئيس هل وافق الرئيس الأسد على سفركم إلى إسرائيل ؟!

- السادات : لقد كان من الطبيعي أن نبحث هذه المسألة ونحن نستعرض أمس الموقف برمته ولم يوافق الرئيس الأسد ولم يتفق معي في هذه الناحيه .

- سؤال : ولماذا رفض الرئيس الأسد ؟

- السادات ، أن هذا هو إعتقاده وحقه أن يكون له رأيه الخاص شأن أي إنسان وهذا لايعني أن هناك خلافاً جوهرياً بيني وبين الرئيس حافظ الأسد ولكنه لا يوافق.

- سؤال : هل شرحت للرئيس الأسد زيارتك لإسرائيل ؟!

- السادات : لماذا أشرح وأستغرق طويلا من الوقت في السرد فيما كنا نبحث كما قلت الموقف من جميع نواحيه وكل المشكلات المتعلقة به لماذا ينبغي أن نعطيها أكثر مما تستحق !!

- سؤال :ماهو رد الرئيس الأسد في هذه الناحيه ؟

- السادات : لم يكن هناك حاجة لأن أشرح للرئيس الأسد أي شئ فهو على علم بخطوتي عندما سمع بها لم نتفق علي هذه المسأله من قبل كما أنني لم أبلغه بها ، هذه هي الحقيقة . لكنني ذاهب إلى هناك لأقول للإسرائيلين في دارهم إذا كنتم تريدون الحياه في هذه المنطقة فهذه هي الحقائق ، هذا هو هدفي .

- سؤال : هل أنت جاد في الذهاب إلى إسرائيل ؟!

- السادات : أعوذ بالله .. هذا السؤال للمرة الألف ، أسأله وسمعت الإجابه عنه نعم أنا ذاهب ودائما لا أقول إلا ما أعني .

- سؤال : هل سيكون السفر قريباً ؟!

- السادات : ليس بعد فإنني لم أتلق الدعوة رسميا ً بعد ، وقد أتلقاها بعد عودتي اليوم إلى مصر .

- سؤال : هل طلب منكم الرئيس الأسد ألا تقوم بمثل هذه الزيارة ؟!

- السادات : ولماذا يطلب مني عدم القيام بهذه الزيارة ، ولماذا أطلب منه أن يفعل هذا أو ذاك ، فلكل شخص رأيه الخاص فإن هذه ليست الطريقة التي نتعامل بها .

إستغرق المؤتمر الصحفي العالمي الذي عقده السادات حوالي ساعتين تقريبا ولم يحضر الرئيس السوري حافظ الاسد .

وفي تلك اللحظات العصيبة وصل الرئيس الأسد ليصطحب الرئيس السادات إلى مطار دمشق .

وقائع ماجرى في تلك اللحظات يرويها كما شاهدها بنفسه السفير" جمال منصور " فيقول :

- كان الموقف هادئاً ولم يحدث فيه أي شئ يعكر صفو الذهاب إلى المطار ، وتحرك الركب من خلف الرئيسين ، ووصلنا إلى المطار ، والتقينا بعيداً على أرض المطار وكنا ثلاثة عبد الحليم خدام والسفير حسن كامل وأنا ، ووجه الوزير السوري سؤالا إلى حسن كامل رئيس ديوان رئاسة الجمهورية وقال :

- فماذا أنتم فاعلون الآن ؟!

فأجابه حسن كامل . بكل الثقة والهدوء :

- سوف نذهب إلى القدس .. وسوف تذهب المقدمة .. بعد باكر إلى هناك للإعداد لزيارة الرئيس السادات الذي سوف يتحدث إلى الشعب الإسرائيلي ، ويلقي خطابه في الكنيست ..ولم يتمالك عبد الحليم خدام أعصابه وقال بأعلي صوته على أرض مطار دمشق :

- هذه كارثه .. هذه كارثة .. سوف تحل بالعالم العربي أكبر كارثة في تاريخه .

ويضيف السفير جمال منصور قائلا :

- إنتهت مراسم الوداع وتصافح الرئيسان ، وبقي الأسد في المطار إلى أن أقلعت طائرة الرئيس السادات ، وهم الرئيس الاسد بركوب عربته ولكن أقترب منه عبد الحليم خدام وأمسك يده وتحدث معه ، ثم أصطحبه إلى إستراحة كبار الزوار حيث عقد مؤتمراً صحفياً آخر في المطار .

وتحدث الرئيس الأسد إلى الصحفيين فقال :

- إن مصر شقيقة عزيزة علينا ، والرئيس السادات شقيق لنا ، وقد دخلنا الحرب معاً وضحينا معاً ، وله رأي في السلام في المنطقة ، ولكننا أختلفنا معه حول هذا الرأي ، ولعل الزمن يثبت من كان صاحب الرأي الأصوب ..

وانتهي المؤتمر الصحفي وعاد الرئيس الأسد في موكب إلى دمشق ، كانت الساعة حوالي الثانية بعد الظهر ، وحوالي الخامسة بعد الظهر بدأت الأحداث تتوالي وحسبما جاء في مذكرات " جمال منصور " أيضا يقول :

- سمعنا صوت إنفجارات في دار السكن وتهشمت ألواح الزجاج ، ولم تمض دقائق حتي سمعنا إنفجاراً آخر في دار المكاتب الذي يبعد خطوات عن دار السكن ، وتحدث إلى تليفونياً حارس الآمن الذي كان في حالة من الاضطراب وقال لي :

- السفارة تنفجر يافندم !

وقمت بالاتصال تليفونياً بوزير الداخلية السوري في مكتبة ، وأخبرته بما حدث وحضر إلى دار السكن ومعه رئيس المخابرات العسكرية وبعض معاونيه ، وتفقدوا معي ماحدث في داري السكن والمكاتب ، وجلسنا في حجرة الاستقبال التي لم تتأثر بالانفجار قال لي الوزير السوري :

- أن سلطات الأمن سوف تتخذ كافة الإجراءات لمعرفة المسئول عن هذا الانفجار ؟!

وأعطاني رقم تليفونه الخاص وطلب مني أن أتصل به في أي لحظة ، وتأسف لما حدث وانصرف الجميع بعد أن جاءت قوات الامن السوري لتحرس داري السكن والمكاتب وذلك لليلة واحدة ثم تم سحبها .

بلغت الاثارة ذروتها والتليفزيون السوري ينقل علي الهواء مباشرة وقائع وصول السادات إلى القدس .

وحسبما يقول السفير " جمال منصور" كان المذيع السوري يعلق بطريقة هيسترية علي الزيارة ، وعندما نزل الرئيس السادات من الطائرة ، وكانت جولدا مائير من بين مستقبليه قال المذيع إنظروا إنه يحتضن العجوز ، إنه يصافح قمة العداء ، أنه يضع يده في يد من قتلت أبناءه وأبناء العرب . وتعالت أصوات الغضب ، وباتت دمشق وراء هذا الحدث الكبير وهي لا تصدق أن هذا قد تم ، وأن الرئيس المصري قد وصل بقدميه إلى القدس عاصمة العدو .

وفي اليوم التالي كان مؤذن المسجد يدعو المصلين لصلاة العيد وذلك في المسجد الذي يبعد عدة خطوات من دار السكن ، وماأن إنتهت صلاة العيد حتي علت أصوات الجماهير السورية من المصلين تهتف هتافات عدائية ضد الرئيس المصري ، وتتهمه بالخيانه لقضية العرب الكبري - قضية فلسطين - وبالعمالة لأمريكا وتجمهر المصلون وتوجهوا في مواكب متتاليه وأنضم اليهم الكثير من المصلين من

الفلسطينيين قاصدين داري السكن والمكاتب ، ولكن البوليس السوري كان يحرس هذه المظاهرات حتي لا تقترب كثيراً من هناك ، ولكن تمكنت بعض المجموعات من لصق الكتابات المعادية للرئيس السادات على حوائط دار السكن .

وحضر في اليوم التالي إلى دار المكاتب ، وفد من الفلسطينين في سوريا وطلبوا مقابلتي وانتهت المقابله بتقديم إحتجاج عل زيارة السادات للقدس وأثر ذلك علي التضامن العربي وضياع حقوق الفلسطينين .

وكان مجلس الوزراء السورى وحزب البعث السوري في حالة إجتماع مستمر لمناقشة زيارة الرئيس السادات إلى القدس ، وأصدرت الحكومة السورية قراراً بتجميد العلاقات مع مصر ، وكان رد فعل مصر علي هذه الخطوة أن رفض تجميد العلاقات وأعلنت من جانبها قطع العلاقات مع سوريا .

ويضيف السفير " جمال منصور " في نهاية شهادته :

وجاءتني تعليمات من الخارجية المصرية بأن أعود فوراً إلى القاهرة تنفيذاً لقرار قطع العلاقات مع سوريا ، وعدت إلى القاهرة في ظرف ٢٤ ساعة ، وتركت عائلتي خلفي لتلتحق بي في القاهرة بعد ثلاثة أيام

◘ ◘

سنوات طويلة علي مبادرة السادات ، وجري ماجري من تحولات وتغييرات ولم يتغير الأسد " إلا قليلاً !!



٧

الزوج آخر من يعلم وكارتر أيضاً !!

لم يصدق السادات أحد يومها !!

كان السؤال بسيطاً ؟!والأجابة أكثر بساطة ، ومع ذلك لم يصدق إجابة السادات ، لا رجال الصحافة ولا رجال السياسة !!

كان ذلك في نهاية المؤتمر الصحفي العلمي الذي عقده السادات في نهاية زيارته لسوريا وقبل ٤٨ ساعة فقط من ذهابه إلى اسرائيل .

سئل السادات يومها: هل بحثتم موضوع زيارتكم مع الأمر يكيين قبل إتخاذ القرار؟!

وأجاب السادات قائلا : لا على الأطلاق . "

ورغم صدق إجابه السادات ، فقد كان من الصعب تصديق هذه الأجابة ؟!

إن سلوك السادات السياسي نفسه وطوال سنوات حكمه هي التي دفعت الناس إلى عدم تصديق أن السادات لم يبحث مع أمريكا فكرة زيارته المذهلة إلى اسرائيل !

لقد دأب السادات وطول سنوات وفي مئات المرات أن يؤكد المرة بعد المرة على أن " ٩٩٪ من أوراق اللعبة في يد الولايات المتحدة ، لأن الولايات المتحدة تزود اسرائيل بكل شئ ، من رغيف الخبز إلى الفانتوم ."

ومن طبائع الامور – والحال هكذا أن تكون أمريكا على علم بما ينويه السادات بشأن رحلته ومبادرته .

لكن حقيقة الأمر كانت العكس ، بل كان الرئيس الأمريكي " كارتر " مثل الزوج آخر من يعلم ، وفوجئ تماماً بقرار السادات الشهير ورحلته إلى إسرائيل .

◘ ◘

ومع ذلك لم يزهق الصحفيون من توجيه نفس السؤال ، ولا زهق السادات من التأكيد على أنه لم يخبر الأمريكان بذلك !

في حديث السادات مع التليفزيون الأمريكي برنامج واجه الأمة الذي أذيع يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٧سئل السادات : هل أبلغتم حكومة الولايات المتحدة ، أو الرئيس كارتر ، أو وزير الخارجية "فانس" قبل أن تذهبوا إلى القدس ،أو تعلنوا ذلك ؟!

قال السادات : لا" اطلاقا .. اطلاقا !

وعاد التليفزيون يسأله : لو أن هنري كيسنجر مازال وزيراً للخارجية لتبادر إلى أذهانكم انكم أبلغتموه ؟!

قال الرئيس السادات مؤكداً على كل كلمة يقولها

– لا اطلاقاً ..كان سيحدث نفس الشئ لأن تأثير العمل الذي قمت به لن يتحقق إلا بالمفاجاة (!!)

والتقط مذيع التلفزيون الآمريكي جملة السادات الأخيرة بكل دلالتها النفسية والسياسية وبادره بسؤال حيث يقول :

هل مازال في جعبتكم المزيد من المفاجات لنا ياسيادة الرئيس ؟!

وقال السادات : لا أعتقد بعد أن القيت خطابي أمس أمام مجلس الشعب ، وليس عندي مبادرات أخرى في الوقت الحالي ."

وفيما بعد كتب " موشي ديان " يقول :

" كانت زيارة السادات للقدس مثار حديث غير رسمي مع الأمريكين أثناء مفاوضات كامب ديفيد فيما بعد ويقول الامريكيون أن السادات لم يتشاور معهم قبل الذهاب إلى القدس ، فضلا عن أن إعلانه في البرلمان المصري عن إستعداده للذهاب والتحدث في الكينست الإسرائيلي لم يرد في النص المكتوب لخطابه ، وانما

كان بمثابة مفاجاة لمستمعيه ."

ويضيف ديان قوله : " وفي الواقع فأن السفير الأمريكي في القاهرة الذي أصابه الذهول أعتقد أنه من الأفضل الأتصال بالسادات تليفونياً ليقول له أنه إن لم يكن جاداً في زيادة القدس فعلا . فأن من الحكمة أن يتراجع عن ذلك فوراً .

شعر السادات باستياء شديد من كلمات السفير وقال في غضب :

- هل تعتقد أنه يمكن أن أقول مثل هذا القول لو لم أعتزم تنفيذه ؟ "

◘ ◘

ويؤكد أيضا الكاتب الصحفي البريطاني " إريك سيلفر " : " بالرغم من العلاقات الحارة التي أقامها (السادات) بالفعل مع جيمي كارتر ، إلا أن السادات لم يستشر الأمريكيين مقدماً حول إعلانه هذا في مجلس الشعب ، وطبقاً لما قاله " سيروس فانس " وزير الخارجية الأمريكية أنه أخطر الرئيس (   ) قبل إعلانه بيوم واحد عن تفكيره في الذهاب إلى إسرائيل ، ونظراً لأنه قد " عوم " فكرة عقد مؤتمر قمة في القدس الشرقية يضم الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن ومنظمة التحرير الفلسطينية وكذلك إسرائيل وجيرانها المباشرين فأن رسالة كهذه لم تقبل بمعناها الواضح الظاهري . ولكن ما أن أدلي (السادات) بتصريحه هذا حتى أصبحت الولايات المتحدة ساعي البريد السعيد على حد قول "صمويل لويس " السفير الأمريكي في تل أبيب ." .

ونجد نفس المعني تقريباً تورده " دورين كايز " في كتابها " ضفادع وعقارب " فتقول:

أما عن الولايات المتحدة الأمريكية فمع إنها فوجئت بمبادرة السادات الجسورة إلا أنها لم تكن تستطيع إلا تأييدها ، خصوصاً وأن السادات كان يردد دائما أن واشنطن تملك بين يديها ٩٩٪ من أوراق اللعب في الشرق الأوسط ."

ولكن الأمريكيين من جانبهم لم يكونوا أميل إلى الصلح المنفرد ، وقد أزعجتهم كثيراً طريقة السادات في المزج بين العمل السياسي ، والنزعة الاستعراضية ، وكانوا يعربون سراً عن أن هذه الطريقة كفيلة بأفساد كل شئ واغراق الجميع أكثر

فأكثر في مستنقع الشرق الأوسط ."

لم يكن أحد على استعداد أن يصدق أن أمريكا كانت بعيدة تماما عن مبادرة السادات بل وبدات بعض الدوائر العربية توجة الأتهام فعلا إلى حكومة كارتر بأنها تسير في إتجاه الحل المنفرد ، وذلك امتداداً لسياسية وزير الخارجية السابق " هنري كيسنجر "

وبذلت الولايات المتحدة من جانبها جهوداً كبيرة لنفي هذه الأتهامات ، ووصل الأمر أن ذهب السفير الأمريكي في القاهرة " هيرمان إيلتس " لزيارة " محمود رياض " أمين عام جامعة الدول العربية يوم ٨ ديسمبر ١٩٧٧ لتوضيح موقف حكومتة .

ويقول محمود رياض " في مذكراته :

"زارني مسترهيرمان ايلتس لكي يؤكد لي بأن الولايات المتحدة لم تكن لها أي دخل في زيارة الرئيس السادات إلى القدس ،وأنه لم يتشاور مطلقاً مع واشنطن بشأنها ."

واضاف السفير الامريكي قائلا لمحمود رياض :

- أن موقف حكومته هو تأييد المبادرة ، وفي نفس الوقت فأن الولايات المتحدة ترى ضرورة تحقيق السلام الشامل ، ولا تؤيد إتفاق منفصل بين مصر وإسرائيل تكون نتيجة إستمرار النزاع العربي الإسرائيلي . "

□ □

إن المؤكد لنا أن الادارة الأمريكية ظلت لعدة أيام تالية عاجزة عن فهم دوافع السادات الحقيقية لزيارة إسرائيل !

وفي يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٧٧ - أي بعد حوالي ثمانية أيام من ذهاب السادات إلى القدس أعلنت واشنطن أن الرئيس الامريكي كارتر قد وافق على مبادرة الرئيس السادات ."

وحسبما يقول " اسحاق رابين .. رئيس وزراء اسرائيل السابق : " لقد أخذت الولايات المتحدة حوالى اسبوعين من التردد للتكيف مع الحقيقة الجديدة التي

خلفتها المبادرة المصرية والرد المصري قبل وصول السادات للقدس وبعده ، ثم وجدت الحكومة الأمريكية نفسها مجبرة على ركن سياستها المعلنة عن صعوبة الوصول إلى سلام مع جبهة واحدة وعن أنه يجب الوصول إلى سلام مع كل جبهات الصراع العربي الأسرائيلي على الفور ."

بل أن اسحاق رابين سرعان ما يلفت الأنتباه لنقطة في غاية الأهيمة إذ يقول أيضا ومعه الحق تماما :

" وفي النهاية ليس هناك أدني شك في أنه لو كان السادات قد قدم أي عرض لاسرائيل أثناء مقابلة سرية مع رئيس الوزراء بيجن او في حديث تليفزيوني ، لم يكن ليؤدي نفس الغرض المثير على اسرائيل . لقد كانت فكرة تقديم العرض للشعب الاسرائيلي نفسه ، وفي القدس (ضربة معلم) ولا أعتقد أنه بدونها كان سيوجد كثيراً من الأستعدادات لدى الشعب الأسرائيلي لتقديم الكثير من التنازلات."

ويضيف اسحاق رابين قائلا :

إن السادات قد تحقق من أنه إذا ما أستمرت سياسات الولايات المتحدة تتقدم نحو الخطوط التي تفضلها حكومة كارتر ، فقد تتسبب في تدمير مجهودات عنيفة لمدة أربع سنوات . كانت هذه المجهودات تسير بحذر شديد وبأسلوب هادئي تماماً .."

ولهذا كان أحد دوافع السادات بالأضافة لكسر حائط الشك مع إسرائيل هو " إجبار الولايات المتحدة على تغييرسياستها بشأن الشرق الأوسط ."

وإذا كان الأمر كذلك بطبيعة الحال ، فلم يكن من المنطقي أن يخبر السادات صديقة كارتر بما ينتويه ، بل أختار طريقة الصدمات الكهربائية التي أعتادها .

◘ ◘

لكن العودة للوراء عدة شهور وتأمل أحداثها قد تفيد في إستكمال ملامح الصورة !

لم يلتفت أحد لكلمات الرئيس السادات التي رددها أكثر من مرة أثناء زيارته لأمريكا في ابريل ١٩٧٧ .

ولم ينتبه أحد كذلك لتكرار جملة بعينها قالها السادات أكثر من مرة قبل وبعد

مقابلته للرئيس الأمريكي " كارتر "

في حديث مع المبعوثين المصريين قال السادات : اعتبر أن سنة ١٩٧٧ ستكون سنة الحل أن شاء الله " وأضاف السادات قوله : <<خصوصاً وأن كارتر يعتبر معي أن عام ١٩٧٧ سيكون سنة حل ولن نتأخر عن ذلك ..الحل بالتأكيد هذا العام ."

وعندما سئل السادات عن رأيه فيما قاله الرئيس كارتر > من أن عام ١٩٧٧ هو عام حسن للقيام بجهود لحل القضية قال الرئيس السادات :

- "بالنسبة لي هذه فرصة طيبة لأنه قبل أن أحضر إلى أمريكا قلت ، اننا يجب أن نحاول التوصل إلى سلام دائم خلال عام ١٩٧٧ وأنا ممتن للرئيس كارتر لأنه أتفق معي على هذا الرأي .. وأيضاً أعطاه الأولوية بأعتباره أكثر الموضوعات خطورة ، وأقصد النزاع العربي الأسرائيلي . "

◘ ◘

وعندما التقى السادات وكارتر في كامب دافيد " ، قال كارتر مداعبا السادات :

ياسيادة الرئيس أنا لا أو فقك على أن في يدي أمريكا ٩٩٪ من ورق اللعب بين العرب واسرائيل !!

وقال السادات لكارتر: معك حق "معكم ٩٩.٩ ٪ من الورق " !

وفي مرة أخرى قال السادات لكارتر أن انتخابه هو " عودة الروح " لأمريكا فهو رجل جديد في أفكاره وفي أسلوبه ، وهو رجل على خلق .

باختصار كان السادات يرى أن ..كارتر ..هو الوجه الحسن لأمريكا .

من اللحظة الأولى استراح السادات لكارتر ،لقد كان يغمر السادات احساساً طاغياً وشعوراً مؤكدا انهً فلاح مثله !! ولم يخف السادات انطباعة عندما زار شقة كارتر في البيت الأبيض أنه في بيت عمدة !!

وفي أحدى زيارات السادات لكارتر داعبه قائلا :

- البنت الصغيرة التي انجبتموها على كبر ..نسميها عندنا في الريف : انها خلف عجائز !

وضحك الرئيس كارتر واصر على أن يذهب مع الرئيس السادات إلى غرفة الفتاة الصغيرة ، كانت نائمة واقترب منها أبوها يقول لها :

- الرئيس السادات .. قومي سلمي على الرئيس السادات !

وكانت الفتاة غارقة في النوم .. ففتحت عينيها ..ثم طوقت والدها بذراعيها وعادت إلى النوم . وحاول أبوها من جديد أن يوقظها لكي تسلم على السادات ولكنه لم يستطيع .. وقبلها الرئيس السادات وخرج الأثنان من الغرفة يضحكان ثم سأله الرئيس كارتر : ماذا تسمون هذه الطفلة .. تسمونها خلف العجائز !! ولما لا ؟!

وبعد لحظات عادت زوجة الرئيس كارتر من حفلة كانت قد أقامتها للسيدة جيهان السادات ، وبعد دقائق امتلات شقة الرئيس كارتر بأولاده وزوجاتهم .. هيصه كأي بيت عمدة في أعماق الريف ."

◘ ◘

وفيما بعد كتب " أنيس منصور "يقول :

" كان الرئيس السادات قد قرأ الكثير عن الرئيس كارتر ، وقرأ قصة حياته التي عنوانها " ولماذا لا يكون الأفضل " وقال له :

" لقد قرأت عن قرية " بلينز " التي ولدت فيها .. كم عدد سكانها ؟!

قال الرئيس كارتر : خمسمائة نسمة .. آه ..قل لي ياسيادة الرئيس أين توجد قرية ميت أبو الكوم ، لقد بحثت عنها في الخريطة فلم أجدها !

فضحك الرئيس السادات وهو يقول :

إنها أصغر من أن تظهر على الخريطة !

سأله الرئيس كارتر : كم عدد سكانها ؟

فأجاب الرئيس السادات : ألف نسمة "

" ولكن الصورة التي هزت الرئيس السادات وملات قلبه بالدفأ هي هذا الجو العائلي الريفي في بيت أقوى رجل في العالم : كارتر "

إن الرئيس السادات - ولا يزال الكلام لانيس منصور - يعتقد أن الصداقة هي أعظم هدية يقدمها الإنسان لنفسه ، ولذلك فهو حريص على أن يكون صديقاً ، وأن يكون له أصدقاء في كل مكان وكل موقع .

وفيما بعد أيضا فقد لاحظ .. أحمد بهاء الدين..في محاوراته مع السادات أنه كان يسرف في مدح الصفات الشخصية " للفلاح " الأمريكي جيمي كارتر وكان يتخلل حديثه ثقة هائلة في الرئيس الأمريكي " جيمي كارتر " ولم يكن اعجاب السادات بكارتر سراً ولا خافياً على أحد ، بل أن السادات حرص على كتابته وتسجيله في كتابه " البحث عن الذات " وكتب يقول :

" للتاريخ والحق فأن كارتر رجل صادق مع نفسه ، وصادق مع الآخرين دون شك ، وهذا ما يجعلني لا أجد صعوبة في التعامل معه > فأنا أتعامل مع إنسان يفهم ما أريده .. مع رجل لديه إيمان ولديه قيم ، وإلى جانب هذا فهو فلاح مثلي ."

◘ ◘

وعندما كتب " كارتر " مذكراته " دم ابراهيم " فقد لفت انتباهه تلك المناقشات الطويلة مع السادات حول الديانات السماوية الثلاثة فيقول :

وخلال مناقشاتي حول هذه الصراعات بين هذه الديانات مع الرئيس المصري أنور السادات ، أشار مراراً وفي أغلب الاحوال بشكل عرضي إلى الاخوةبين العرب واليهود وكيف أنهما أبناء أب واحد هو " سيدنا ابراهيم " ، واشاره الرئيس السادات إلى سيدنا ابراهيم " دفعتني إلى اعادة دراسة قصة " سيدنا ابراهيم " وأبنائه الأوائل . ومعرفة مغامراتهم من وجهه نظر اليهود والمسيحيين والعرب على التوالى ، وتساءلت كيف يمكن للؤمنيين بديانات مختلفه والمقتنعين بنفس التاريخ أن يعتقد كل منهم أنه هو شعب الله المختار ."

" ويبدو أن السادات كان مغرماً بالحديث في الموضوع ، وكان يشير دائما إلى خططه بشأن بناء مجمع مقدس فوق جبل سيناء حتى يمكن للمؤمنين بالأديان الثلاثة أن يمارسوا عبادتهم سويا " .

و " لكنه (السادات) كان يعرف قدراً كبيراً عن اليهودية والمسيحية أكثر من

معرفتي عن عقيدته "

وبعد حوالي عام ونصف من إغتيال السادات قام كارتر بزيادة خاصة إلى مصر وبصحبته روزالين وزار مسقط رأس السادات قرية "ميت أبو الكوم "وكتب كارتر يقول:

هناك التقينا بقرينته جيهان وأولادها وأحفادهما وازواج أولادهما وأقاربهما المقربين . ومن الغريب أن أول موضوع تحدثنا فيه كان يدور حول البيض والدجاج نظراً لكونه مشروعاً تجارياً كانت الأسرة تدرسه ، ثم جلسنا في الشرفة لنحتس الشاي بالنعناع الذي كان يفضله السادات .

ويتذكر كارتر أنه : " كثيراً ما عقدنا مع السادات مقارنة بين منزلي في " بلينز " بولاية جورجيا ومنزله الريفي ، لذلك أستطعت أن أتعرف عليه من كثرة وصفه المتحمس له".

◘ ◘

لكن ما يلفت النظر ويدعو للدهشة تلك الواقعة التي رواها الكاتب الصحفي الأمريكي " وولف بليتنرز " في كتابه " بين واشنطن واسرائيل ".

تعود الواقعة إلى ابريل ١٩٧٧ وكان الرئيس أنور السادات قد أختتم محادثاته مع الرئيس الأمريكي " كارتر" وتقرر عقد مؤتمر صحفي في " بلير هاوس " حضر المؤتمر خمسون صحفيا ، وكانت العادة حتى ذلك الوقت ، بالنسبة للسفاره المصرية وباقي السفارات العربية أن يقتصر الدخول إلى مقار المؤتمرات الصحفية على الضيوف المدعوين فقط حتى تتجنب أن تضطر للسماح لمثلي وسائل الأعلام الأسرائيلية بالدخول .

وفي البداية طلب السفير " أشرف غربال " من الصحفيين أن يفصحوا عن هويتهم وعن أسماء المؤسسات التي ينتمون لها قبل أن يوجهوا أسئلتهم إلى الرئيس السادات.

ويعترف " وولف بلينرز " أن السادات " ترك بشخصه تأثيراً يفوق ما تركه لدى ظهوره في التليفزيون ، فقد بدا أطول قامة وأكثر وسامة ، وكان يرتدي حله مقلمة

داكنة اللون ونظيفة للغاية ، وبالرغم من أنه بدأ يتصبب عرقاً من تأثير الحرارة المنبعثة من أضواء الآت التصوير ، فقد أحتفظ بهدوئه في مواجهة ما طرح عليه من أسئلة . وأصر على أنه شغوف باقامة سلام مع اسرائيل في حالة ما إذا وافقت إسرائيل على اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة ، وقال السادات :

- كل شئ يعود إلى حالته الطبيعية بعد ذلك !

كان السادات وطبقا لملاحظات " وولف بليتزر " تبدو عليه امارات السعادة لكونه محط إنتباه الجميع !

وقرب إنتهاء المؤتمر الصحفي رفع " وولف بليتزر " يده طالبا السؤال لدهشة دعاه السفير أشرف مروان على الفور .

وقام بتقديم نفسه للرئيس السادات قائلا : وولف بليتزر " من الجيروزاليم بوست "

ولم تظهر على وجه الرئيس السادات أي إنفعالات ومضى بليتزر يقول في سؤاله :

" سيادة الرئيس أنك تبدو مخلصاً في سعيك من أجل السلام. فلماذا لا تفعل شيئا تبرهن به على ذلك لإسرائيل ، قد يكون في مقدورك بدء إتصال إنساني مباشر مع إسرائيل ، فلماذا لا تسمح بتبادل الزيارات بين الصحفيين أو الرياضيين أو المثقفين؟"

وقد رد السادات بقوله :

" أن جانبا من النزاع العربي الأسرائيلي نفساني (!!) وليس لدى شخصياً إعتراض على ذلك ولكن صدقني أن شعبنا ليس مستعداً بعد ولذلك بعد تسعة وعشرين عاماً من الكراهية وأربعة حروب وشعور بالمرارة . أن كل ما يحدث يتعين إتخاذه بالتدريج ، ومتى انتهت حالة الحرب باتفاقية للسلام ، فمن المفترض أن نوقع عليها جميعا في جنيف ، وأنني أعتقد أن كل ذلك سيصبح يسيراً للغاية ."

وفي نهاية المؤتمر الصحفي توجه " وولف بليتزر " إلى مبنى الصحافة القومي وقام بأرسال وقائع ما جرى إلى صحيفتة ، وظهرت صحيفة " الجيروز اليم بوست " في اليوم التالي وعلى صفحتها الأولى كان العنوان الرئيس التالي :

السادات يقول : التطبيع بعد إقامة دولة في الأراضي المحتله " !

وبعد حوالي ثمانية شهور ، وكان السادات قد أعلن مبادرته بالذهاب إلى القدس ، قام "وولف بليتزر " بزيارة إلى القاهرة مع أول مجموعة من الصحفيين الذين يمثلون وسائل الأعلام الاسرائيلية . وعقدت اجتماعاً طويلا مع مدير وكالة أنباء الشرق الأوسط " محمد عبد الجواد " ، وفي هذا الأجتماع علم "وولف بليتزر " خلفيات جديدة لم تكن معروفة جرت وقائعها في اعقاب المؤتمر الصحفي للسادات الذي عقده في ابريل ١٩٧٧.

يقول الكاتب الصحفي " وولف بليتزر " .

أبلغني "عبد الجواد " أنه بعد إنتهاء المؤتمر الصحفي الذي عقده السادات ، وجهت إليه ومحررين أخرين الدعوة لتناول طعام العشاء مساء ذلك اليوم مع الرئيس المصري في " بلير هاوس " وذكر " عبد الجواد " أن سؤالي إلى السادات ضرب على وتر حساس ، وقال : " أن الرئيس سألني في حفل العشاء عما إذا كان مراسلي قد بعث بملاحظاته عن المؤتمر الصحفي إلى الوطن ، فقلت للسادات نعم ، لقد بعث بكل كلمة ، باستثناء ما قلته لمراسل صحفية " الجيروز اليم بوست " !!

ونقل " محمد عبد الجواد " عن السادات تساؤله : لماذا لم يبعث ذلك؟!

فأجابه :لأنني اعتقد ياسيادة الرئيس أن ردك كان بالغ الحساسية ، لقد قلت إنك مستعد شخصياً للاتصال مباشرة باسرائيل ، غير أن شعبك لا يريد ذلك ، ولم أكن متأكداً مما إذا كان يتعين علينا إبلاغ الشعب في مصر بذلك ."(!!)

وكان السادات - طبقا لرواية عبد الجواد - منزعجاً بشكل واضح ، وأصدر إلية الرئيس المصري توجيهاً بمغادرة المائدة ، والاتصال بالمراسل مباشرة . كما أصدر إليه تعليماته بإبلاغ رواية منفصلة حول ذلك السؤال والرد عليه وقال السادات :

- انني أريد لشعبي أن يعرف كل ما أقوله إلى العالم في الخارج .

ويعترف "وولف بليتزر " وقد نفذ " عبد الجواد " ما طلبه منه الرئيس بطبيعة الحال.

□ □

وهناك واقعه أخرى جرت في هدوء شديد ولم يلتفت إليها أحد في حينها ، ولم يعطها أحد حقها المناسب من التأمل والدراسة .

تعود القصه إلى ربيع ١٩٧٧ عندما دعيت " شارولوت جاكوبسون " رئيسة منظمة المرأة الصهيونية في الولايات المتحدة لزيارة القاهرة !!

وكما يقول مؤلفا كتاب " الحرب السرية للاستخبارات الاسرائيلية ١٩٣٦ -١٩٩٢ .

فقد كانت هذه بادرة غير عادية من النظام المصري !!

سألت (شارلوت) حكومة رابين عن رأيها وتلقت نصيحة بعدم الذهاب لانه كما قال الاسرائيليون يمكن أن يستغل المصريون هذه الزيارة للدعاية . لكن " جاكوبسون " ذهبت وعادت إلى الولايات المتحدة عن طريق القدس حيث أبدت حماستها مما شاهدته وسمعته .قالت للحكومة الإسرائيلية إن المصريين مهتمون بتسوية وإنها لقيت معاملة في غاية اللطف والكياسة !

وقال " غازيت " (رئيس الموساد) : لم تظهر أي كلمة عن الزيارة في وسائل الأعلام المصرية وهذه ليست إشارة جيدة ."ساد الأعتقاد بأن الاعلان عن زيارة "جاكوبسون " قد يتضمن تعاطفاً تجاه الدولة اليهودية .

وهكذا أستنتجت " أمان " الاستخبارات العسكرية في تقريرها السنوي عام ١٩٧٧ أنه بينما كان هناك تغييرات لفظية في وسائل الأعلام المصرية في التامل مع إسرائيل فأنها كانت على الأرجح " مسأله دعاية " لا يوجد أي مؤشر على قرب السلام!!

◘ ◘

ما جرى أثناء زيارة الرئيس السادات لأمريكا ومحادثاته مع الرئيس الأمريكي يرويه "جيمي كارتر " في مذكراته "دم ابراهيم " على النحو التالي :

" وحضر الرئيس السادات إلى واشنطن في زيادة رسمية في شهر ابريل ١٩٧٧ وفي أول ليلة بعد العشاء الرسمي صعدنا سوياً إلى الطابق الخاص بالمعيشة بالبيت الأبيض . وخلال حادثة خاصة طويلة أخبرني السادات بوضوح أنه يرغب في إتخاذ خطوات هامة نحو السلام، وناقشنا بعض العناصر الخارصةبامكانية اجراء مفاوضات مباشرة في المستقبل بخصوص : الحدودالدائمة لإسرائيل ووضع القدس ، وحرية التجارة والحدود المفتوحة بين البلدين حتى الأعتراف الدبلوماسي باسرائيل وتبادل

السفراء .

وفي موضع أخر من المذكرات يضيف " كارتر " قائلا :

وتطلع السادات إلى خلق دولة عصرية تنعم بالرخاء ومتحالفة مع الغرب ، بل أنه كان حتى على إستعداد لأن يبرم اتفاقية سلام منفصلة مع اسرائيل مما يعرض مكانة بلاده للخطر في المجتمع العربي .

وقد أبلغني (السادات) بأنه يتطلع إلى اتفاق سلام شامل وحقيقي وعادل بتأييد من كلا الدولتيين العظميين من شأنه أن يحقق توازناً جديداً بين الأسرائيليين والعرب ويعامل الفلسطينيين بأنصاف . وقد استعرضنا بعض العناصر الأساسية الجوهرية للتقدم ثم أيد السادات فيما بعد ذلك العبارات الواردة في البيان الأمريكي السوفيتى المشترك الصادر في اكتوبر ١٩٧٧ ، واعتبرت ذلك بمثابة تمهيد حيوي لإعادة مباحثات جنيف للسلام . وصدرت إعتراضات قوية على البيان المشترك من إسرائيل ، ولاسيما من الأصدقاء الأمريكيين لإسرائيل ، ولا تتعلق هذه الأعتراضات بمضون نص البيان المشترك بقدر ما تتعلق بالاثار الناجمة عن رئاسة الدولتين العظميين لإجتماع يضم أطراف محجة ومتنافرة ، ولقد غضبت لهذه الانتقارات وبدت لي كل فرص التقدم وهي تضيع"

ويضيف كارتر قائلا بعد ذلك :

" وبعد ثلاثة أيام بعث السادات برسالة خاصة وشخصية لي - وفيما بعد استقال وزير الخارجية المصري الذي سلمني إياها احتجاجاً على محتوياتها - وتحثني الرسالة على عدم الاقدام على أي شئ يتعارض مع قدرة السادات على التفاوض مباشرة مع الأسرائيليين ، وكان هذا بمثابة إشارة لعزم السادات على زيارة القدس ."

بعد ذلك يروي " كارتر " أنه اجتمع بموشي ديان " وزير الخارجية الأسرائيلي ليؤكد له أن السياسية التس ينتهجها من قبل لم تتغير ، وأن السوفييت قرروا ببساطة في البيان المشترك أن يؤيدوا الموقف الأمريكي ، ولم يقتنع الأسرائيليون وهكذا بدأت الأمال المعلقة على مباحثات السلام تتضاءل تدريجياً ..

ما جرى بعد ذلك يرويه " كارتر " على النحو التالى :

" بعثت إلى السادات برسالة بخط يدى أخبره فيها بمدى " الأهمية بل ربما الجوهرية بالنسبة له أن يقدم لي مساعدته في تلك اللحظة العصيبة ، وناقشنا مختلف الاحتمالات بالتليفون .

" وفي يوم ٩ نوفممبر أعلن عرضه المذهل الخاص بالذهاب إلى القدس ."

وهناك واقعة طريقة يرويها الكاتب الكبير " أحمد بهاء الدين " بشأن الخطاب الذي أرسله كارتر للسادات بخط يده ، كتب أحمد بهاء الدين يقول :

" كان يتخلل حديث السادات معي طوال هذه الساعات ثقة هائلة منه في الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ، وكان يسرف في مدح الصفات الشخصية " للفلاح الأمريكي "جيمي كارتر " ..ومد الرئيس السادات يده إلى جيب الجاكته الداخلي وأخرج ورقة مطوية وقبل أن يفتحها قال لي : سأروي لك هذه القصة :

ففي المراحل السابقة كانت الاتصالات بيننا وبين إسرائيل عن طريق الأمريكان لم تمكن الرئيس " كارتر " من تجاوز كثير من العقبات التي كانوا يقيمونها ، وفي احدى مقابلاتي معه قال لي : إن اسرئيل تكرر حجة ليس لدى أي رد عليها .. انه مازالوا غاضبين بشدة لأنك ترفض لقاء علنياً باشراً ورسمياً بين الجانب المصري والجانب الاسرائيلي ..انهم يكررون أن رفض مصر هذا اللقاء المباشر العلني أمام العالم كله ، وأمام الرأي العام المصري والعربي معناه أن مصر ليست جادة في التوصل إلى سلام حقيقي وانها تريد أن تسترد أرضها بدون هذا المقابل .. والا فما الذي يجعل مصر تصمم على الاتصالات السرية أو على المناقشة عن طريق طرف ثالث ؟ وأنا ادرك الصعوبات التي تواجهك لكي تقدم على هذه الخطوة ، وحساباتك لردود فعل الرأي العام .

ولكن إذا تغلبنا على كل العقبات وأطمانت نفسي إلى أن إسرائيل مستعدة لأن تستجيب لكل الطلبات التي تراها ضرورية ، فهل أنت مستعد في هذه الحالة لأن تقدم على هذه الخطوة التي لا مفر منها ، وأن يتم لقاء رسمي وعلني علي مستوى سفراء أو وزراء أو رؤساء وزارة مثلا وجهاً لوجه ؟!

واستطرد الرئيس السادات قائلا لي : وقد قلت لجيمي كارتر وقتها : نعم ..وفي

هذه الحالة انا مستعد لذلك !!

ملاحظة : (لا يجوز استبعاد هذه النقطة من مجموع الملابسات التي ادت إلى قرار الرئيس السادات بالسفر إلى القدس ومواجهة إسرائيل علنيا على أعلى مستوى)

وهنا فتح الرئيس السادات الورقة المطوية التي كانت في يده ، وقال لي : هذا خطاب شخصي جداً لم يطلع عليه مخلوق . بخط جيمي كارتر ..أنه يقول لي فيه انه يعتقد ان الجانب الإسرائيلي وصل إلى ما نريد ، وأنه قد آن الأوان لأن أنفذ وعدي السابق له بأن اقترح طريقة للقاء رسمي مباشر على مستوى عال بين مصر واسرئيل . وهو يستحثني علي تحقيق هذا الوعد بسرعة . وواضح لك طبعا أن هذا يقويه داخليا في امريكا .

ولم يعطني الرئيس السادات ، الخطاب لكي اقرأه . ولكنه اخذ يطويه عدة طيات حتى ابقى منه سطرا واحدا في اخر الخطاب يكن قراءته ..وقال لي : أقرأ هذه الجملة .. وقرأت سطرا بخط جيمي كارتر هو اخر سطر قبل توقيعه يناشد السادات ان يلبي ماقاله لي مستخدما عبارة I PLEED TO YOU MR. PRESIDENT

وهي عبارة يمكن ترجمتها حرفيا ب " انني ارجوك ياسيادة الرئيس " أو " أنني أناشدك " أو " أنني استعطفك " وأخذ الرئيس السادات الخطاب وطواه وأعاده إلى جيبه ..وقال لي :

- أرأيت الرئيس الامريكي " يناشدني ويستعطفني " ..أنه يعرف مدى شعبيتي في امريكا ولعلك قرأت في الصحف الأمريكي انني لو رشحت نفسي للانتخابات في امريكا لنجحت في الانتخابات !!

وكان تعليق أو ملاحظة أحمد بهاء الدين على الواقعة برمتها وكما رواها إنها اثارتني جداً .. أثارتني لانني شعرت أن الرئيس الراحل السادات قد أصبح فعلا فوق سحابة عالية من الاحلام لا يمكن إنزاله منها ، وأن الأعلاميين الاسرائيلي والغربي الهائلين قد أثرا فيه بأكثر من كل تصوراتي ."

فيما بعد روى عثمان أحمد عثمان " قصة رسالة كارتر إلى السادات على النحو التالي: " ذات ليله كنت أجلس مع الرئيس في استراحة القناطر ، وحوالي الساعة

الحادية عشرة مساء ، أبلغوا الرئيس أن مبعوثاً وصل إلى القاهرة ، ويحمل رسالة من الرئيس كارتر، ويطلب تحديد مقابلة مع الرئيس السادات لكي يسلمه الرسالة . وقرر الرئيس السادات أن يكون موعد المقابلة في نفس اللحظة ، لذلك استدعي المبعوث لمقابلة الرئيس وسلم المبعوث إلى السادات رسالة مكتوبة بخط يد الرئيس كارتر وتحمل توقيعه . وانصرف المبعوث وفتح الرئيس الرسالة أمامي وقرأها ..

كان مضمون الرسالة - كما يؤكد عثمان أحمد عثمان - أن الرئيس الامريكي يشرح للرئيس السادات ، كيف أنه لم ينجح في اقناع العرب على أن يتفقوا على كلمة واحدة وقال للرئيس (السادات) بالحرف الواحد :" اتوسل اليك ياسيادة الرئيس أن تبحث عن طريقة "وأغرق الرئيس في التفكير بعد أن أنتهى من قراءة الرسالة ."

وأمام هذه الرسالة أيضا يتوقف الكاتب الكبير " أحمد بهاء الدين " ، فعندما ذهب بهاء لزيارة السادات وكان ذلك في ديسمبر ١٩٧٧ . ويعترف بهاء قائلا :

" كان يتخلل حديث الرئيس السادات معي طوال هذه الساعات ثقة هائلة منه في الرئيس الامريكي " جيمي كارتر " وكان يعتقد اعتقاداً جارفاً بأن الرئيس جيمي كارتر أصبح " يريد فعلا " أن تنسحب إسرائيل من الاراضي المحتله كلها وأن يحل المشكلة الفلسطينية حلا مقبولا . وفي تقديري أن كارتر كان يريد فعلا ولكنه لم يكن قادراً..."

وفيما بعد كتب الصحفي الامريكي " وولف بليتزر " يقول :

" كان واضحاً ، أن أحد دوافع الرئيس المصرى الراحل أنور السادات للقيام برحلته التاريخية للقدس هو إدراكه قوة العلاقات الأمريكية الاسرائيلية وأن ذلك لن يتغير بصورة جوهرية طوال حياته . وأدرك (السادات) أن الرفض المستمر للتعامل المباشر مع إسرائيل ، لن يؤدي إلا إلى ازدياد الأحباط في مصر ، ولا يوجد أمل في إحراز نصر عسكري حاسم على إسرائيل نظراً للمشاركة الوطيدة القائمة بين إسرائيل وواشنطن ."

□ □

وفي مجلة " تايم الأمريكية كتب د . هنري كيسنجر " وزير الخارجية الأمريكية مقالا طويلا عن مبادرة السادات والتحولات التي طرأت بعدها يقول :

أن الرئيس السادات حين ذهب إلى القدس حول مسار تفكير جيل بأكمله ، لقد أتاح لشعب إسرائيل أن يحكم بنفسه على التزام الرئيس بالسلام بقدر ما تمكن الرئيس السادات نفسه أن يرى من جانبه شعباً لم يعرف يوماً من أيام وجوده القومي بغير حرب . وهكذا كان السادات يرى أن جوهر المشكلة هو العامل النفسي"

ومضى كيسنجر يقول في تحليله :

" وحين وضع السادات يده على لب المشكلة فعل في سبيل حلها أكثر مما فعلته جميع الحروب والمفاوضات التي جرت عبر الثلاثين سنه الاخيرة . وسيأتي اليوم الذي يصبح فيه الزعماء العرب الذين يهاجمون السادات الآن يحملون له في عنقهم جميلا وسوف يقولون بأن أكبر دولة عربية حملت على عاتقها وحدها عبء قرار من أجل السلام ، وأن مصر بعد أن حلت المشكلة النفسية مهدت الطريق لاجتياز عقبات أخرى في طريق السلام في كل مكان في الشرق الأوسط ."

□ □

كانت قد مرت عدة سنوات ، ليس فقط على زيارة السادات إلى اسرائيل ، بل على رحيل السادات نفسه ، عندما أصدر " عميد الدبلوماسية الأسرائيلية "ابا ايبان " كتابه الهام " الدبلوماسية الجديدة " عندما كتب يقول :

" لم يظهر السادات قبل حرب ١٩٧٣ على أنه رجل دولة ذو موهبة أصيلة وقوبل رئيساً لمصر بالسخرية والشك داخل وخارج مصر ، فلم يكن السادات قد شغل سوى مناصب تمثيلية وشكلية داخل نظام الحكم الثوري الذي كانت تقوده روح عبد الناصر ، ومع ذلك هز السادات الشرق الأوسط وأخرجه من وضع " الروتينية " والقصور الذاتي بقرارين اتخذهما في غضون بضع سنوات ."

كان القرار الأول هو خوض حرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم يضيف ابا ايبان :

"وما أن حقق السادات ذلك حتى أتخذ قراره الثوري الثاني ، واعترف السادات

بأنه ليس في وسع العرب أن يحصلوا من إسرائيل على شئ بطريق الحرب ، وأن عليه بالتالي أن يستطلع امكان تحقيق مطامح المصريين والعرب بمد الأيدى بالسلام."

وتعد زيارة السادات لاسرائيل وخطابه أمام الكينست الآسرائيلي هدفاً سياسياً مشهوراً من أبرز ما عرفه هذا العصر من خبرات ."

ولأن ..ابا ايبان .. اهتم في كتابه بتوضيح معالم وسمات الدبلوماسية الجديدة فقد توقف بالتأمل والدراسة عند ما أسماه بدلالات الألفاظ ودور فن الخطابة " فالكلمات تحرك جيوشاً بالفعل أو تمنعها من الحركة ، وهي جزء من جوهر العملية الدبلوماسية وليست مجرد جزء من شكلها ، ثم يضيف ابا ايبان ..قائلا بعد ذلك :

" يحفل تاريخ صراع الشرق الأوسط باستخدامات فاشلة للشعارات ، بمعنى أن الأطراف التي كانت تطلق الشعارات كانت تجني نتائج في غير صالحها ، فلقد تحدثت الدول العربية باستمرار عن " تدمير إسرائيل " ولم تكن الدول العربية في أي وقت منذ أواخر الأربعينيات في وضع يمكنها من تحقيق ذلك الهدف ، ولكن التأثير النفسي لاطلاق ذلك الشعار أدى - في ضوء خلفية التجربة اليهودية في عهد النازي - إلى توليد تصميم إسرائيلى على أخذ ذلك التهديد مأخذ الجد وتنمية استراتيجية وقائية ."

ويصل تحليل ابا ايبان إلى قوله :

" أعلن أنور السادات في خطاب له في أوائل عام ١٩٧٧ أنه لن يلتقي " أبداً " مع أي زعيم إسرائيلي طالما كان هناك جندي إسرائيلي واحد على التراب العربي ، وتجاهلت إسرائيل مقوله السادات التي أتضح فيما بعد إنها كانت تبجحاً أجوف دحضته زيارة السادات " الشجاعة " للقدس بعد شهور معدودة !

ويعترف ابا ايبان " بعد ذلك قائلا :

"ويرجع الفضل للسادات في توضيح الديناميكية " الايجابية " للكلمة " في نوفمبر ١٩٧٧ . فلقد أوجد " السادات " باعلانه في خطاب علني له عن رغبته في السلام مع إسرائيل والتخلي من المبدأ التحرري الوحدوي العربي . أعلن السادات حركة

تتوجت بمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية التي تعد بمثابة ثورة في تاريخ الشرق الأوسط ، وتتمثل أهم نقطة في هذا السياق في أنه حقق هذه النتيجة بالكلمات وحدها ، إذا لم يصاحب الكلمة - بل لم تكن هناك حاجة إلى أن يصاحبها - أي أجراء أخر ."

□ □

ولم يمنع اختلاف " اسماعيل فهمي " وزير الخارجية مع السادات من الأعتراف بأن أمريكا وكارتر فوجئتا تماما بمبادرة السادات ويضيف قائلا :

" قدم السادات أيضا علاج الصدمة للرئيس كارتر وزملاءه الذين أخذوا على غرة ، لم تعرف واشنطن كيف تجيب على المبادرة وكتب مراقب يقول لقد قابلوا بيان السادات بسكون بسبب ما أصابهم من الارتباك . وبعد عدة أيام فقط سجلت حكومة الولايات المتحدة إستحسانها المتأخر والمتحفظ ."

وفي نفس الأطار يقول إسماعيل فهمي " :

..."ودرس الاسرائيليون شخصية السادات دراسة متقنة وفهموا طموحه العظيم بأن يلعب دوراً اساسيا على المسرح الدولي .. ولابد أنهم عرفوا ضعفه بالنسبة للتحركات الكبيرة وللخطوات التي لم يسبق لها مثيل وبالاشارات التمثيليه ، بغض النظر عن المخاطرة .لقد بدأ الإسرائيليون التودد إليه عندما أتصلوا به في سبتمبر ١٩٧٧ ، عن طريق الملك الحسن ولم يخبروا كارتر لخوفهم من أذهان رصينه وعقول مفكرة قد تبقي السادات على الطريق المؤدي إلى جنيف ، واستجاب السادات لاغرائهم فقد تخيل إحتمال الوصول إلى شئ ما عن طريق أساسي شخصي ..

وهو أيضا - السادات - حفظها سراً واخفاها عن " كارتر " خوفاً من إعتراض الرئيس على هذا التحرك ."

ثم يضيف اسماعيل فهمي " مؤكداً في نفس الكتاب قوله :

" أنه لا الرئيس كارتر " ولا وزير خارجيتة .فانس " كانا يعلمان بالاتصالات بين مبعوثي السادات وبيجن " في الرباط ، وكل ما في الأمر أنهما - كما أخبرني السفير أيلتس ـ كانا يشكان في أنه ربما تكون هناك جهود تبذل في هذا الأتجاه ،

كما أن المسئولين الأمريكيين تجاهلوا تجاهلاً قاطعاً نية السادات في زيارة القدس حتى أعلن السادات نفسه على الملأ وبشكل رسمي ينته في ذلك ."

□ □

ورغم كل شئ يعترف كارتر قائلا في مذكراته :

" كانت زيارة السادات إلى القدس من اخطر الأحداث الدرامية في التاريخ الحديث

والحقيقة أن ذلك لم يكن رأي " كارتر " وحده بل كان رأي العالم كله !!

Devant le Sphinx,
image de l'Égypte éternelle,
Anouar El-Sadate, le sage qui voulait
faire de son pays un État
moderne, à l'écart de
tous fanatisme.



٨

الشاه والفرعون
صداقة كاثوليكية

كان " شاه ايران" الراحل بالنسبة للرئيس السادات أكثر قليلا من صديق وربما وصل الى مرتبة الأخ !

كان شاه ايران حسبما اعترف السادات لاحمد بهاء الدين "مثله الأعلى من بين كل زعماء العالم الثالث" !

وكان رأى السادات أيضا فى شاه ايران انه راجل خارق الذكاء وغير عادى !

ويدلل السادات على ايمانه قائلا لأحمد بهاء الدين "زعماء عدم الانحياز بتوعك الذين ملأوا الدنيا ضجيجا منذ سنوات - نهرو ، نكروما ، سوكارتو ، وحتى عبد الناصر ، وحتى تيتو اللى لسه عايش ، راحوا فين ؟! اللى مات واللى انهزم ، واللى راح فى إنقلاب واللى انكمش داخل حدوده ، واحد فقط من هذا الجيل وهذه المرحلة كلها باق على مقعده بكل سلطانه وهيلمانه ، والدنيا تسعى اليه ، هو شاه ايران . » !

كل هذا وأكثر كان باختصار رأى السادات فى الشاه ، لكن المثير فى الامر ان هذا الجيشان العاطفى تجاه الشاه بدأ بسوء فهم وكراهية وخصام !!

اذا كان هناك ما يسمى بالحب من أول نظرة ! فهناك أيضا الحب من أول لحظة عداء أو كراهية أو خصام !!

□□

قبل أن نعرف ونتلمس حقيقة الدور الايرانى فى فكرة مبادرة السادات ، فقد كانت ايران هى محطة السادات التالية بعد انتهاء مباحثاته في رومانيا - شاوشيسكو - نعود للوراء سنوات ونتساءل كيف بدأ الصدام والعداء بين السادات و الشاه ، ثم كيف ذاب هذا كله فى خمس دقائق !!

بداية اللقاء أو المعرفة كانت بداية غريبة ومثيرة فى نفس الوقت، كانت العلاقات الدبلوماسية بين إيران ومصر مقطوعة ، وفى حالة عداء وخصومة لا تنتهى !!

ووسط هذا المناخ العدائى سافر السادات الى الرباط لحضور المؤتمر الأسلامى بسبب اصابة عبد الناصر بأزمة قلبية مفاجأة لم يعلن عنها فى حينها !

يقول السادات : طلب منى عبد الناصر أن أصلح الأمر مع شاه إيران ، وطلب منى أن أوسط الملك حسين فى ذلك ، وقد فعلت ذلك ولكن المصالحة لم تتم .. » .

وحقيقة الأمر أن العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإيران والمقطوعة منذ عام ١٩٦٠ لم تستأنف ، ولكن المثير فى الأمر هو تلك الصداقة التى نشبت سريعا بين السادات والشاه ، وتفاصيل الحكاية برمتها مثيرة وتستحق القراءة !

فور وصول السادات إلى الرباط اتصل بالملك حسين وطلب منه ترتيب مقابلة فى غرفته بينه وبين الشاه ، وبعد حوالى ساعة أبلغ الملك حسين السادات رفض الشاه الأجتماع معه فى منطقة محايدة ، وأنه مصر على أن يأتى السادات اليه ، وأدعى الشاه بأنه مادام السادات ليس رئيس دولة فليس من العدل اجراء اللقاء فى غرفة الملك حسين ، لذلك وبمقتضى المراسم يجب أن يأتى نائب الرئيس المصرى اليه لكن السادات رفض ذلك

وبعد ذلك الرفض شهدت مباحثات مؤتمر القمة الاسلامى فى الرباط جدالا كلاميا بين الشاه والسادات ، وقد قال السادات فى كلمته أمام المؤتمر وهو يرمز الى شاه ايران دون ان يذكر اسمه انه يجب على المشتركين فى المؤتمر وضع حد لخلافاتهم والتصرف كمسلمين حقيقيين ، وعندما قام الشاه ليلقى كلمته ، ورفض خلالها اكثر من اقتراح عربى بشأن قطع علاقاته مع « اسرائيل » بل دعا المؤتمر الى اتخاذ قرار واقعى ، وطلب السادات من الملك الحسن ملك المغرب رئيس المؤتمر .

حق الكلام مرة ثانية ، وقال السادات بلهجة حادة جداً ان اقتراحات الشاه خفيفة جداً ، وأن على مؤتمر القمة الأسلامى النظر الى موضوع حريق المسجد الأقصى فى القدس بخطورة أكثر ، وذكّر السادات الشاه بما جرى لوالده فى الحرب العالمية الثانية وقال :

.. أننى أقدر والدك رضا شاه ، لترى ماحدث له ، فعندما تجرأ على معارضة رغبات الدول العظمى عزل من قبل بريطانيا والأتحاد السوفييتى وأرغم على مغادرة ايران والموت فى المنفى :

وفجأة تذكر السادات وصية عبد الناصر له بمحاولة التصالح مع الشاه ، وهنا بدأ السادات يتخذ مواقف أكثر تساهلا وقرأ للشاه قصيدة لشاعر ايرانى مشهور ولم يكتف السادات بذلك بل قرأها له باللغة الفارسية ، وكانت القصيدة تدعو إلى علاقات اخوة بين الناس ، وعندما شاهد الشاه حسن حديث السادات بالفارسية صفق له بحماس شديد ، وتم الصلح بينهما .

جاء الصلح على المستوى الشخصى لكن العلاقات بين البلدين ظلت مقطوعة كما كانت!

◘ ◘

ورغم مرور سنوات طويلة على "المشادة" التى حدثت بين السادات والشاه فى مؤتمر القمة بالرباط (المغرب) فأن الملك "الحسن" ملك المغرب لم ينس هذه الواقعة وأعاد روايتها فى مذكراته "ذاكرة ملك" .

يقول الملك الحسن ما يلى :

"لم تكن للسادات ملكة الخطابة التى كان يتميز بها " جمال عبد الناصر" غير أنه حينما كان يتناول الكلمة فى مؤتمر من المؤتمرات كان الصمت يخيم على القاعة وينصت اليه الحضور حتى فى حالة عدم إستيعاب الحضور ما كان يقوله دائما . واذكر على سبيل المثال ما حدث سنة ١٩٦٩ خلال إنعقاد مؤتمر القمة الاسلامى ، ذلك أن مشادة كلامية وقعت بين أنور السادات و شاه ايران ، وكان السادات قد تطرق الى العلاقات التى كانت تربط ايران مع إسرائيل على شكل قنصليات

إقتصادية وتجارية .

ورد عليه الشاه الذى كان رجلا حساساً وصعب المراس بجفاء ولهجة قاسية ، وأدرك السادات الي أنه ذهب الى حد بعيد ، فأخذ الكلمة من جديدٍ وأثار الحديث عن أعمال والد الشاه وأعمال الشاه نفسه لصالح القضية العربية ، وختم تدخله مستشهدا ببيتين من الشعر الفارسى نطقهما باللغة الفارسية .

يضيف الملك الحسن : وحينما التقيت بالشاه فيما بعد توجهت اليه بالسؤال التالى : ماذا كان يا صديقى العزيز يود السادات قوله فى البيتين من الشعر الفارسى ؟!

فكان جوابه (أى الشاه) كما يلى :

اسمعوا ان الامر فى غاية البساطة ، فاما انا فارسي ولم افهم لغتي ، أو أن ما نطق به السادات لم يكن لغة فارسية !!

ويختتم الملك الحسن شهادته قائلا : وعلى أية حال لقد تصرف السادات بلياقة ، حيث ان تلك المشادة العابرة والعنيفة طواها النسيان بعد خمس دقائق . »

حتى ذلك الوقت كان المعروف كل المعرفة حقيقة مشاعر الشاه تجاه " جمال عبد الناصر" فهي مشاعر كراهية وحقد .

لكن مالم يكن معروفاً على وجه الاطلاق تلك الصورة التي كان ير سمها الشاه لنائب عبد الناصر وقتها - السادات - والذي سيلتقي به في مؤتمر الرباط ! ففي تقرير سرى أعدته وزاره الخارجية الايرانية عن أنور السادات ليقرأه الشاه قبل مغادرة طهران لحضور مؤتمر القمة الاسلامي في " المغرب " حيث كان السادات ينوب عن الرئيس جمال عبد الناصر .

كان أخطر ما في التقرير عن السادات هو انه "عاطفي ومتهور. يشك به الامريكيون والسوفييت على حد سواء .. لا يمكن الوثوق به "

وفيما بعد اعترف أحد وزراء خارجية ايران أن هذا التقرير السرى عن السادات "كان يعتمد اساسا على معلومات مستفاده من أجهزة المخابرات في كل من الولايات والمتحدة والمانيا الاتحادية واسرائيل (!!)

وهكذا سافر الشاه إلى المغرب ، وهناك كانت بداية أغرب قصه بين الشاه

والسادات تفاصيل هذه القصه المثيره رواها فيما بعد "أمير طاهري " أحد ابراز الخبراء في الشئون الايرانية ، كما أنه عرف الشاه عن قرب وكذلك السادات ولسنوات طويلة.

تناول " أمير طاهري " في دراسته الهامة قصة السادات والشاه والعلاقة السرية مع أمريكا واسرائيل " منذ حرب ١٩٦٧ إلى مابعد سفر السادات إلى القدس .

وحسبما نشرته مجلة " المجلة " (١٢ مارس ١٩٨٣) كتب " أمير طاهري " يقول :

في الاساس كان الشاه يأمل في الاجتماع بعبد الناصر في قمة الرباط لاجراء مصالحة معه بطلب من العاهل السعودي الرحل الملك فيصل إذا أن هزيمة حزيران " يونيو "

١٩٦٧ قد "هدأت " من اندفاع عبد الناصر بعض الشئ ،حسب ما ذكره بعض المستشارين للشاه واعتبر الشاه انذاك ان الوقت حان لأستئناف العلاقات مع مصر وتوطيدها بعد قطيعة ونزاعات وخلافات مريره دامت عقدا كاملا من الزمن "

كان الشاه يكره عبد الناصر شخصيا و مثل هذه العواطف الشخصية كانت تلعب دورا كبيرا في صياغة أو تكوين أراء الشاه وحكمه الشخصي على الزعماء والمسئولين الذين كان يتعامل معهم .

وعندما أعلن "عبد الناصر " أنه لن يحضر مؤتمر الرباط تنفست وزارة الخارجية الايرانية الصعداء - حسبما يقول أمير طاهري - إذ أن كراهية الشاه لعبد الناصر كانت ستهدد أعمال المؤتمر بالفشل في حال حضوره ، وقد عقدت بعد الحريق المتعمد الذي شب في المسجد الاقصى بالقدس المحتله .

وبرغم أن عبد الناصر كان " العدو رقم واحد " للشاه فإن المعلومات التي كانت متوفرة للدوائر الايرانيه عن الزعماء المصريين وسياستهم اقتصرت على الفصاحات الصحفية والتقارير الاخرى التي جمعها عملاء أجهزة " السافاك" في مختلف البلدان العربية ، واستمرار الاسرائليون بدورهم لاسباب خاصة بهم بتغذية الايرانيين بكل ما هو ضروري لمنع تحسن العلاقات بين طهران والقاهرة .

في هذه الاجواء توجه الشاه إلى الرباط لحضور مؤتمر القمة العربية الاسلامية

،وهناك لمح الملك الراحل فيصل إلى أن الشاه يمكن أن يجتمع بنائب الرئيس المصري" انور السادات" لتحسين العلاقات بين البلدين ، وهي عملية كانت قد بدأت بفضل الوساطة السعودية ..

وكان الشاه حذرا متربصا بالفرص . وفي الجلسة الختامية للمؤتمر القي خطابا طويلا عرض فيه تقديم المساعدات المالية والدبلوماسية إلى مصر المهزومة" شرط أن تكون القاهرة قد تعلمت " أمثولتها " !!

واستنادا إلى الدبلوماسيين الايرانيين الذين حضروا الجلسات المغلقة للمؤتمر فأن الجميع شعروا بان الشاه كان يحاول في الوقع تصفية الحسابات القديمة مع عبد الناصر " الذي كان متغيبا ومعتل الصحة " !!

عند ذاك نشبت العاصفة - كما يقول أمير طاهرى - اذ انتصب " السادات "واقفا وقائلا : ان مصر لاتستجدى أي احسان لكون الشرف العربي يأبي ذلك . ان الشعب المصري وحكومتة سيتحملان عبء الهزيمة ومسئولية النصر في المستقبل وحيدا اذا اقتضى الامر .

ثم التفت السادات ناحية الشاه والقي على مسامعه شعرا بالفارسية من تأليف "سعدى" الشاعر الايراني الذى عاش في القرن الثاني عشر فيه مامعناه :

"من يعش بثمار أعماله وعرق جبينة لاحاجة أن يستجدي حاتم طي .."

وأدرك الشاه وأعضاء الوفد الايراني المرافق له ماذا كان يقصد السادات من كلامة، وإذا بالشاه ينتفض ويقف بشكل مفاجئ ويقول لرئيس المؤتمر الملك الحسن الثاني :

هل هذا المؤتمر منتدى شعري ؟! لو كنت أعلم أن بيننا هنا شعراء لكنت قد جلبت بعضا منهم معى من ايران لان لدينا الكثيرين منهم .

وبدا الامر بالنسبة إلى الحاضرين وكانه صدع جديد في العلاقات المتوتره بين إيران ومصر و لم يدر بخلد أحد في تلك الحظات أن هذه المواجهة ستكون على العكس ، بداية لصداقة جديدة طويلة الامد بين الشاه والسادات !!

وحسبما يقول الكاتب الصحفي الايراني " امير طاهري " فأنه عندما عاد الشاه إلى

المقر المخصص له " وبخ وزير خارجية " إرد شير زاهدى » على عدم إعلامه مسبقاً بأن السادات خطيب مفوه بالفارسية ويجيد الشعر القديم وقال له :

لابد انه - اى السادات - رجل مثير للاهتمام فى اى حال ، قم بترتيب الاجتماع الذى طلبه أخونا الملك فيصل .

وبالفعل اجتمع السادات والشاه بعد ساعات قليلة ، أولا بحضور الملك فيصل ، وبعد ذلك إقتصر عليهما لمدة ساعتين من دون مستشاريهما ، وان لم يكن ما حدث بينهما حباً من النظرة الأولى ، فقد كان بالتأكيد من المعركة الاولى. (!!)

وبعد سنوات طويلة على هذه الحادثة ذكر الشاه امام بعض الذين يثق بهم انه شعر بعاطفة عميقة تجاه السادات منذ البداية ، فقد رأى فيه رجلا مخلصا لن يتخلى عنه ابدا وهي صورة مختلفة تماما عما ذكره التقرير السرى الذى رفع الى الشاه من قبل وزارة الخارجية الايرانية .

فى ذلك الوقت كما يقول امير طاهرى بدأت امريكا وروسيا تستعدان لمرحلة ما بعد عبد الناصر فى مصر بعدما اصبحتا مقتنعين بان عبد الناصر سيرحل اما لاسباب سياسية او صحية وقام السوفييت من جهتهم بدعم على صبرى بينما قامت واشنطن بدعم ولو لفترة وجيزة علي الاقل زكريا محى الدين اذ رأت فيه صديقا محتملا للامريكيين وقال لنا بعض اقرب المستشارين من الشاه فى ذلك الوقت إن رأى الشاه الايجابى فى السادات جعلت الرئيس الامريكى انذاك ريتشارد نيكسون يأخذ هذه الشخصية المصرية بالاعتبار جديا.

وعندما تسلم السادات مقاليد الحكم إثر وفاة عبد الناصر لم تكن واشنطن وموسكو تعتبر انه سيبقى مدة طويلة في الحكم بل ان وجوده فى السلطة مؤقت لكن الشاه ارسل رئيس وزراءه امير عباس هويدى الى القاهرة لحضور جنازة عبد الناصر ظاهريا غير أن مهمته الحقيقة كانت لإعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين والتأكيد للسادات دعم ايران الكامل له ولمصر تحت قيادته .

وكانت رغبه الشاه الفوريه ان يستأنف العلاقات مع مصر على أعلى المستويات لدى الانتهاء من مراسم دفن الرئيس الراحل عبد الناصر .

ثم يؤكد" امير طاهرى" على سعى الشاه منذ البداية الى التقريب بين الولايات المتحدة ومصر ، فقد اعتبر ذلك ضرورياً لتسوية النزاع فى الشرق الأوسط ، والحد من التوسع السوفيتي فى المنطقة ".

لكن اخطر ما يكشف عنه مقال الكاتب الصحفى الايرانى هو انه لم يكن من قبيل الصدفه ابدا ان يقوم وزير خارجيه الشاه اردشير زهدى بزيارة القاهرة قبل ٤٨ ساعة فقط من اكتشاف المؤامره يقصد احداث ١٥ مايو ١٩٧١ واعتقال على صبرى ومجموعته وفى الليلة التى امر فيها السادات بالقاء القبض على هؤلاء كان زهدى ضيفه علي مائدة العشاء وقام الاثنين من القصر الجمهورى بالتحدث هاتفيا الى الشاه فى طهران وكان الشاه يخاطب السادات بأخى انور فى حين كان الاخير يدعو ه بالشاه اخي محمد ويبدو ان السادات فهم نفسية الشاه اكثر من اى زعيم من زعماء الدول الذين إحتكو به ووجدوه غير ودى او متغطرسا ومتعجرفا بعض الشىء وفى الواقع كان الشاه رجلا عاطفيا وان كان يرتدى قناعا من الجحود والعجرفة واكتشف السادات هذا الامر وبدأ يحاول كسب مودة الشاه وعاطفته فقد كان يقوم احيانا بالاتصال هاتفيا من القاهرة لمجرد تحيتة او كان يقول له مثلا : لقد حلمت بك يا اخي العزيز وان أفكارى كلها معك طوال الوقت ومن المعلوم كما يقول امير طاهرى ان الشاه لم يعرف طوال فترة حياته معنى الصداقة الحقيقية ودفئ العلاقات الشخصية ومن الشخصيات العالمية التى اقام الشاه معها علاقات وثيقة جدا ريتشارد نيكسون وتيتو والرئيس الرومانى تشاوشيسكو والملك حسين والملك الحسن الثانى وغيرهم ولكن لم يستطيع اى منهم اقامة علاقات ودية معهم كما فعل السادات وكان السادات دائم الملاحظة والمجاملة ففى حضوره كان الشاه يشعر بدفق من المشاعر الاخوية التى لم يألفها قط من قبل فعبارة اخى انور اخى الشاه كانت دائمة التكرار وكافية بحد ذاتها للتعبير عن هذه الرابطة المتينة بين الرجلين .

وبعيدا عما ذكره امير طاهرى فإن لملاحظات الكاتب الكبير احمد بهاء الدين عن الصورة التى كان يرسمها الرئيس السادات للشاه ربما تساعد كثيرا فى فهم تلك الصداقة بين السادات والشاه فى سطر واحد بالغ الدلالة لخص السادات رأيه فى الشاه عندما قال لاحمد بهاء الدين :أتعرف أننى أعتقد من زمان إن مثلى ألاعلى

بين كل زعماء العالم الثالث هو شاه ايران وما جرى بين السادات واحمد بهاء الدين لا يخلوا من طرافة واثارة والحكاية ببساطة وكما يقول بهاء انه فى اوائل عام ١٩٧٤ وكان يقوم بجولة صحفية فى الخليج العربى حيث قرر فجأة ان يستكملها بالذهاب الى طهران.

كانت كل صحافة الدنيا موجودة هناك تنتظر شاه ايران ، ووسط ذلك كله ذهب احمد بهاء الدين لوزير الاعلام الايرانى يطلب مقابلة الشاه ، وكان اهتمام الوزير بطلب بهاء يدعو للدهشة وعلى حد قول بهاء نفسه : « والعلاقات بين مصر وايران مقطوعة واخر العهد بها ايام عبد الناصر كانت في حاله عداء عنيف . »

وزادت دهشة بهاء عندما تحدد الموعد مع الشاه فى نفس اليوم و « لقينى الشاه بحفاوة واعطانى وقتاً طويلا ، وعدت الى الفندق بين نظرات إستغراب صحفى العالم الذين كنت أعرف بعضهم ، وعرضوا على مساعدتهم . »

وكان تعليق بهاء يومها والذى قاله للاستاذة "انجى رشدى » هذه معاملة غير عادية والمقصود بها مصر طبعاً ، واعتقد أن ثمة خطوطاً لا تعرفها انفتحت بين مصر وايران".

وبعد عودة « بهاء » الى القاهرة نشر مقالا فى الأهرام عن الرحلة كلها ، لقائه مع الشاه وبعض ما تحدثا فيه ، وبعد عدة أيام كان « بهاء » يزور الرئيس السادات فى استراحة القناطر ، وما جرى بعد ذلك يرويه « احمد بهاء الدين » قائلا :

"بعد ان صافحنى الرئيس مودعاً صاح فجأة "

- الله أنا نسيت أسألك عن أهم حاجة ، أنا عايزك تحكى لى بالتفصيل عن زيارتك لطهران ومقابلتك للشاه " اقعد وساجعلهم يحضرون لك الغداء ."

ويكمل بهاء قائلا :

" رويت للسادات قصة الرحلة والمقابلة كاملة ، ثم أخذ ينهال على بالأسئلة التى تنطوى اجابتها على ثناء من نوع أو آخر على شاه ايران وكانت الاسئله من نوع : ولكن الم تلاحظ انه خارق الذكاء ؟! ألم تجد ثقافته واسعة ؟! الم تجد أن فكره الاستراتيجى شديد التفوق ."

ولابد ان الدهشة استولت على الاستاذ "أحمد بهاء الدين" وكان تعليقه على ما يسمعه

كان السادات يسألنى بروح من الاعجاب الهائل عن شخص لم يكن يعرفه فهو لم يره الا في مؤتمر الرباط ايام عبد الناصر ، وتشاجرا وتبادلا الاهانات فى جلسة واحدة عامة للمؤتمر وانتهى الامر !

وكان لأحمد بهاء الدين رأى هو ان الدعاية الغربية الهائلة للشاه قد خدمته ، وقاطع السادات بهاء قائلا فى إقتناع نهائى :

- أتعرف أننى أعتقد من زمان ان مثلى الأعلى بين كل زعماء العالم الثالث هو شاه ايران !

وعندما تساءل بهاء عن الاسباب قال السادات له :

« زعماء عدم الانحياز بتوعك الذين ملأوا الدنيا ضجيجا منذ سنوات : ونهرو ، ونكروما ، وسوكارنو ، وحتى عبد الناصر ، وحتى تيتو اللى لسه عايش .. اين هم الان ؟! راحوا فين ؟ اللى مات ، واللى انهزم واللى راح فى انقلاب واللى انكمش داخل حدوده زى تيتو ، واحد فقط من هذا الجيل وهذه المرحلة كلها باق على مقعده بكل سلطانه وهيلمانه ، والدنيا تسعى اليه وهو شاه ايران "انه راجل خارق الذكاء وغير عادى ."

◘ ◘

وحسبما يقول "أمير طاهرى " الصحفى الايرانى :

" فى نهاية عام ١٩٧٣ تعززت أواصر الصداقه اكثر فاكثر بين السادات والشاه عن طريق الروابط المتينة التى قامت بين الامبراطورة " فرح " والسيدة چيهان السادات " علاوة على الصداقة التى امتدت الى " ابناء وبنات العائلتين " .

وعندما شعر الشاه فى عام ١٩٧٧ بانه منزعج " من بعض مواقف زوجته الامبراطورة فرح لم يفاتح فى هذه المسألة سوى السادات " بعدما أصبحا قريبين جدا احدهما من الآخر وقام السادات بزيارة الشاه واه اد عائلته فى منتجعهم الصيفى على شاطىء بحر قزوين . وكان بمقدور الرئيس المصرى الاسترخاء هناك



شخصية بحسن البنا
الذي اتاح له التعرف على
عزيز المصري

بسلام والشعور بانه فى منزله تماماً .

وكان الزعيمان يمارسان السباحة معاً لفترة من الزمن ، ثم القيام بنزهات طويلة على الاقدام على شاطئ البحر .

وكان الرجلان فى بعض الاحيان متفهمين لبعضهما البعض " ولكن فى احيان اخرى كانا على طرفى نقيض تماماً " من اوجه عدة " فالشاه كان متكتماً بطبعه ومحباً للسرية " كما كان مبغضاً للناس وخجولا جدا " أما السادات فقد كان على العكس تماماً " مفتوح القلب وصريحاً وكثير الكلام " متزناً " ولكن كل على طريقته الخاصة " وكان للسادات معين دائم لا ينضب من الاحاديث الشعبية والاقوال والحكم والاشعار والنوادر التى كان يستعين بها فى حديثه : أما الشاه فكان جاهلا لكل ذلك الى درجة انه لو أراد الاستعانة ببيت من الشعر فى المناسبات النادرة " فانه كان يقتبسه او يتلوه بصورة مغلوطة او خاطئة " وكانت لكلا الرجلين أحلامهما الكبيرة " ومع ذلك كانا مزاجيين متقلبى الطباع .

وكانت تنتاب الاثنين لحظات سوداويه " وان كان الشاه معرضا لها اكثر من اخيه " السادات " كما كان الاثنان يشتركان فى الشعور بانهما غير مقدرين بما فيه الكفاية ولكن كان سلوك السادات تجاه السلطة والحياة السياسية عموما اكثر من الشاه إعتماداً على القضاء والقدر " وكان الاثنان يساورهما شعور بزوال السلطة والعظمة والجاه ومن المؤكد إنهما تباحثا فى هذا الأمر مطولا " وفى إمكانية تقاعدهما وإنسحابهما من السلطة والحياة السياسية والعامة فى يوم من الأيام . "

◘ ◘

ورغم كل هذه الصداقة كان الشاه بعيدا تماما عما يجول فى خاطر السادات !!

فى مذكراته اعترف السادات انه لم يخبر شاه ايران بفكرة الذهاب الى القدس !!

وايضا يقول اسماعيل فهمى (وزير الخارجية وقتها) لقد تناقشنا مع الشاه حول العلاقات الثنائية بين مصر وايران " ولم يرو الرئيس السادات للشاه اى شىء خاصاً بفكرته الأهلية عن الذهاب الى القدس ! "

و قبل أسابيع من زيارة السادات لايران كان موشى ديان قد وصل الى طهران

واستمر الحوار بينهما لثلاثة ساعات ، حول سياسة حكومة بيجين الجديدة فى المستقبل ولم يشر " ديان " فى مذكراته بحرف واحد يدل على معرفة الشاه بنية السادات .

ويؤكد الكاتب الصحفى الاسرائيلى " شموئيل سيجف " (فى كتاب المثلث الايرانى العلاقات السرية الاسرائيلية الايرانية الامريكية) " لم تطرح إمكانية عقد لقاء بين السادات وبيجين فى نفس اللقاء " على الرغم من أن الشاه لم يخف رايه بان السادات رجل ذكى ومعتدل " ويسعى باخلاص لحل النزاع مع " اسرائيل بالطرق السياسية . وقال الشاه لديان انه يجب مساعدة السادات فى التغلب على خصومه في العالم العربى لأنهم ينتقدونه بسبب اتفاقية التسوية المرحلية وسياسته الموالية للغرب ".

والحقيقة ان تأييد شاه ايران للسادات ومبادرته كان بغير حدود ، وحسبما تقول السيدة " جيهان السادات " فى مذكراتها :

" صوت واحد فقط فى الشرق الاوسط هو الذى كان يعلن تاييدة لانور هو شاه ايران الذى بعث برقية غير متوقعة فى يناير تقول : ساحضر الى اسوان لليله واحدة " !

وعندما التقى انور به فى المطار ابلغه الشاه أنه حضر ليعزز تأييده لمبادرة انور السادات ليس فقط للعالم كله ولكن بصفة خاصه للعرب .

وقال الشاه لزوجى :

سأتوجه الى السعودية لاسأل الملك خالد والامراء السعوديين عن سبب تأخير تأييدهم لك .. لابد ان يعترفوا أنك تعمل من اجل المنطقة بأسرها من اجل سلام شامل وعادل ومن اجل عودة الحقوق العربية ".

ثم تضيف جيهان السادات معلقة : وقد ثبت عدم جدو ى رحله الشاه الى " جدة " لكن انور لم ينس قط ما بذله الشاه من جهود لم تطلب منه من اجل زوجى " .

وقبل ان يصل السادات الى طهران بأيام قليلة ، وحسبما يقول « شموئيل سيجف فان مناحم بيجن « طلب من السفير الاسرائيلى فى طهران ان يشرح للحكومة الايرانية امل اسرائيل " فى ان يعمل الشاه على تليين مواقف السادات وخاصة فيما

يتعلق بتهديداته بشان إستئناف الأعمال الحربية !! .

لقد كانت العلاقات التاريخية بين ايران واسرائيل من ناحية والعلاقات بين مصر وايران من ناحية اخرى تسمح بمثل هذا الطلب الاسرائيلى ، كان هدف السادات " هو وضع صديقه الشاه في قلب الصورة تماما ، وقام باطلاعه على نتائج محادثاته مع شاوشيسكو وطلب منه ان يمارس نفوذه لدى الولايات المتحدة فى الضغط والتأثير على اسرائيل من اجل تخفيف حدة مواقفها .

كما استعرض السادات مع الشاه تطورات الموقف فى الشرق الاوسط ؛ كما اوضح له انه يعارض اشتراك الاتحاد السوفييتى فى مسيرة السلام

□ □

ولكن في حديث المبادرة « وهو الكتاب الذى خصصه الاستاذ " محمد حسنين هيكل " بأكمله لمناقشة مبادرة السادات الشهيرة كتب هيكل مؤكداً .

فى طهران يقول المتصلون بالقصر الامبراطورى ان الشاه " محمد رضا بهلوى " لم يفاجأ عندماأعلن الرئيس السادات استعداده للذهاب الى القدس المحتلة .

ومن الحق ان يقال ان شاه ايران كان له دائما رأى فى إنتماء مصر العربى وفى دورها فى الصراع العربى الاسرائيلى .

كان رأى الشاه ان مصر ليست عربيه وانها مثل ايران مجرد جار للعرب ومجرد صديق فى الاسلام . وكان رأى الشاه ان الصراع العربى الاسرائيلى كلف مصر اكثر مما تطيق وانه قد حان الوقت لكى تلتفت مصر لنفسها وتنصرف الى شئونها الخاصة."

اما فى كتابة " خريف الغضب " فان الاستاذ هيكل يقول صراحة ان السادات « قد أسر إلى صديقه شاه ايران بفكرته الجديدة ، وشجعه الشاه"

□ □

لكن ما يلفت النظر حقاً وقائع زيارة السادات الى القدس اذيعت على الهواء مباشره ونقلها التليفزيون الايرانى ، وكانت جميع التقارير الواردة من القدس تشير الى ان السادات هو بطل اليوم ، لكنه على الرغم من محاولة ابراز طهران للزياره كحدث

ايجابى ، الا ان الغليان ساد الاوساط الدينية فى ايران .

ورصد الصحفى الاسرائيلى " شموئيل سيجف " انه جرت فى بعض احياء طهران مظاهرات معادية لزيارة الرئيس المصرى لأسرائيل ، وفى اليوم الذى وصل فيه السادات الى القدس تعرض مكتب شركة الطيران الاسرائيلية " العال " فى طهران الى هجوم من حوالى مائة شخص ، وفى اعقاب هذا الهجوم عززت الشرطة الايرانية الحراسة على المؤسسات الاسرائيلية فى المدينة (!!)

وليس سرا بل كان واضحاً للجميع ان الشاه يؤيد موقف السادات بصورة مطلقة لا تردد فيها !!

وفى مقابلة للسفير الاسرائيلى فى طهران « لوبرانى » مع شاه ايران فى فبراير ١٩٧٨، كتب السفير الاسرائيلى يقول :

« كان الشاه بالطبع . يهتم جداً بموضوع السلام بين اسرائيل ومصر ، وكعادته فى مقابلات سابقة ، وقف الشاه هذه المرة محامياً للدفاع عن موقف السادات ، وأكد ان السادات يريد بالفعل حل النزاع العربى الاسرائيلى ، وأنه مخلص فى مساعيه السلمية وقال ان السادات يدرك بانه لكى يصبح رئيسا عظيماً يجب ان يغير نمط الحياة لدى المواطن المصرى فهو يختلف عن عبد الناصر الذى كان يعتقد بانه سيدخل التاريخ كزعيم للعالم العربى " . . "

وكان مما قاله شاه ايران للسفير الاسرائيلى أيضا :

" ان زيارة السادات للقدس لم تأت عرضية ، بل كانت نتيجة لدراسة بعيدة المدى ونظرة بعيدة لدى الحكومة المصرية لذلك يجب على " اسرائيل " التقدم فى طريق السلام با بداء مرونه تجاه مصر وأهدافها "

وكان رد السفير الاسرائيلى على شاه ايران وفقاً لما جاء على لسان الكاتب الصحفى الاسرائيلى " شموئيل سيجف " قوله :

" حاولت ان اشرح للشاه المخاوف الاسرائيلية من السادات وأهدافه ، فقد خدع السادات اسرائيل فى حرب رمضان . وكانت علاقاته مع العالم العربى دائماً متقلبة ، لذلك فمن يستطيع أن يضمن « لإسرائيل " بأن السادات لن يقوم بتحول مفاجئ

لكن الشاه اصر على موقفه وقال للسفير الاسرائيلى : أن السادات يريد السلام حقاً ، ويجب مساعدته وتخليصه من مشاكله . "

وبعد اسابيع من مغادرة السفير الأسرائيلى لطهران عائدا الى تل أبيب عاد ثانية لمقابلة الشاه وهو يحمل رسالة شخصية من بيجين الى الشاه تضمنت جمود مباحثات السلام مع مصر ونظرة إسرائيل لهذا الموضوع .

كانت محادثات السفير الاسرائيلى مع الشاه طويلة ، ورفض خلالها الشاه تفسيرات مناحم بيجين التى اوردها فى رسالته . وطلب بأصرار ان تبدى إسرائيل مرونة وتستجيب لمطالب السادات .!!

وكان توضيح السفير الاسرائيلى للشاه قوله بان اسرائيل لا تستطيع ان تثق بالسادات " بأعين مغمضة " وانه توجد لاسرائيل ايضا مشاكل تتعلق بجوهر السلام مع مصر".

ولم يكن ما قاله الشاه للسفير الاسرائيلى جديدا او مفاجئاً فقد سبق للشاه ان قال لبيجين هذا الكلام اثناء زيارته السرية لطهران فى نهاية " فبراير ١٩٧٨ ففى هذه المقابلة التى استغرقت ثلاث ساعات ووصفها بيجين بانها " محادثات ممتازة "كان الشاه يمتدح كثيراً زعامة السادات فى العالم العربى ، وأعرب عن ايمانه برغبة مصر المخلصة فى السلام ، وحث بيجين على ابداء مرونة تجاه السادات ، وعدم تفويت فرصة السلام هذه عليه .

وبعد عامين بالضبط كان " شاه ايران " قد أصبح خارج ايران مطروداً لا يجد بلداً يأويه وقرر السادات استضافته على ارض مصر ، ووصل الشاه والشاهبانو الى مطار القاهرة، وفى الطريق الى مستشفى المعادى أجهش الشاه بالبكاء وهو يقول للسادات :

- انا لم أفعل شيئا من أجلك ، ولكنك الشخص الوحيد الذى يستقبلنى بطريقة كريمة فالاخرون الذين ساعدتهم لم يردوا على بالمثل قط. ان هذا ليستعصى على فهمى " !

٩

وسيط شيوعي اسمه " شاوشيسكو " !

كان حلم حياة طاغية وديكتاتور رومانيا " شاوشيسكو " أن يوفق رأسين في الحلال !

كان أمنية عمر" شاوشيسكو " على مدى سنوات طويلة أن يوفق ويصلح بين العرب عامة - ومصر خاصة - وبين اسرائيل !!

لم تكن محاولات شاوشيسكو في أيام السادات فقط لكنها بدأت أثناء وجود الرئيس جمال عبد الناصر نفسه !!

وفي كتابي " عبد الناصر في تل أبيب " (القصة الكاملة لمشاريع التفاوض مع اسرائيل) أشرت وبالتفاصيل إلى عشرات المحاولات التي قام بها شاوشيسكو لهذا الغرض !

لقد أشار إلى هذه المحاولات أسماء بارزة في دنيا السياسية ولها مكانتها المرموقة ومنها: الكاتب الكبير " محمد حسنين هيكل " و " محمود رياض" وزير الخارجية السابق .. و..و

وتغيرت ظروف مصر ولم تتغير ظروف رومانيا !!

غاب " جمال عبد الناصر " ليخلفه السادات ويظل شاوشيسكو حاكما لرومانيا لا يتزعزع ولا يتغير ويظل علي ايمانه العميق بفكرة أن يوفق رأسين في الحلال رأس السادات ، ورأس اسرائيل !!

◘ ◘

وطبقاً لأغلب الشهادات السياسية المعاصرة فقد نجح " شاوشيسكو " في ذلك فعلاً!!

لكن دور شاوشيسكو وسعيه الدائم لانجاز هذا الحلم وتحقيق هذه الأمنية يستحق القراءة الهادئه المتأنيه بعيداً عن أية إنفعالات !!

في عصر "جمال عبد الناصر " حاول " شاوشيسكو " أكثر من مرة ، ولم يعترض عبد الناصر ، لكن كل المحاولات باءت بالفشل !!

ويروي الأستاذ " محمد حسنين هيكل " في كتابه الطريق إلى رمضان محاولات لوسطاء قاموا بنفس الدور ولكن ما يعنينا هنا دور " شاوشيسكو" ، فيقول هيكل :

وكانت هناك محاولة أخرى أكثر جدية في هذا الصدد قام بها الرومانيون الذين كانوا وحدهم من بين أعضاء دول الكتلة الشرقية الذين لم يقطعوا علاقتهم بإسرائيل في العام ١٩٦٧ . والحقيقة أن " جدعون رفائيل " وهو أحد كبار موظفي وزارة الخارجية الإسرائيلية - كان في ذلك الوقت يقضي بضعة أسابيع في بوخارست، ويحمل معه رسائل من حكومته توكد اهتمامها بإجراء اتصالات مع مصر . وقد جاء نائب وزير الخارجية الرومانية " بترويورناكو " في أكثر من زيارة للقاهرة حينذاك ، ولم يحاول عبد الناصر أن يصده (!!) إحساساً منه بأن الرومانيين يعبرون على الأرجح عن وجهه نظر في الكتلة الشرقية أوسع مما كان معترفاً به بوجه عام .

وقال عبد الناصر له يوماً (أي لنائب وزير الخارجية الروماني):

- لا بأس ..أن ما أريدك أن تأتيني به من الإسرائيليين ، خريطة تبين ما يرون أنه الحدود النهائية التي يجب أن تكون إسرائيل .

ويضيف هيكل مؤكداً : وبعد ذلك لم يسمع عبد الناصر من الرومانيين شيئاً !

ويروي " محمود رياض " وزير الخارجية السابق (وأمين الجامعة العربية) في مذكراته قصة محاولة رومانية أخري فيقول :

- جاءني نائب وزير خارجية رومانيا يوماً يقترح على أن أعقد لقاء سرياء مع وزير الخارجية الإسرائيلي ، وأضاف بأن الإسرائيليين قد أكدوا له أمن هذا القاء لو تم سوف يحقق حل جميع المشاكل ، فرفضت فكرة اللقاءات السرية ، وذكرت له أنه إذا كانت لدي إسرائيل أي أفكار جديدة فلماذا لا تقدمها لنا عن طريق يارنج

(مبعوث الأمم المتحدة) أو تقدمها لكم حتى نتعرف على مدي جدية مقترحاتهم ، وأضفت شخصياً - أي محمود رياض - سبق واجتمعت علنا مع وفود إسرائيلية في رودس وفي لجان الهدنه (١٩٤٩) والسرية لن تخدم قضيـة السلام ، وخاصة أن مجلس الأمن رسم الطريق لتحقيق السلام المنطقة "

◘ ◘

كان شاوشيسكو حتى آخر لحظات عمره وقبل أن يثور الشعب الروماني ضده في ١٥ ديسمبر ١٩٨٩ ثم يتم اعتقاله واعدامه في ٢٥ ديسمبر صديقا للعرب ولأسرائيل !! ورغم أن " شاوشيسكو " لم يقم بزيارة اسرائيل علي وجه الأطلاق ، فقد ربطته بمعظم زعمائها علاقات وصداقات وطيده ، ففي فترة حكمة زاره كل من جولدا مائير ومناجم بيجين وأسحاق شامير وشيمون بيريز وعايزر وايزمان وأريل شاورن ..الخ ولم يكن صدفـة أن يكون ردود فعل الصحافـة الأسرائيليـة لاعدام شاوشيسكو هو ذلك الأحساس بالشفقة على المصير الذي لقيه !! وكذلك الخوف الشديد على مصير تلك العلاقة المتميزة بين رومانيا واسرائيل ! ثم مصير الطائفة اليهودية في رومانيا !

والأهم من كل ذلك أن شاوشيسكو - كان الزعيم الاشتراكي الوحيد الذي لم يقطع العلاقات الدبلوماسية لرومانيا مع اسرائيل في أعقاب حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧، بينما قامت كل بلدان المجموعة الأشتراكية - بتعبير ذلك الوقت - بقطع كل علاقتها بإسرائيل!!

هل كان ذلك كله مقصوداً وقتها ؟! هل كان مطلوباً أن يكون " شاوشيسكو " هو الزعيم الشيوعي الوحيد في المنظومة الشيوعية - سابقاً بالطبع - صاحب العلاقة المتميزة مع اسرائيل والعرب في نفس الوقت ؟!

ورغم العلاقة المتميزة والوطيدة بين شاوشيسكو فأن هذا لم يمنعه من أن يؤكد في كل مناسبة " أن رومانيا تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ." و " مطالبة اسرائيل بالانسحاب من الأراضي ا لمحتله."

وليس سراً كـذلك أن هناك صداقة عميقة قد ربطت شاوشيسكو بمعظم القادة والزعماء العرب : جمال عبد الناصر . السادات وحافظ الأسد وهواري بومدين

والملك حسين والملك الحسن الثاني والحبيب بور قيبة وياسر عرفات وصدام حسين ..

وإذا كان شاوشيسكو قد فشل رهانه على " جمال عبد الناصر " فأن رهانه على " السادات " نجح بامتياز شديد .

لقد جاءت البداية ساخنة مثيرة ، فقد بدأت مع الأسابيع الأولي التي تلت وفاة جمال عبد الناصر وتولي السادات مسئولية الحكم !!

تقول جولدا مائير " رئيسة وزراء اسرائيل في مذكراتها :" قابلت الرئيس الجذاب والنشيط السيد " نيكولاى شاوشيسكو " عام ١٩٧٠ وأعجبت به لأنه لم يتأثر بالضغوط العربية بل بالعكس حافظ على علاقاته بناء والعرب . كان بيننا وإتفاقيات تجارية وتبادل معارض الفنون والفرق الموسيقيه الفولكلورية ، وكانت هناك بعض الهجرات من رومانيا إلى اسرائيل .

ورغم أن جولدا مائير تعترف أنه يجب أن تبقي معظم رحلاتها للخارج ولقاءاتها سراً إلا أنها تتحدث بالتفصيل عن رحلة لها إلى رومانيا ولقاء مع شاوشيسكو فيقول :

- في بداية عام ١٩٧١ وصل إلى اسرائيل نائب وزير خارجيه رومانيا لمقابلة المسئولين في وزارة الخارجية الأسرائيلية وطلب مقابلتي شخصياً . كانت لنا علاقات طيبة مع رومانيا فهي الدولة الوحيدة من الدول شرق أوربا التي بقيت علاقاتنا بها جيدة وسارية المفعول ، بالرغم من قطعها من قبل الكثيرين في أعقاب حرب الأيام السته ، وهي التي رفضت الأشتراك بالجملة الدعائية ضد اسرائيل التي قام بها وأعدها الأتحاد السوفيتي كما رفضت الأنضمام إلى الكتله السوفيتية التي شهرت أمام الجميع بنا ووصفتنا بأننا " عدائيون " .

كنت أدرك تماماً - تقول جولدا مائير -أن الرئيس الروماني يطمح لإيجاد تسوية سلمية في الشرق الأوسط ، لذلك لم أستغرب عندما صرح موفده إلى اسرائيل عن سبب حضوره إلى إسرائيل قال :

- لقد أرسلني رئيسى (يقصد شاوشيسكو) لاطلعك على مادار بينه والرئيس السادات لدى اجتماعهما في القاهرة . لقد أحب أن يوصلها بنفسه ولكنه أضطر للذهاب إلى الصين ، لذلك فهو يطلب منك الحضور إلى بورخارست بأيه وسيلة

تختارينها ، وأما أن تتنظرى دعوة رسمية منه ."

أجبته :" أنني ساذهب إلى بوخارست عندما أجد ذلك ممكنا ، وتلبية لدعوة رسمية."

وتكمل جولدا مائير قائلة : بعد ايام وصلت دعوة الرئيس شاوشيسكو وطرت مباشرة إلى رومانيا . لقد قضيت ١٤ ساعة في جلستين طويلتين مع شاوشيسكو وقد أخبرني أن الرئيس السادات مستعد لمقابلتك شخصيا أو مقابلة أية شخصية إسرائيلية آخرى !!

وقالت جولدا مائير له : سيدى الرئيس أن هذا الخبر هو من أحسن الأخبار التي سمعتها في حياتي ."

وتضيف جولدا مائير بعد ذلك :" بقيت مع شاوشيسكو وكان أكثر سروراً وإنشراساً مني وشرح لى بعض التفاصيل : لن نعمل عن طريق السفارات أو وزرات الخارجية " وأقترح أن يؤمن نائب وزير خارجيته إتصالات شخصية معي من خلال "سمنا دتنيز " ثم عن طريق وزيري السياسي الذي حضر معي إلى بوخارست . ظهر لي أن الجليد قد تكسر لكنه لم يتكسر بالفعل ، فعندما عدت إلى إسرائيل انتظرت وانتظرت طويلا ، لكن بخيبة الأمل ،إذا لم يحدث أي شئ مما قيل ، لقد ظهر أن السادات أخبر شاوشيسكو شيئا لا معني له ، وثبت في النهاية أنه كان يستغله ويهزأ به ."

انتهي ما كتبته جولدا مائير في مذكراتها ومن الضروري أن نتوقف طويلا أمام اعترافها أن السادات ضحك على شاوشيكو وهزأ به !!

□ □

وفي أعقاب الثورة أجتاحت رومانيا والأطاحة بشاشيسكو في ١٩٨٩ صدر كتاب هام لسفير اسرائيل السابق في رومانيا " ابان غيفن "وكان عنوان الكتاب" كوة في ستار الحديد ".

يقول السفير الأسرائيلي في الكتاب : لو أن اسرائيل تعاملت بجد أكثر مع هذا الرجل لأمكن التوصيل إلى السلام مع مصر في وقت مبكر "

ويروي السفير أنه نقل في نوفمبر ١٩٧٣ أقتراحاً إلى جولدا مائير بواسطة شاوشيسكو عن إستعداد السادات لتسوية سلمية بعيدة المدى ، لكن مائير

استبعدت هذا الآقتراح في تلك الفترة ، وبعد مرور أربعة أعوام نقل شاشيسكو إلى السادات استعداد حكومة إسرائيل للقبول بالسلام .

وقام شاوشيسكو نفسه بدور الوسيط بين إسرائيل ومنظمة التحرير وساهم في عمليات تبادل الأسرى ونقل المعلومات عن المفقودين ، ففي ابريل ١٩٧٨ (أي بعد مبادرة السادات بخمسة شهور) نصح موشيه ديان أن مصلحة اسرائيل هي في التفاوض مع طرف فلسطيني معترف به ومقبول من الفلسطيبين كلهم ، وأن تبادل الأعتراف بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية يجب أن يتم في مفاوضات سياسية لا في عملية عسكرية ، كما درج شاوشيسكو على إرسال مستشارة الخاص إلى القدس وهو يحمل رسائل يتوسط فيها بين ياسر عرفات وشامير لكن هذه الرسائل لم تكن تلقي تجاوبا لدى هذا الأخير (أي اسحاق شامير) .!

لقد نشرت مجلة .. الدراسات الفلسطينية السطور السابقة (عدد ربيع ١٩٩٠) دون أي تعليق وخاصة حول الوساطة بين عرفات وشامير ، وبدورنا أيضا لا تعليق!!

لم تكن قد مضت سوى أسابيع قليلة على نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ حتى وقعت حادثة هامة لافتة للانتباه !

يروي الواقعة " ابا ايبان " في مذكراته " شاهد عيان ..إسرائيل كما أراها" يقول :

ذات يوم مع مطلع شهر نوفمبر ، وبينما كانت رئيسة الوزراء ."جولد مائير " في واشنطن تلقيت طلباً عاجلاً من السفير الروماني لدى إسرائيل " إيان كوفاشي " بأن استقبله في بيتي في " هتسيليا " وكان يحمل رسالة من الرئيس الروماني "شاوشيسكو " يطالبني من خلالها بالقيام بزيارة رسمية عاجلة إلى بوجارست .

وقال السفير أن مايواجه الخطر ليس فقط المزيد من التطور لعلاقاتنا الثنائية وإنما الحاجة لسماع رواية الرئيس الروماني للمخاطر والآمال الأكبر .

ويقول " ابا ايبان " شعرت أنه لا يمكننا رفض هذا المطلب ثم يروي ما جرى بعدها فيقول:

- وفي محادثة استغرقت أربع ساعات مع الرئيس شاوشيسكو تمكنت من التعرف على حقائق وأسرار جديدة .



فقد كان - شاوشيسكو - قد التقي مؤخراً بالرئيس " أنور السادات " وكان على إتصال بمندوبي منظمه التحرير الفلسطينيه ويعي جيداً أن تقارب الجيشين المصري والأسرائيلي على الأرض يجعل وقف إطلاق النار أمراً غير محتمل ، ساند الأقتراح المصري المطالب بانسحاب إسرائيلي من المنطقة الواقعة غربي القناة .

لكن ما أراد - شاوشيسكو - أن يبلغني به بشكل عاجل ، أنه حسبما يرى فإن " أنور السادات " كان على إستعدد للسلام الدائم . وإذا كنا نسعى لأسباب فنية لإفشال فكرة فض الأشتباك فأننا نخسر بذلك فرصة إقامة سلام دائم ، وليس فقط لإتفاق عسكري فني "

ويضيف ابا ايبان في مذكراته :

- وحملت تلك الرسالة إلى القدس ، لكن السيدة مائير قابلتها بتشاؤم واعتبرتها شيئاً لا يستحق أدني إهتمام أو مناقشة ، وسيظهر على الفور بعد أن " شاوشيسكو " كان يقرأ فكر السادات بالضبط .

◘ ◘

ولم يتسلل اليأس إلى " طاغية رومانيا " من إمكانية لعب دورما في تحقيق السلام بين العرب واسرائيل !!

كان " شاوشيسكو " واثقاً بشكل لانظير له أن هذا الحلم سيتحقق ذات يوم !

وفي ديسمبر ١٩٧٦ استقالت الوزارة التي كان يرأسها "إسحاق رابين " وعلى الفور بدأ الأستعداد للانتخابات الجديدة التي ستجرى في مايو ١٩٧٧ .

وحتي ذلك الوقت كانت أمال اسحاق رابين - كما يعترف في مذكراته - تتبلور في امكانية إتصال مباشر مع رجال الدوله المصريين .إلا أنها للأسف لم تتحقق .

ويضيف قائلا :" وأول ما ظهرت - يقصد الأتصالات - كانت عندما أبلغني بيريز موقف أحد أصدقائه القدامي وهو كارل كاهان من النمسا والذي له صلات وثيقة بالمستشار " برونو كرايسكي " .إذ اقترح كاهان بأن يحضر " بيريز " أو أنا إلى النمسا لمقابلة " حسن التهامي " وهو شخصية بارزه ، كان قد عمل كسفير لبلاده في النمسا لمدة طويلة . ووافقت على أن يقوم بيريز بالمهمة ، ولأسفنا الشديد أن

شيئا لم ينتج عنها ."

والآن نصل إلى الرئيس الروماني " شاوشيسكو " ودوره في الأعداد لما جرى بعد ذلك فيقول اسحاق رابين :

حاول الرئيس الروماني " نيكولاي شاوشيسكو " أن يمد المساعدة بأرسال أحد مستشاريه السياسيين في مهمة سرية لأسرائيل ليناقش مدى أمكانيه ترتيب مقابلة مصرية للمفاوضات المباشرة . وعندما وصل الرسول ، وصلنا إلى إتفاق ينص على أن يحاول الرئيس شاوشيسكو ترتيب مقابلة بين ممثلين مصريين وأسرائيلين وكنا نفضل أن تكون على مستوى عال ، ولكن إذا ما ثبت عدم إمكانيه الوصول إلى هذا فلتكن على أي مستوى يمكنه الوصول إليه .

ووعد الرسول الروماني بأعلامي بأسرع ما يمكن ان مجهودات رئيسية قد أتت كلها أم العكس ، ولم أسمع منه شيئا حتى يومنا هذا ."

وبعيداً عن محاولات شاوشيسكو يقول رابين بعد ذلك :

"قامت محاولات استطلاع مخففة من جانب السادات بالنسبة للزيارة التي قام بها وفد زعماء المؤتمر العالمي اليهودي لمصر ،إلا إنها لم تؤد إلى نتيجة ، بالأضافة إلى أنه لم يكن ينقصنا الوسطاء ، كما أنني لم أكن متحمساً بشأن فكرة إدخال "أطراف ثالثة" أكثر في الموضوع .إذا كنا متحمسين تماماً لمقابلة المصريين مباشرة إلا أن الرئيس السادات لم يكن مستعداً بعد لمثل هذه الخطوة .

◘ ◘

ولم يكن غائبا عن رئيس الوزراء الجديد " مناحم بيجين " الدور الهام الذي يمكن أن يلعبه شاوشيسكو !

وبعد حوالى شهر من تولي بيجين الوزاره ، كان السفير الأمريكي في تل أبيب يقيم حفل استقبال بمناسبة العيد القومي الأمريكي (٤ يوليو) وفي هذا الحفل اقترب بيجين من السفير الروماني في تل أبيب وأمسك بذراعه وقال له بصوت منخفض : ياسعادة السفير ، سوف يكون كرماً بالغاً من الرئيس شاوشيسكو أن يدعوني لزيارة

بوخارست ، وسوف أكون سعيداً بتلبية دعوته ."

ودهش السفير الروماني " جون كوفاسكو " وقال لبيجين : سوف أباشر الأمر فوراً ."

وطبقا لما جاء في كتاب " عام الحمامة " الذي كتبه ثلاثة من الصحفيين الأسرائليين (ايتان هابر وزئيف شيف وايهود يعري) فقد جرت الحوادث على النحو التالي :

" وفي شهر أغسطس ١٩٧٧ أصبحت زيارة رومانيا حقيقة واقعه ، واستقبل "بيجين " بفتور لدى وصوله إلي بوخارست وقام رئيس وزراء رومانيا رغم المناسبة التي كانت تتطلب شيئا من المجامله بانتقاد سياسة إسرائيل . واستشاط " بيجين " غضباً . فلم يكن ما قاله رئيس الوزراء " مانيامانشيسكو " ليتفق وتقاليد الضيافة . وكان رد الزعيم الأسرائيلي لذلك حاداً بعض الشئ ، كما فكر مساعدوه في تقصير أمد الزيارة التي بدأ فشلها مؤكداً ولكن الشمس سطعت مشرقة في اليوم التالي ، فقد وقف الرئيس الروماني يحي " بيجين "ويشد على يده في حرارة ، كان قد سمع بحادثة رئيس وزراءه ، وكان يرى رغم تأييده المطلق له أنه يجب القيام بمحاولة لتصليح الأنطباع السئ الذي تولد عند ضيفه "

ودعا شاوشيسكو ضيفه " بيجين " لرحلة على مياه أحدى البحيرات واستقلا اليخت "زرويلا " (أي الفجر) وتتبعتها من بعيد مجموعة من المراسلين ولم يتح لهم بطبيعة الحال أن يسمعوا كلمة واحدة من الحديث الذي دار بين الرجلين ، كان شاوشيسكو – وهوليس بالمتحدث الطلق – يتحدث عن طريق مترجم ، واستمر الحديث سبع ساعات حتى أوشكت الشمس على المغيب ، وتبادل الزعيمان طويلا ذكرياتهما عن سنوات مقاومة النازي وأخيراً وصلا إلى المواضيع السياسية .

قال مناحم بيجين لشاوشيسكو :

– أنني على أستعداد لأن أذهب إلى أي مكان ، وفي أي وقت للقاء قادة البلدان المجاورة ، أنني أود لقاء الرئيس السادات ، وأنني واثق أن ذلك سوف يكون بالغ الفائده في إقرار السلام في الشرق الأوسط .

ويقول مؤلفو كتاب " عام الحمامة " :"وكان شاوشيسكو " قد سمع تصريحات مماثلة لذلك في الماضي من " جولدا مائير " ومن زعماء إسرائيليين آخرين . وكان بيجين

يعرف أن شاوشيسكو على اتصال مباشر بالسادات وأن عليه أن يثبت صدق نواياه . وأخذ شاوشيسكو يوجه اليه أسئلة مطولة تتعلق بموافقة واتجاهاته . ولم يخف الرئيس الروماني أنه أقتنع بجدية ؛" بيجين " ولكنه مع ذلك سأله :

" وإذا وافق السادات على اللقاء الذي تقترحه ، فهل ستكون هناك تنازلات من جانبكم؟ "

وأجاب بيجين : بلا شك .

ولم يعط الرئيس الروماني لضيفه فرصه للراحة وتحدث طويلا عن ضرورة إقام دولة فلسطينية ، وعن وجوب الأنسحاب الكامل من الأراضي المحتلة ، وهي موضوعات لم يكن استعداد بيجين لمناقشتها كبيراً على الأطلاق . وأعتاد رئيس الوزراءالأسرائيلي عرض رأيه في أنه لا يوجد مكان لدوله فلسطينية ، وفي أنه ليست هناك جدوي من مناقشة إنسحاب اسرائيلي كامل .(!!)

واصل بيجين ومضيفه الجدل ، ولكن بيجين كان من وقت لآخر يلقي بجمله لم تفت أهميتها على الرئيس الروماني : سوف يكون كل شئ قابلا للمناقشة أثناء المفاوضات. وكانت النتيجة التي وصل إليها " شاوشيسكو " بعد انتهاء النزهة البحرية الطويلة هي أن ضيفه شخص عنيد وليس سهلا ، ولكنه ليس من المستحيل التفاهم معه.

وقال الرئيس الروماني لبيجين :

- في المرحلة القادمة ، يمكن أن يلتقي ممثلي السادات ، وربما أمكن إعداد لقاء شخصي بينكما في المستقبل القريب .

وتنتهي شهادة مؤلفو كتاب " عام الحمام " (وطبقا لترجمة الأستاذ ابراهيم منصور) على النحو التالي :

وكان بيجين يأمل في أن يحاول مضيفة الروماني بشكل ما اقناع السادات ،وقرر أن ينتظر.

◘ ◘

وفي كتابه الهام " الفلسطينيون من حرب آخري " يقول الكاتب الفرنسي "ايريك رولو" مندهشاً :

" ومن الغريب أن شاوشيسكو " هوالذي تمكن في النهاية من إقناع السادات بإجراء حوار مع "بيجين ". وعلى الرغم من أن الأجتماع كان عاصفاً (بين السادات وشاوشيسكو) في بعض الأحيان إلا أن الزعيم الشيوعي أكد للزعيم المصري أن رئيس الوزراء الأسرائيلي رجل " منطقي " وينبغي التفاوض معه ."

ووصل " السادات "إلي رومانيا ، وزار صديقة الحميم " شاوشيسكو "!!

ماذا جرى في زيارة الرئيس السادات إلى رومانيا ؟! وما الذي دار بينه وبين الرئيس شاوشيسكو ؟! أن أغلب الكتابتات السياسية تؤكد أن هذه الزيارة كانت وراء قرار السادات التاريخي بفكرة المبادرة !!

لكن ما دار في تلك الزيارة كان مثيراً ومدهشاً ومحيراً في بعض الآحيان !

كتب أنور السادات في مذكراته (البحث عن الذات) يقول :

عندما وصلت إلى رومانيا تحدثت مع شاوشيسكو طويلا فأخبرني عن اجتماع كان قد عقده مع مناجم بيجين رئيس وزراء إ سرائيل واستمر ثماني ساعات (ساعتين ضمن الوفود الرسمية وست ساعات بينهما على إنفراد) سألت شاوشيسكو عن انطباعاته فقال لي :أن بيجين يريد التوصل إلى حل .

قلت له : كل ما يشغلني في هذا الموضوع هو هل إسرائيل تريد السلام حقاً أم لا ؟! أنا عن نفسي أريد السلام وقد أثبت هذا بما لا يدع مجالا للشك عند أحدا لكن هل إسرائيل اليوم - وخاصة بيجين زعيم كتله ليكود المتعصبة - تريد السلام ؟! هل بيجين الذي يسلك هذا المنهج المتطرف يريد السلام ؟!

فقال شاوشيسكو لي : دعني أقرر لك أنه بالقطع يريد السلام !

ومضى أنور السادات يقول بعد ذلك في مذكراته :

" كان شاوشيسكو بالغ الثقه وأنا أثق في حكمه ، وإلى جانب هذا فهو على صلة طيبة بالاسرائيليين لم تنقطع يوماً ما ، ولذلك فحينما أكد لي أن بيجين يريد السلام وأنه "رجل قوي " كان ذلك بمثابة التأكيد على ما شعرت به أولا من الحاجة

الملحة إلى التغير.. والتغير من الجانبين . ولذلك عندما ركبت الطائرة في طريقي إلى ايران وبالذات عندما مرت الطائرة فوق تركيا وجدت ملامح المبادرة تبرز بوضوح إمامي .. كان معي في الطائرة وزير الخارجية (اسماعيل فهمي) فقط الذي لم تستطيع أعصابه تحمل المبادرة واستقال .. مسكين .

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس السادات في دمشق يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ سأله أحد الصحفيين : متى وكيف قررت هذه الرحلة ومن هو وعما إذا كان هناك أحد تحدثتم إليه بشأنها :

وقال السادات :" لم يعرف بها أحد من قبل سوى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الذي رافقني في رحلتي إلى رومانيا وايران والمملكة العربية السعودية وفور عودتي من هذه الرحلة اتخذت القرار في هذه المسألة التي كانت تختمر في ذهني طوال الوقت "

وكان من الطبيعي أن تستوقف محادثات "السادات - شاوشيسكو " الكاتب الكبير .. محمد حسنين هيكل ": في كتابه " حديث المبادراة " كتب يقول :

ومع نهاية صيف سنه ١٩٧٧ كانت الأشارات تتوالي على القاهرة من بوخارست تقول أن الرئيس الروماني تشاوشيسكو لديه ما ينقله إلى الرئيس السادات مما جرى في لقائه مع مناجم بيجين . وفي نفس الوقت كان ناحوم جولدمان دائم الطيران بين بوخارست والرباط وبدا أن عدة إقتراحات تختمر لترتيب لقاء مباشرين بيجين والسادات" .

▫ ▫

كانت قد مضت سنوات على صدور كتاب " حديث المبادرة " للأستاذ هيكل ، كان السادات لا يزال يحكم مصر ، إلى أن جرى ما جرى في خريف ١٩٨١ وكان هيكل نفسه أحد الذين شملتهم قرارات اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ ، ثم راح السادات نفسه واغتيل ظهر السادس من أكتوبر ، وبعد حوالي عام كان هيكل قد فرغ من كتابه القنبله وهو "خريف الغضب " الذي أقام الدنيا كلها في مصر والعالم العربي !!

يقول هيكل مايلي وبالحرف الواحد :

"بدأ السادات يقلق من أن استمرار تسرب الأخبار قد يؤدي إلى نسف كل مامهد له حتى الآن ، ثم قدر لزيارته إلى رومانيا يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٧٧ أن تكون زيارة حاسمة. وصل السادا ت في ذلك اليوم إلى العاصمة الرومانية بوخارست واجتمع بالرئيس شاوشيسكو الذي كان بدوره على إتصال وثيق بالحكومة الأسرائيلية . وكان شاوشيسكو على إستعداد لكي يعطي إجابات هامة وحاسمة على سؤالين محدودين طرحهما عليه السادات :

السؤال الأول : هل بيجين راغب حقيقة في السلام ؟!

السؤال الثاني : وهل بيجين يملك القوة على أن ينفذ عملية السلام ، ويفرض أي إتفاق يمكن الوصول إليه ؟!

ويؤكد الأستاذ هيكل فيما كتبه أن " رد شاوشيسكو على السؤالين بالايجاب . كان رده قاطعاً لأي شك وأي تردد ، بل واضاف شاوشيسكو أن بيجين على أساس سمعته كصقر متشدد يستطيع أن يلعب دور ديجول في الجزائر وبالتالي فأنه يستطيع أن يفرض إتفاقاً يعجز غيره من السياسيين المعروفين بالاعتدال أن يفرضوه"

أن الأستاذ هيكل هنا وفي السطور السابقه ينسب لشاوشيسكو فكرة أ ن بيجين يمكن أن يلعب دور ديجول (الزعيم الفرنسي) في الجزائر في كتاب .. حديث المبادرة ينسب العبارة ذاتها وبنفس كلماتها إلى .ناحوم جولدمان (!!)

ومع ذلك نعود لباقي شهادة هيكل في خريف الغضب حيث يقول :

"واقترح شاوشيسكو على السادات فكرة ترتيب اجتماع سري بينه وبين بيجين في بوخارست لمجرد استطلاع النوايا ، لكن السادات كان يحس أن ذلك ليس هو بالضبط ما يريده ، كان يعرف أكثر من غيره أن أي سر لا يمكن أن يبقي كذلك لمدة طويلة . وأنه إذا تسرب خبر إجتماعه سراً ببيجين ، فأن ذلك سوف يضعه في موقف ضعيف وحرج ، وفي تلك الظروف طرحت فكرة غريبة مؤداها عقد اجتماع موسع يضم رؤساء الدول الخمس الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن - الولايات

المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين- ويحضره هو وبيجين ومضي السادات أكثر من ذلك ، فاقترح أن يتم مثل هذا الاجتماع في القدس. باعتبارها مدينة السلام ، لكن هذا الاقتراح الغريب لم يجد أجنحة يحلق بها في الهواء ، ومالبث أن سقط على الأرض ، كان على السادات أن يقرر دون إبطاء موقع خطوته التالية ."

■ ■

أما شهادة وزير الخارجية السابق " اسماعيل فهمي " الذي إستقال بشكل درامي ومفاجئ فتحفل بتفاصيل أكثر إثارة وفيما بعد روى وزير الخارجية اسماعيل فهمي ما جرى أثناء زيارة السادات إلى رومانيا واجتماعه بشاوشيسكو فيقول :

- وفي اليوم التالي لوصولنا أخبرني السادات بالتفصيل عن اجتماعه بالرئيس الروماني " شاوشيسكو " فقد أرد شاوشيسكو كما أخبرني السادات أن يكون همزة وصل بين مصر واسرائيل .. وفي واقع الأمر أنه كان قد قابل بيجين ، ثم دعا السادات بعد محادثاته مع الزعيم الأسرائيلي ، وكان بيجين طبقا لكلام شاوشيسكو مصمماً بجدية على أتمام معاهدة سلام مع مصر " أن بيجين رجل قوي وجاء إذا ما رغب في العمل " هكذا ادعي شاوشيسكو ، كما أطلع بيجين الرئيس الروماني علي خطط للسلام في الشرق الأوسط بخرائط كتب جميع أسماء المدن والمساحات بالعبرية .

ثم يؤكد اسماعيل فهمي قائل :" كان واضحا أن بيجين أشار إلى استعداده لتوقيع معاهدات سلام مع البلاد العربية على أساس الاعتراف بالحدود الأمنية والمعترف بها كما طالب شاوشيسكو بالسعي لمعرفة رد فعل السادات بالنسبة إلى حل المشكلة الفلسطينية .. كانت إسرائيل تقترح خلق كيان فلسطيني صغير في مقابل ضم الضفه الغربية وقطاع غزة ضماً نهائيا إلى اسرائيلي على أن يكون الكيان الفلسطيني نفس مساحة غزة غير أنه يبدأ من حدود لبنان متجهاً نحو الجنوب موازياً للبحر الأبيض المتوسط ."" وبعد أن استمع السادات إلى هذا العرض

الاسرائيلي الغريب سأل الرئيس شاوشيسكو عما إذا كان عنده " مسطرة " حتى يستطيعا القياس على الخريطة مدى امتداد هذا الكيان الفلسطيني من جنوب الحدود اللبنانية ومقارنته بقطاع غزه "(!!)

غير أنه لم يكن عند شاوشيسكو " مسطرة " وهنا قال الرئيس السادات إننا في مصر عندما لا نجد مسطرة فأننا نستعمل قطعة من الدوبار ونحاول أن نقارن المقاييس على الخريطة .

ووفقا لرؤية اسماعيل فهمي وجد شاوشيسكو قطعة من الدوبار ، وبالمقارنة ادرك السادات أنه " .. اما أن بيجين قد جن وإما أن عرضه غير جاد .. فقد كانت المساحة المقترحة ضئيلة جداً ..

وعندما قام السادات بابلاغ اسماعيل فهمي كل هذه التفصيلات بأجمعها كان رده أن بيجين غير جاد وأن هدفه لا شك هوضم الضفة الغربية وقطاع غزة ولاحاجة لنا بمناقشة عرض بيجين مع الفلسطينين لعلمنا بأنهم سير فضونه بأكمله ."

ورغم كل ذلك فلا يزال الدور الحقيقي لديكتاتور رومانيا " شاوشيسكو " غامضا ومحيراً ويدعو للدهشة والارتياب !!



١٠

ديان فى المغرب

فى أربعة سبتمبر ١٩٧٧ وصل المغرب زائران على درجة كبيره من الأهمية والغموض والأثارة !!

كان الزائران يعرف كل منهما الآخر تمام المعرفة . وكان رأى كل منهما فى الآخر يتلخص فى كلمة واحدة أنه عدو !!

كان الزائر الأول هو « حسن التهامى » مبعوثا من الرئيس أنور السادات !

كان الزائر الثانى هو « موشى ديان » مبعوث من رئيس الوزراء الاسرائيلى « بيجن » !!

بترتيب من الملك الحسن نفسه وتحت رعايته تمت اللقاءات والحوارات العاصفه بين ديان والتهامى !!

لم تكن تلك هى المرة الأولى - حسب كلام ديان - التى يجتمع فيها الملك الحسن بأحد ممثلى الحكومة الاسرائيلية ، لكن الأمر كان مختلفا هذه المرة حيث الحكومة جديدة ويرأسها "بيجن" !

وتلقى "ديان" دعوة من الملك الحسن لزيارة المغرب ، ووافق " بيجن" على قيام ديان بالرحلة وكان الهدف الأساسى من وراء ذلك محاولة الحصول على مساعدة الملك الحسن فى ترتيب إتصالات مباشرة لإجراء مباحثات مع ممثلين مصريين !!

ماذا جرى فى المغرب بالضبط ؟!

ما هى رواية أبطال تلك اللقاءات عما جرى تحت سماء المغرب وتحت علم وسمع

وبصر جلالة الملك الحسن نفسه؟!

◘ ◘

نبدأ مع " موشى ديان " الذى كتب يصف ما جرى وقتها على النحو التالى :

فى الساعة الثامنة والنصف مساء عقدت اول اجتماع مع الملك الحسن ادخلونى الى مجلسه لاجراء مباحثات معه على انفراد استغرقت ساعة ونصف. وانضم الينا بعد ذلك مساعدونا وجلسنا لتناول الطعام ، كانت وليمة رائعة لشيف واحد ، وانفردنا نحن الاسرائيليين بها ، ذلك ان المغاربة كانوا قد افطروا عند غروب الشمس بعد صيام طوال النهار الأمر الذى قلل من شهيتهم للطعام . وعلى الرغم من وجود الملك وربما بسببه ، كان الحديث تلقائيا وبلا رسميات ، بعيدا عن قيود البروتوكول ، وأن لم يكن صريحا تماما .

كان يفوقه فى الصراحة ذلك الاجتماع الذى عقد قبل الغداء عندما كنا وحدنا دون مترجم كان الملك صريحا ودودا ، بليغا ومباشرا . وعلى الرغم من اننى لم افصح عما يجول بخاطرى فانه أحس على ما يبدو بأنه من الضرورى وباعتباره مضيفا لممثل رسمى من حكومة اسرائيل أن يوضح موقفه الخاص والمشاكل التى ستواجهه كوسيط بيننا وبين العرب .وقد بدأ الملك حديثه ، وربما ليشعرنى بمزيد من الراحة، بهذه الملاحظة " لو ان احدا علم بوجودك هنا ، فان عرشى لن يسقط ، ففى المغرب توجد جالية يهودية كبيرة . اننى محبوب لدى اليهود وهم بالنسبة لى يدينون بالولاء كمواطنين مغاربة . اننى اتحدث بصراحة فى اتصالاتى مع اليهود ورغبتى الملحة فى اقرار السلام بين الدول العربية واسرائيل " .

واعتقد الملك كذلك انه من الضرورى ان يعتذر عن غياب وزير خارجيته الذى كان فى القاهرة لحضور اجتماع وزراء الخارجية العرب . وفى نفس الوقت اكد الملك عندما تحول الحديث الى حرب يوم اكتوبر ١٩٧٣ على ان اللواء المغربى حارب جنبا الى جنب مع السوريين ضدنا فى مرتفعات الجولان وانه يخاطر مخاطرة كبيرة عندما يجتمع باعضاء من الحكومة الاسرائيلية ..

ولم يكن واضحا بالنسبة لى ، سبب بذل الملك المساعى لاقرار السلام ذلك لأنه اولا

وقبل كل شيء ، لم تكن هناك أية مواجهة بين دولته وبيننا . وقد ترك الملك لدى الانطباع بانه خير بطبيعته وعلى الرغم من ان الملك تلقى تعليمه فى الغرب ، إلا انه على دراية تامة بشئون العالم العربى .

ولم يستلزم الامر جهدا من جانبى لاثارة الموضوع الذى جئت من أجله فبعد أن أدلى الملك بملاحظاته التمهيدية قال انه يتطلع لاجتماعنا حتى يتسنى له الاستماع لآرائى الحاسمة والهامة فى الشرق الأوسط وسألنى : " كيف يمكننا تحقيق السلام ؟ " قلت له : أن لدينا مشكلات مع المجموعات العربية التى تختلف فيما بينها فى معالجتها للأمر ، فهناك السوريون ، على سبيل المثال ، وكنت أرى الرئيس الاسد نظرا لما يتسم به من راديكالية ، لا يرغب من أعماقه فى إقرار السلام مع إسرائيل، كذلك فانه لا يرغب فى رؤية العلم الاسرائيلى يرفرف فوق سفارة اسرائيلية فى دمشق .

وافضت بنا تلك النقطة الى الموضوع الرئيسى للمنطقة فأوضحت للملك ان هناك مشكلتين متناقضتين ، فمن ناحية .. ما من دولة عربية تود اقرار السلام معنا بمفردها، أى بدون سائر الدول العربية الاخرى ، وحتى اذا امكن ايجاد حل ملائم ، على سبيل المثال، للمشاكل القائمة بيننا وبين مصر ، فإن مصر لن تكون على استعداد لتوقيع سلام منفرد . ومن ناحية اخرى فان إقرار سلام شامل فى منطقة الشرق الأوسط بأسرها من التعقيد بحيث يتعذر ترتيب سلام مع كافة الدول العربية . ومن ثم فاننا ندور فى حلقة مفرغة . وقلت للملك : اننى ارى بوسعنا كسر هذه الحلقة اذا ما أبرمنا اتفاقية مع بعض الدول العربية ربما ليس بشكل علنى فى البداية وبدون ان يتم تبادل سفراء ، ثم السعى شيئا فشيئا للتغلب على المشاكل واحدة تلو الاخرى الى ان نصل الى إبرام معاهدات سلام شاملة على أن تكون هذه الخطوة الأولى فى شكل اتفاق جنتلمان يصحبه تبادل للرسائل مع الامريكيين ، ومن شأن هذه الرسائل الموجهة الى رئيس الولايات المتحدة ، الزام الاطراف بتنفيذ الاتفاق فيما بينها .

وأعرب الملك عن رأيه فى أن الفكرة تنطوى على احتمالات عملية غير اننى شعرت بان الأهم من ذلك بصفة خاصة هو ما وعد به من بذل كل ما فى وسعه لترتيب

اجتماع بيننا وبين ممثل مصرى .

أبرقنا الى الملك الحسن بهذا المعنى : أن يتم اللقاء بين رئيس وزراء اسرائيل والرئيس المصرى ، غير أن المصريين أعلنوا حينذاك انهم يفضلون ان يتم اللقاء على المستوى الاقل . وتم الاتفاق على أن يكون اللقاء مع نائب رئيس الوزراء المصرى مساء السادس عشر من سبتمبر فى المغرب .. حتى يتسنى ان أواصل من هناك السفر الى واشنطن حيث كان قد تقرر من قبل اجراء مباحثات مع وزراة الخارجية .

غادرت اسرائيل قبل موعد اللقاء بيوم ، كانت معى زوجتى راحيل ومسئولون من وزارة الخارجية ، وسافرنا الى بروكسل .. والتقيت بممثلى الجالية اليهودية ، ثم تشاورت بعد ذلك مع سفرائنا فى العواصم الأوروبية . وفى صباح اليوم التالى تناولت طعام الافطار مع وزير خارجية بلجيكا ، ثم قمت بزيارة للجنرال الكسندر هيج قائد قوات الناتو { منظمة حلف شمال الاطلنطى } وهو صديق قديم لى ، وكنا قد التقينا اول مرة عام ١٩٦٦ عندما امضيت شهرا فى فيتنام . كان فى ذلك الحين قائدا لكتيبته ، وقمت بزيارة لوحدته وكنا نلتقى فى اوروبا من وقت لآخر لتبادل الآراء حول الاحداث السياسية والعسكرية الراهنة وهو نفس ما حدث الآن . كان هيج يود التعرف على طابع حكومة بيجين واحتمالات اقرار السلام مع العرب فقلت له : اننى متفائل بالنسبة لمصر. واعتقد ان السادات يؤثر السلام الآن على خوض غمار حرب اخرى . "

□ □

ومضى " ديان " يقول فى مذكراته :

غادرت مكتب هيج للمثول امام كاميرات التليفزيون لاجراء احاديث صحفية مع مراسلين من بلجيكا وفرنسا ، ثم اتجهت مع راحيل وبقية المجموعة الى المطار حيث قمت بعملية مراوغة . ففى حين واصلوا رحلتهم بالطائرة الى نيويورك ، اتجهت سيارتى الى شارع جانبى وتوجهنا الى احد المنازل ، وهنالك تنكرت كالمعتاد بالشعر والشارب المستعارين والنظارة الشمسية ، وخرجت من باب خلفى حيث كانت فى انتظارى سيارة أخرى ، اقلتنى بدورها الى عربة اخرى ، وبعد تنقلنا بين السيارات انطلقنا الى باريس.

ووصلنا باريس ، وكان اصدقاؤنا المغاربة فى إنتظارنا ، رافقونا الى طائرتهم . وجلست فى مقعدى المعتاد ، واقلعت بنا الطائرة فى رحلة استغرقت ثلاث ساعات . ولم تكن وجهتنا هذه المرة مدينة فاس وانما الى الرباط وهناك نزلت فى دار الضيافة الملحقة بالقصر الملكى وهى فسيحة مقامة على الطراز الشرقى من الأرض الى السقف . وكان الحمام الكبير الوردى اللون مزود بمناشف منسقة الألوان . والدواليب والارفف مكدسة بمجموعة متنوعة من الكولونيا وزجاجات العطر والكريمات . وغرفة النوم لم يكن ينقصها كذلك اى شيء { سوى الكتب والصحف وأدوات الكتابة التى لم يكن لها اثر على الاطلاق } كانت الموائد فى الغرفة مليئة بانواع شتى من البونبون والكعك والفاكهة البديعة اللون الذكية الرائحة .

وحلقت ذقنى واخذت حماما وتنكرت كالمعتاد . ومضيت لانضم الى مساعدى فى احدى قاعات الاستقبال فى القصر الملكى . وكان قد تحدد موعد اللقاء فى الساعة الثامنة مساء ، غير انه تأجل لبضع دقائق لأن الدكتور حسن التهامى نائب رئيس الوزراء المصرى كان يود اجراء حديث مع الملك على انفراد قبل الاجتماع بنا . وامتدت الدقائق القليلة الى ساعة ، توجهنا بعدها الى قاعة ملكية اخرى حيث يعقد الاجتماع ويتم تناول العشاء ، وهناك انسحبت الى غرفة جانبية حيث تخلصت من قناعى ووضعت اللصوق على عينى وتنفست الصعداء . دخلت قاعة الاجتماع لاجد نفسى فى صحبة الملك والدكتور التهامى ومجموعة بارزة من كبار الشخصيات المغربيه ، لم يكن معى سوى اسرائيلى واحد هو حلقة الاتصال مع المغرب .

استقبلنى الملك بحرارة . وبعد تبادل التحيات . قدمت له سيفا كنعانيا و حربة من البرونز . وكلاهما من الألف الثانية قبل الميلاد . فاخذ الملك يتفحصها . فاشرت خلال ذلك الى انه قبل اختراع الفانتوم والميج كانت هذه الاسلحة تستخدم فى قهر الامبراطوريات وأن الاسرائيليين اختصوا بهذه الاسلحة . منذ قرابة الاربعين عاما ، وعقب خروجهم من مصر . مملكة كنعان والدول المجاورة فى اواخر الثلاثينيات وأوائل القرن الثانى قبل الميلاد . وشكرنى الملك وابدى ملاحظة تلائم المناسبة إذ قال هذه الاسلحة تذكرنا بالحروب الماضية . اما الآن فقد حان الوقت لاقرار السلام .

◘ ◘

ويضيف " ديان " قائلا :

قدمنى الملك رسميا الى الدكتور التهامى .. وكان يبدو ذا شخصية مؤثرة بلحية فضية مهذبة تناقض تحمسه وغليانه . وكان مظهره ينم عن الثقة بالنفس والنفوذ . ويستخدم لهجة تتسم احيانا بالعدوانية احيانا ، كما لو كان يرد على اهانة لحقت به . قال: انه يحمل رسالة من الرئيس السادات يود ان يتلوها على . وقرأها فى لهجة واضحة ومحددة . وكانت تتضمن الشروط الكاملة لمشروع السلام المصرى وانهى الرسالة بتصريح مفاجىء اعاده من قبيل التأكيد : " هذه شروطنا ". ولنا أن نقبلها او نرفضها وليس هناك مجال لأية مساومة ، ولم اقل شيئا .

تم تأجيل المناقشة الى عشاء عمل ، استغرق اربع ساعات وانتهى فى الساعة الثانية صباحا . استأذن الملك خلال المباحثات ، متذرعا بزيارة والدته وتركنا بمفردنا . اصبح بمقدورنا تبادل احاديث غير رسمية ، وخفف التهامى من موقفه المتشدد بشكل واضح عندما بدأت فى توجيه الاسئلة اليه . ونما لدى الانطباع بان التهامى يهتم يقينا باقرار السلام . ومن ناحية اخرى فقد ابدى التهامى تحفظا شخصيا على ما يحدث فى الأراضى التى نديرها فى الضفة الغربية وقطاع غزة . واسلوب التعايش السلمى بين اليهود و العرب فى القدس وكان يطفى على حديثه مبدأ واحدا يسترشد به : ألا وهو اقرار السلام مقابل انسحابنا التام من الاراضى التى تم احتلالها فى حرب الايام الستة . وانه لا بد من ان تكون السيادة العربية مطلقة . وان يرفرف العلم العربى على هذه المناطق بما فيها القدس الشرقية . واكد على مدى خطورة الخطوة التى اقدموا عليها الآن - أى عقد اجتماع عربى اسرائيلى مباشر - وأضاف ان السادات وحسنى مبارك نائب الرئيس هما الوحيدان اللذان يعلمان بهذا الاجتماع . وشدد على اهمية التزام السرية . بل ذهب الى انه حتى الامريكيين لا ينبغى ان يعلموا بنبأ هذا الاجتماع . فان حياته متوقفة على بقاء الأمر سرا .

وأيا كان الأمر فقد احسست أن طلبه بالتزام السرية يرجع الى عقدة نفسية فقد كان الاجتماع بممثل رسمى من الحكومة الاسرائيلية لبحث إقرار السلام بمثابة صدمة نفسية له . وعندما كنت استمع اليه واراقب تعبيراته اجدها تعكس بشكل واضح

الاعتزاز بالكرامة المصرية .

وقال لي انه خدم في الجيش في وحدة كوماندو . وكان من الواضح انه لا يستطيع بأي حال من الاحوال ان يتقبل فكرة أن المصريين البالغ عددهم اربعين مليون نسمة . مع سوريا والأردن وغيرها من دول عربية اخرى تهزمهم اسرائيل التى لا يتجاوز تعداد سكانها ثلاثة ملايين يهودى ، معظمهم من المهاجرين .

ومن ثم فقد ارجع هزيمة العرب فى حروبهم مع إسرائيل الى تفسير بسيط . ففى حملة سيناء فى عام ١٩٥٦ وحرب الايام الستة فى عام ١٩٦٧ . غرر الرئيس المصرى ناصر بشعبه . وجلب على بلاده العار متعمداً . أما بالنسبة لحرب يوم اكتوبر فى عام ١٩٧٣ . بعد وفاة ناصر ، فقد أرجع السبب الى أن الدول الكبرى حالت دون تقدم الجيش المصرى ، فأشرت الى سجلات قواتنا الجوية المنافسة . فقد أسفرت المعارك الجوية عن نسبة الـ ٥٠ الى ١ لصالح اسرائيل . ولم تتمكن طائرة مصرية واحدة من عبور المجال الجوى الاسرائيلى . فى حين كان طيارونا يحلقون فوق الاجواء المصرية متى أرادوا ذلك وقال لى شقيقه الطيار الذي لقى مصرعه فى حرب اكتوبر .

وانضم الينا الملك خلال هذا الحديث الخاص ، وحاول مساعدوه ان يقدموا يد العون بوجه عام . وحثوا التهامى على ألا يكون متشددا ، وكان بوسعه ان يدرك يقينا ان أحدا لا يستطيع التحدث مع اسدائيلى عن السلام بصيغة الأمر أو بشروط مسبقة . وقالا له ان ضمانات أمن اسرائيل ووجودها ذاته يتمثل فى الأراضى التى تحتلها . فكيف ينتظر منها التخلى عنها دون الحصول على سبيل التمهيد .

استهل الملك حديثه بأن قدم الدكتور التهامى بوصفه رجلا يحظى بثقة الرئيس الكاملة، وان دافعه هدف نبيل هو إقرار السلام وانه قدم لاجراء مباحثات سرية وخاصة لتحقيق هذه الغاية . الأمر الذى من شأنه أن يؤدى الى بداية عهد جديد من الاتصالات المباشرة بين الطرفين يتسنى من خلاله ايضاح كافة النقاط المتعلقة بإتفاقية السلام . وقال: انه بعد ان يتم التوصل الى اتفاق بشأن المسائل الاساسية . يمكن للطرفين ان يطرحا مقترحاتهم كتابة على الولايات المتحدة بدافع من إحترامهما للحكومة الامريكية ؟ وحتى يبدو الأمر كما لو ان امريكا هى التى قامت بالترتيب

للتوصل الى اتفاق بين العرب واسرائيل وانه متى تم تسوية المشكلة الرئيسية ألا وهى الانسحاب من الأراضى فانه لن يتعذر ايجاد حلول مناسبة لمعظم المسائل الملحة الاخرى بما فى ذلك اقامة علاقات كاملة وطبيعية بين اسرائيل وجيرانها العرب .

وأستطرد الملك ان هذه الاتصالات المباشرة تعد غاية فى الاهمية . وانه لا يمكن التوصل الى اتفاق الامن خلال اجتماعات عمل منظمة تتم على اعلى المستويات من الان فصاعدا . وان الامر متروك لي وللتهامى للتمهيد لاجراء مباحثات بين بيجين والسادات. واشار على الملك بالتزام السرية وعدم اصطحاب مزيد من المساعدين عند المجيء لحضور الاجتماع القادم .

وقال الملك ان اهم المشاكل تتمثل فى عودة الأراضى لسيادة اصحابها . واضاف موجها حديثه الى التهامى أن هذه الأراضى التى تحت سيطرة اسرائيل فى الوقت الراهن هى الضمانات الاكيدة لأمن اسرائيل . ومن ثم فلابد من السعى لايجاد ضمانات بديلة عن طريق الاتفاق المتبادل ، وكذلك لابد من ايجاد حل مقبول لمسألة القدس التى تقدسها الديانتان حتى لا تشكل هذه المشكلة عقبة فى سبيل اقرار السلام .

وقال الملك اما بالنسبة للمسألة الفلسطينية . وهى اكثر المسائل تعقيدا فانه يتفق معى فى الرأى على أن الفلسطينيين يشكلون خطرا يتهدد مركز الملك حسين فى الأردن . وبالتالى لابد من معالجة هذه المشكلة وايجاد حل لها بطريقة معقولة ويتعين على الدول العربية تحمل مسئولية جماعية ازاء الفلسطينيين و الاشراف عليهم واتخاذ إحراءات أمنية ترضى اسرائيل . فالمشكلة الفلسطينية تعتبر فى المقام الأول مشكلة عربية اساسا ومن ثم فلا بد للدول العربية من بحثها وايجاد حل لها ولايقع ذلك على عاتق اسرائيل او الولايات المتحدة .

وقال الملك : ان الرئيس السورى الاسد سيقتنع فى نهاية الامر بالانضمام الى مساعى اقرار السلام رغم تصريحاته المعادية لاسرائيل التى تتسم بالتطرف غير ان ذلك لن يتأتى إلا بعد ابرام معاهدة سلام مع الرئيس المصرى السادات .

وتحدث التهامى الذى عرض الموقف المصرى فكان يتحدث فى انفعال وهو ينتقى كلماته باللغة الانجليزية البليغة فقال : انه يشعر بعميق الارتياح من اجتماعه بى

هنا فى ضيافة الملك المغربى - وانه كان يعتقد منذ امد بعيد اننا سنلتقى فى يوم ماسواء كان ذلك فى ميدان المعركة او فى ظروف هزيمة سياسية { وقد اتضحت لى هذه العبارة الغامضة عندما اجتمعنا على انفراد فقد كان يعنى أن تلحق الهزيمة باسرائيل } ومع ذلك فاننا نجتمع سياسيا من اجل السلام بفضل مساعى وجهود الملك والثقة التى وضعها السادات فى بيجن وفى . وقال اننا زعماء اقوياء ونتسم بالجرأة وان السادات على ثقة من ان لدينا من الجرأة ما يكفى لاتخاذ قرارات مصيرية من أجل إقرار سلام كامل وعادل . وكان السادات لا يثق فى الحكومات الاسرائيلية السابقة إلا انه يثق فينا.

وقال التهامى إن السادات جاد تماما فى سعيه من اجل السلام . ومن ثم فلنبحث معا كيف نعمل على تحقيقه . غير أنه ينبغى أن يظل الأمر سر بيننا دون اطلاع الولايات المتحدة عليه . على ان نطالعها فيما بعد عندما يتسنى لنا التوصل الى اتفاق . وأضاف ان السادات يرى ان الوقت قد حان لبحث كافة التفاصيل . وكان الرئيس الرومانى نيكولاى شاوسيسكو قد اقترح من قبل ان يلتقى السادات مع بيجين . غير ان السادات لم يكن يعتقد حينذاك ان شيئا سيسفر عن هذا الاجتماع . ولكنه غير رأيه الآن . بفضل وساطة ملك المغرب وثقته فى حكومة بيجين . وافق السادات على اجراء حوار معنا ، بعد ان وافق بيجين من حيث المبدأ على الانسحاب التام من الأراضى التى نديرها . فان السادات اصبح على استعداد للاجتماع ببيجين ومصافحته. ان انسحاب اسرائيل هو المشكلة الرئيسية ، ويعتبر حلها مفتاح اقرار السلام ذلك لأنها تنطوى على مسألة السيادة والشرف القومى وعلى استمرار السادات فى الحكم واذا ما ظلت هذه المشكلة دون حل ، فقد تؤدى الى حالة من الجمود ، ولكن اذا ما كان بيجين على استعداد لقبول الأمر من حيث المبدأ فانه سيصبح فى الامكان عندئذ التفاوض بشأن كافة المسائل الهامة الأخرى. بما فى ذلك ايجاد ضمانات لأمن اسرائيل مقابل الانسحاب .

وقال التهامى فى معرض الاشارة الى الخطر الناجم عن المتطرفين الفلسطينيين ، انهم سيصبحون قوة فعالة لو لم تتحق آمالهم القومية ، وانهم سيمهدون السبيل لتغلغل سوفيتى جديد فى المنطقة . غير انه متى تسنى حصولهم على " وطن " . (

وهى الكلمة التى استخدمها التهامى) فان الدول العربية كفيلة الى حد بعيد بالسيطرة عليهم . وانه فى استطاعة الأردن ومصر مواجهة التأثير الشيوعى على الفلسطينيين، تماما مثلما حدث بالنسبة لمصر . واضاف ان المصريين فى مساعيهم من اجل إقرار السلام لا يريدون اتصالا مع روسيا السوفيتية ، بل مع الولايات المتحدة .

وعند تحديد الأراضى قال التهامى انه يمكن ضم المنطقة الفلسطينية الواقعة غرب نهر الأردن (الضفة الغربية) الى المملكة الأردنية ، فى حين تسيطر العربية السعودية ومصر معا على المتطرفين الفلسطينيين ، بينما يظل الملك حسين على عرشه . وباستطاعة مصر ضمان عدم تعرضنا لمتاعب من جانب الفلسطينيين فى قطاع غزة.وتستطيع مصر ذلك دون ممارسة حكم مباشر على القطاع .

وقال التهامى :" ان مطلبنا الوحيد هو الثقة بكلمة السادات ، لأنه يحترم كافة التزاماته وتعهداته لأنه رجل مبادىء وشرف ونبل ، واذا ما عرضتم عليه صيغة يمكن ان يقبلها ، فانه سيمضى معكم حتى النهاية ، ذلك لانه تربطنا معا مصالح حيوية مشتركة".

واضاف التهامى ان السادات مستعد لأن يناقش معنا كافة الضمانات الممكنة ، فاذا ما أردنا مرابطة قوات دولية على جانبى الحدود ، فلكم ما تريدون . واذا ما أردنا ضمانات من الولايات المتحدة او الاتحاد السوفيتى فأن مصر ليس لديها اعتراض على ذلك . رغم انه من " الافضل تجنب الاخير والحصول على ضمانات امنية من امريكا وحدها ".

ثم اقترح التهامى : ان يتم اجراء المفاوضات والتوصل الى اتفاق على كل ما يعنينا فى المغرب ، بمساعدة الملك ، وذلك قبل انعقاد مؤتمر جينيف ثم يكون الذهاب الى جينيف لمجرد التوقيع . وقال : ان من شأن هذا الاتفاق ان يترك اثره على الرئيس السورى الاسد ، وبطبيعة الحال فانه سيعارض مثل هذا الاتفاق فى البداية ، ولكن بعد انضمام الملك حسين الينا ، لن يلبث الأسد ان يشاركنا عملية السلام .

واقترح التهامى : ان يضع كل منا وثيقة للسلام ويعرضها على الولايات المتحدة ، ثم يقوم بدراستها بعناية ونلتقى مرة اخرى لمناقشتها وذلك فى حالة ماذا وافق

بيجين من حيث المبدأ على الانسحاب مقابل اقرار السلام بين شعبينا . والافإن كافة النوايا المخلصة لديهم سيكون مآلها الفشل لأن الموافقة على الانسحاب هى المفتاح الوحيد الذى سيفتح الابواب لمستقبل اكثر اشراقا.

وقال ان الاجتماع القادم ينبغى ان يكون مبثابة جلسة عمل بيننا ، الأمر الذى يتم عند بداية علاقاتنا الرسمية .. وان علاقة تقوم على اساس السلام التام لابد وأن تنمو شيئا فشيئا وقد تستغرق ثلاثة أو أربعة أو خمسة أعوام (وعند هذا الحد تدخل الملك قائلا: "لك ان تقوم" فترة معينة .) وانه يتعين علينا الاهتمام بإبرام صفقة شاملة مع تذليل كافة العقبات وليس بترتيب جزئى (فى الخفاء) بعيدا عن جينيف ، بين الجانبين

وأثار التهامى عدة نقاط اخرى ، كانت القدس إحداها . المدينة المقدسة التى تعد مسألة هامة . قال : إنه يجب علينا إعداد مشروع بناء يرضى المشاعر الدينية للدول العربية . فان ايجاد حل يتسم بالتعاطف من جانبنا لهذه المشكلة سيكون بمثابة الدليل على صدق نوايانا . وان من شأن التوصل الى اقتراح مقبول فى هذا الشأن التخفيف من مشاعر القلق العربية وامتصاص العداء العربى .

وعاد التهامى يتحدث عما اسماه بالمشكلة الرئيسية ألا وهى مشكلة الأراضى المحتلة . فنقل عن السادات قوله انه : " جندى تعرضت أرضه للغزو" وان السادات يريد السلام دون الاستسلام . وعندما يتلقى كلمة من بيجين تفيد موافقة اسرائيل على الانسحاب من الأراضى التى تم الاستيلاء عليها . فان السادات سيسترد شرطه . الأمر الذى سوف يمكنه من اجراء مفاوضات بشأن المسائل الاخرى . لأن السادات يرى ان سيادة أراضيه امر لا يقبل النقاش .

وعلى الرغم من ان السادات لن يوقع معاهدة سلام نهائية بمفرده . دون اشتراك اصدقاءه ، فانه كان على إقتناع بان التوفيق سيحالفه فى إقناع الأردن وسوريا لتحذو حذوه، الأمر الذى ينطوى على ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية . وربما أمكن تسوية هذه المشكلة بمقتضى اتفاق جماعى للدول العربية . غير ان هذا الأمر سيتم بحثه فى الوقت المناسب . وكذلك الحال بالنسبة لمسألة المستوطنات اليهودية المقامة فى الأراضى التى ستؤول للسيادة المصرية .

واقترح التهامى فى ختام حديثه ان نلتقى فى المغرب مرة اخرى بعد دراسة الوثيقتين، على أن أحمل معى رد بيجين على طلب السادات ، واعرب عن اعتقاده ان يتم اللقاء فى غضون اسبوعين » .

◘ ◘

وحسب ما سجله « ديان » فى مذكراته فقد قال :

جاء دورى فى الحديث . كان الوقت متأخرا ، حاولت ان اتحدث فى ايجاز فقلت لهم : ان مهمتى الاساسية تنحصر فى ان انقل لبيجين رئيس الوزراء ما سمعته هذا المساء . وقلت اننى اقدر تماما اهمية اجتماعنا . واننى ادركت من كل ما سمعته ان ما يتم الاتفاق عليه هنا ستوافق عليه الدول العربية الاخرى . واكدت على اننى مجرد رسول لبيجين . ومن ثم لايحق لى الرد على النقاط التى أثيرت دون تعليمات منه . ورغم ذلك فقد كان من الضرورى ان أستوضح موقفه .

كان ينبغى لى أن أفهم من التهامى ما إذا كان طلب السادات بالتزام بيجين الانسحاب من الاراضى يعد شرطا مسبقا لاجراء مناقشات فيما بعد ام انه مجرد دليل يسترشد به بيجين فى الاجتماعات المقبلة التى ستعقد فى المغرب ؟ كذلك كان لابد لى من معرفة ما اذا كانت مصر توافق على عقد الاجتماعات على اعلى مستوى اى بين بيجين والسادات ، حتى لو رفض بيجين الانسحاب التام .

وتوقفت برهة انتظارا للرد .. وتوتر الجو وعندما قال التهامى ان ما نطلبه من بيجين هو التزام محدد بالانسحاب من الأراضى تدخل الملك فى المناقشة قائلا : « اسمح لى ان اصحح ما قاله صديقى » . ثم اشار الى ملاحظة التهامى عن مصافحة السادات فقال : « ما أعرفه من طريقة تفكير السادات ، وبعد محادثاته معى ، فاننى اعد بشرفى ان السادات سيجتمع مع بيجين ويصافحه اذا ما استطاع بيجين ان يلتزم شخصيا بان يكون اساس المباحثات الثنائية هو انسحاب اسرائيل من الأراضى .

قلت بعد هذا الرد ان كل ما يقترحه بيجين انما يتطلب موافقة الكنيست فما من رئيس وزراء لاسرائيل يستطيع ان يتخذ مثل هذا القرار الحاسم دون موافقة

الكنيست . هذا ما يفرضه نظامنا الديمقراطي . وضربت مثلا على ذلك برفض الحكومة الاسرائيلية قبول شرط مصر المسبق بالانسحاب خلال فترة الوساطة التى كان يقوم بها جونار يارنج .

وأردت إستيضاح موضوع آخر وهو ما إذا كان المصريون يرغبون فى أن يقوم بمناقشة الموضوعات الرئيسية ممثلون مثل التهامي ومثلى أم أنه سيكون من الاحرى ان يتم ذلك فى اجتماع علي اعلى المستويات وجها لوجه فى صراحة يمكن لهما من خلال الاتفاق على المبادئ التى ستحكم المناقشات بين ممثلين على مستوى اقل .

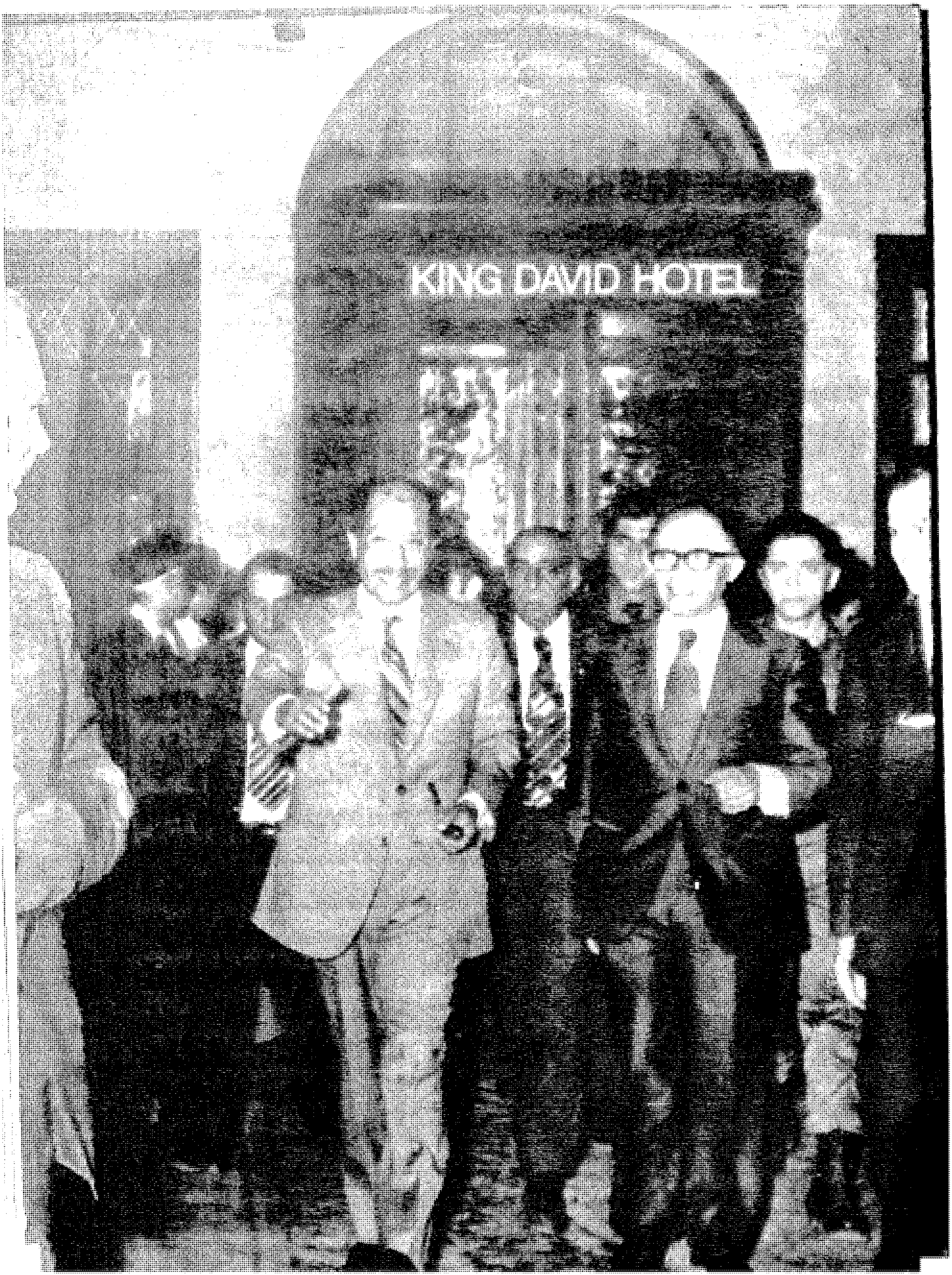
اتجهت الى التهامي وقلت له : اننى اثق تماما بكلمته مثلما يثق الرئيس السادات فى زعمائنا . اننى سأعتبر أى إتفاق جنتلمان معه بمثابة التزام مكتوب الأمر الذى لا ينطبق على بعض خصومنا الأخرين . اما بالنسبة للمسألة الرئيسية وهى الانسحاب من الأراضى . فلا استطع القول بأن بيجين يسيتجيب لطلبه . فربما إستجاب وربما رفض . غير أنه من المؤكد أنه يود - دون الالتزام باى شيء - عقد اجتماع على أعلى مستوى لمناقشة موضوع السلام الشامل . وأضفت موجها حديثى الى التهامى اننى اقول ذلك . رغم ما اظنه ان السادات يريد التزام بيجين بالانسحاب من الأراضى ، كشرط لمناقشة كافة المسائل الاخرى . إن الانسحاب ليس بالأمر الهين . فعلى امتداد تسعة عشر عاما قبل حرب الايام الستة من عام ١٩٦٧ . ومراكزنا الآهلة بالسكان تتعرض لهجوم من الجبال فما الذى يضمن عدم حدوث ذلك مرة اخرى ؟ وكيف يتسنى لنا ضمان حرية الملاحة عبر مياه البحر الاحمر ؟ وربما وجدنا الحلول معا . لدينا بعض الحقوق المعترف بها فى الأراضى ، ولكن كيف يكون عليه وضع كهذه الأراضى متى خضعت لسيادة الدول العربية ؟ وماذا عن مستوطناتنا فى مرتفعات الجولان ؟ وماذا عن الحائط الغربى والحى اليهودى فى المدينة القديمة ، وجبل الزيتون والجامعة العربية على جبل المكبر ؟ وماذا عن المراكز السكانية الجديدة فى الجنوب اى فى سيناء و، اذا ما انسحبنا منها ؟ وهل ستتاح لهم الاقامة كغرباء فى ظل السيادة العربية ؟ لابد من إيجاد حلول مرضية لكل هذه المسائل .

أشرت الى نقطة أخرى وهى إصرار التهامي على الجلاء عن كافة الاراضى التى تم احتلالها فى حرب ١٩٦٧ . بما فى ذلك تلك التى كانت تحكمها من قبل سوريا

والأردن. وانه لابد من التوصل الى اتفاق لاقرار السلام مع مجموعة الدول العربية التى يقوم بيننا وبينها صراع عسكرى فقلت انه لم يحدث ان شهد التاريخ مثل هذا على الاطلاق . ان تقوم مجموعة بتوقيع اتفاقية سلام جماعية . ان المجموعة لم تشن علينا حربا . وانما قامت بشن الحرب دول عربية منفردة ، وانه لا بد من معالجة الامر مع كل منها على حدا . وفقا لما تنص عليه القوانين الدولية المتعارف عليها وما عدا ذلك لن يكون مقبولا ولا عمليا . فضلا عن ان قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ تحدث عن دول متعددة وذكرها بالاسم . وأن هذا القرار لم يشر الى « مجموعة الدول العربية » بل انه حتى لم يشر الى الفلسطينيين كطرف فى معاهدة السلام .

وعندما تحدث عن الفلسطينيين . لفت النظر الى شعاراتهم ، والى تلك التصريحات التى يدلى بها الرئيس السورى من« عودة كافة الفلسطينيين الى ديارهم » .. وما الذى يمكن أن يحدث اذا ما عادوا حقاً ؟ انهم لن يقنعوا بالاقامة فى مناطق محدودة نسبيا من الضفة الغربية وقطاع غزة . وليس هناك متسع ولا عمل لهم . انهم سيتدفقون على اسرائيل . الأمر الذى من شأنه ان يفضى الى كارثة ديموغرافية بالنسبة لنا . لابد من ايجاد حل آخر . لابد من توطينهم فى اماكن اخرى .

وقلت فى ختام حديثى انه رغم صعوبة المشاكل وتعقيدها فاننى على يقين من امكانية ايجاد حلول لها بالتفاوض مع مصر ومع الأردن . اما بالنسبة لسوريا فانى اشك فى ذلك واعتقد ان المشكلات المتعلقة بالديانات فى القدس ستحل بما يرضى كافة الاطراف دون عناء شديد . ويسرى هذا على منطقة الجنوب والبحر الاحمر بالنسبة لمصر . وكنت ارى ايضا ان بوسعنا التوصل الى تسوية لكافة المسائل بين اسرائيل وملك الاردن ، رغم عدم وجود دولة فلسطينية ذات سيادة واعربت للتهامى عن اعتقادى الراسخ بان بوسعنا التوصل الى ترتيب مناسب مع مصر . وباننا نثق فى السادات . ولا نثق فى الرئيس السورى . ومن ثم فاننا سنبدأ فى اجراء مناقشات جادة فورية حول المسائل المتعلقة باسرائيل ومصر وقبلت اقتراحه بتبادل الوثائق الخاصة بمقترحات السلام لدراستها فى اقرب وقت ممكن حتى يتسنى لنا الالتقاء مرة اخرى فى غضون اسبوعين . فقد كان بوسعى التوقف فى المغرب فى طريق عودتى الى اسرائيل قادما من الولايات المتحدة فى نهاية هذا الشهر .


KING DAVID HOTEL

وبفضل جهود الملك . اتفقت مع التهامى على التحركات الثلاثية التالية :

١- ان يقوم كل جانب بابلاغ رئيس حكومته للحصول على موافقته على استمرار اللقاءات بيننا . وكان على ان انقل لبيجين طلب السادات التزام اسرائيل بالانسحاب من الأراضى كشرط سابق لاستمرار المباحثات .

٢- ان يتم تبادل وثيقة السلام التى يقدمها الجانبان . ويدرسها الجانب الآخر ، وتعرض على الولايات المتحدة .

٣- اذا ما وافق الرئيسان على هذه المقترحات ، فسيتم اللقاء التالى فى المغرب خلال اسبوعين .

وعلى الرغم من انهما كان يدركان اننى توقفت فى المغرب ، واننى فى طريقى الى الولايات المتحدة . فقد قررت الآن ان اعود الى اسرائيل لانقل لبيجين تفاصيل ما حدث واتلقى توجيهاته . ثم أسافر بعدها إلى أمريكا .

ولقد برزت موضوعات هامة . على نحو غير متوقع . ولا تمت لمباحثات السلام بصلة ، برزت هذه الموضوعات أثناء اجتماعنا على العشاء ، وعندما كانت المناقشة اكثر تحررا .

فقد سألنى الملك عما اذا كانت اسرائيل قد اشتركت فى الحرب التى كانت دائرة انذاك فى اثيوبيا . واذا صح ذلك فلماذا ؟ قلت له : اننا لم نشترك فى الحرب وانما نساعد اثيوبيا فحسب ، لما لدينا من التزامات ادبية تجاهها . لقد ساعدتنا اثيوبيا فى الماضى حيث امدتنا بتسهيلات جوية وبحرية عندما كانت سفننا وطائراتنا فى ضائقة شديدة . وما كان لنا ان نرفض مساعدتها الآن وهى تمر بمحنة وطلبت منا اسلحة . فقال الملك : ان الزمن قد تغير وسرعان ما تفقد اثيوبيا موانيها ، وانه ربما كان من الافضل لنا التغرب من الجناح المعتدل لحركة التحرير على امتداد ساحل البحر الأحمر . فاخبرته انه ليس هناك تفكير فى ذلك فحركة التحرير تنتمي بالفعل للجامعة العربية ولن تهرع لنجدتنا وقت الشدة .

وروى لى التهامى رواية عن حرب الايام الستة فى عام ١٩٦٧ وقال : ان المخابرات المصرية جندت جاسوسا لها فى الموضع الملائم فى موقع استراتيجى فى ذلك الوقت

..« وكان احد كبار الضباط فى الجيش الاسرائيلى » .. وقد قام الجاسوس بابلاغها بمعلومات عن بدء الهجوم فيما بين الثالث من يونيو فلماذا اذن . لم تستعد القيادة العليا المصرية ولاسيما السلاح الجوي المصرى لهذا الهجوم ؟ ونظر التهامى وسألنى من جديد : « قل لى بصراحة ، ألم يتأمر ناصر معكم فى ذلك الوقت ؟ والا فكيف لحقت بنا هذه الكارثة ؟ ولماذا ارسل ناصر عبد الحكيم عامر قائد الجيش المصرى محلقا فوق سيناء لزيارة الوحدات فى نفس اليوم الذى قمتم فيه بشن الهجوم ؟ » . وكان وهو يتحدث عن ناصر تهتز شفتاه فى غضب وازدراء . واشار الى انه على وشك اصدار كتاب عن ناصر يقول فيه « الحقيقة كاملة » عن هذا الرجل المجنون الذى اوشك ان يلقى بمصر الى حافة الهاوية ..

ودعوت التهامى لزيارة اسرائيل ، للاطلاع بنفسه على العلاقات التى تربط بين اليهود والعرب وكيف ان العودة إلي التقسيم الجغرافى للقدس وفصل الضفة الغربية لم يعد أمرا عمليا وابتسم التهامى فى ارتياح . وقال انه سيذكرنى بهذه الدعوة فى الوقت المناسب . وعندما افترقنا قال انه لم يدر بخلده على الاطلاق ان نجتمع فى مثل هذه الظروف . وكان يتصور ان يكون اللقاء في ساحة القتال أو عندما تمر اسرائيل بازمة قومية واسافر الى مصر فى مهمة استسلامية (رغم عدم ايضاحه عن ذلك بالتفصيل) وصافحنى بحرارة وقال : انه يتطلع للقائى خلال اسبوعين . كما طلب منى أن ارسل له نسخة من كتاب «قصة حياتى» فوعدت بأن ارسلها له.

وعدت الى دار الضيافة ورغم انه لم يبق على رحيلى سوى ساعة ونصف الساعة فقط استلقيت على السرير . ورحت فى سبات عميق لمدة ساعة ، واستيقظت فى الثالثة والنصف صباحا ، وتوجهت الى الطائرة وسافرت الى بلدي ، ورغم ما كنت اشعر به من تعب، الا اننى لم استطع حتى مجرد الاغفاء . وبعد وصولى اتجهت الى فندق بالقرب من مطار أورلى . وفى الطريق تخلصت من الشعر و الشارب المستعارين ، وكنت امقتهما ، واعادنى افطار من قهوة ساخنة وكرات من الزبد وصحيفة هير الدتريبيون الي عالم الواقع ، فقرأت اشاره اختفائى المفاجىء . من شبه ضجة اطلقت جميع التكهنات حول مكانى ، وكانت جميعها ابعد ما تكون عن الحقيقة .

وبعد ثلاث ساعات اخذت طائرة شركة العال فى طريقى الى اسرائيل . وعقب وصولى اتجهت من فورى الى القدس للاجتماع برئيس الوزراء . وقدمت له تقريرا عن اللقاء فوافق بيجين على اقتراحاتى الثلاثة :

١- ان نتبادل المقترحات الرامية لابرام معاهدة سلام للدراسة المشتركة (وأصر بيجين على ابلاغ الامريكيين بالأمر دون الافصاح عن شخصية الدولة المعنية).

٢- ان التقى مرة اخرى بالتهامى خلال اسبوعين .

٣- انه فى حالة اجتماع بين بيجين والسادات ، فان بيجين ليس على استعداد للالتزام مسبقا بالانسحاب من كافة الأراضى المحتلة . ومع ذلك فان المصريين سيفهمون موقف اسرائيل فى واقع الأمر ، عند قراءة الوثيقة التى تتضمن مقترحاتنا لاقرار السلام .

عدت من القدس الى بيتى فى تسهالاه . كان المنزل مهجورا . وكانت راحيل قبل سفرها الى الولايات المتحدة قد افرغت محتويات الثلاجة ، وأطفأت الغلاية الكهربائية ، ونزعت اغطية الفراش . ومن حسن الحظ ، كان لا يزال هناك بعض الغاز ، فقمت بغلى قليل من الماء ، وصنعت لنفسى سلطانية من الحساء من احد مكعبات المرق ، واحتسيت وانا استمع لنشرة الساعة الواحدة من الراديو . ثم اخذت بطانية . وتمددت على حشية بلا ملاءة وحاولت النوم . لقد كان يوما طويلا وفى الساعة السادسة صباحا، كان على ان ألحق بالطائرة الى نيويورك - دون ان ادرى ان احداثا مثيرة ستلغى لقائى القادم مع التهامى خلال اسبوعين ، كما اتفقنا . لقد تم اللقاء وفى سرية ايضا وفى المغرب مرة اخرى إلا إن هذا اللقاء لم يتم الا بعد حوالى شهرين ونصف شهر. بعد ان طرأت تغيرات مثيرة على الاوضاع فى الشرق الأوسط منذ ذلك الحين . »

أنتهى ما كتبه « ديان » عما دار في كواليس ودهاليز رحلة المغرب بينه وبين « حسن التهامي »

لكن تبقى رواية « حسن التهامى » نفسه وشهادته عما جرى !

□ □

١١

رجل غامض اسمه حسن التهامي!

"حسن التهامي " !!

حسن التهامي : مجتهد نعم ! مناضل نعم ! ارهابي نعم ! عصبي نعم ! وديع نعم ! يشغل الدنيا بادواره وأحاديثه نعم !! تشغل الدنيا عنه ؟! نعم ! إنسان مؤمن بسيط في أعماقه نعم ."

حسن التهامي هو كل هؤلاء في رجل واحد كما يقول زميل دفعته ورفيقه في الكليه الحربية " مصطفى بهجت بدوي " منذ عرفه في سبتمبر ١٩٤٢ .

وحسن التهامي " الذي عرفه " مصطفي بهجت بدوي " هو " الذي يقاتل بضراوة في فلسطين ويحاصر في الفالوجا ١٩٤٨ وهو الذي يهندس لمبادرة السادات سنة ١٩٧٧ (!!) وهو " الذي يكره الروس والشيوعيه كراهية التحريم هو الذي يتزوج بسيدة روسية !!

وعن " حسن التهامى " كتب " محمد ابراهيم كامل " وزير الخارجيه السابق يقول " كنت قد سمعت عنه روايات واساطير غريبة منها اانه كان في صدر شبابه يعيش حياة متحرره صاخبة ثم تحول فجأة إلى الدين وإلى التصوف ! ومنها أنه كان على اتصال مع الجن والأنبياء ويتحدث مع الموتى . >> !!

ويروى " عبد الفتاح أبو الفضل " نائب رئيس المخابرات السابق أن التهامى تظاهر بالتدين الشديد وأطلق لحيته ثم أرغمه عبد الناصر على ازالة هذه اللحيه بعد أن

أحضر له الحلاق ، وبداية من هذا التاريخ بدأ في الهلوسة وخلط الواقع بالغيبيات سواء أكان عن عمد أو تمادياً في تغطية شئ لايعلمه إلا الله والعاملون ببواطن الأمور "

وجاءت فترة حكم السادات وكان التهامى من أقرب المقربين للسادات رغم ما أشتهر عنه من عدم الاتزان وتفسير الأحلام والغيبيات . >>

وفوجئ " كمال حسن على" رئيس المخابرات وقتها - بما كان يجرى حوله !!

لم يتوقع " كمال حسن على " عند سفره للمغرب مصاحباً لحسن التهامى " أن يقابل ديان وجهاً لوجه !!

ولم يتوقع أيضاً عند ما روى للسادات - فيما بعد - أن تكون اجابة السادات عليه هى إنفجاره بالضحك !

باختصار شديد أن المعنى الذي يؤكد عليه " كمال حسن على " هو أن رئيس المخابرات العامه كان مثل الزوج آخر من يعلم !!

ونعود للحكاية من البداية وكما سجلها كمال حسن على " في مذكراته " محاربون ومفاوضون " فيقول :

" كان للسادات جهوداً متشعبة لجس النبض لدى الطرف الاسرائيلى ، كان منها لقاءات " حسن التهامى " بالمسؤلين الاسرائيلين عن طريق " الملك الحسن " الذى عرف بصراحته وشجاعته ، والذى كان أكثر الرؤساء.واقعية في التعامل مع إسرائيل كأمر واقع ، فهو الذى سمح لليهود للمغاربة بالعودة من اسرائيل إلى المغرب ، وله علاقاته متميزة مع اليهود المغاربة ."

وكان من ضمن هذه اللقاءات لحسن التهامى " لقاء رافقته فيه أثناء عملى كرئيس للمخابرات العامة ، وكان ذلك في صيف عام ١٩٧٧ . >>

كان " كمال حسن على " قد سافر مع أسرته إلى الأسكندريه لقضاء أجازة الصيف واذا بالرئيس السادات يطلبه تليفونياً ليخطره بأن هناك مهمة له خارج القطر ، وأن " حسن التهامى " سيشاركه فيها وسيخبره بالمهمه اثناء الرحله وكانت المغرب هي الجهة التى سيتوجهان إليها .

ويضيف " كمال حسن على "قائلاً :

" وبالفعل توجهت إلى مطار القاهرة في الموعد المحدد واستقليت مع " حسن التهامي " إحدى طائرات رئاسة الجمهورية ، وحسن التهامى زميل لى وتخرج في نفس دفعتى عام ١٩٤٢ من الكلية الحربية ، وفي الطائرة توقعت أن يبادرحسن التهامى بأبلاغى بالمهمة التى نسافر من أجلها ، ولكنه لم يفعل ، وحاولت أنا أن أستفسر عن الموضوع ولكنه أرجانى إلى مابعد والوصول .

ووصلنا إلى الرباط وكان علينا أن نتوجه إلى أفران حيث المقر الصيفى لجلالة الملك الحسن ، ونزلنا في قصر الضيافه المواجه للقصر الملكى ، ولم اشأ أن أكرر سؤالى للتهامى عن طبيعة المهمة تاركاً له تقدير الوقت الذى يرغب فيه إبلاغى بها رغم تلهفى لمعرفة هذه المهمة ، ورغم محاولاتى الشخصية لإستنتاجها .>>

وفى صباح اليوم التالى قابلنا جلالة الملك الذى توجه معنا صاعداً إلى داخل القصر، وفي أثناء صعودنا سلم القصر سأل الملك الأخ حسن التهامى " إذا ما كان يود أن يكون اللقاء ثنائياً أو كما أسماه تات .. اه ..تات أو أن يكون لقاءاً عاماً وعقب أنه يرى أن يكون لقاء منفرداً .

ودخلنا قاعة كبيرة لم يكن فيها غير شخصين ، يوحى منظرهما بأنهما من دولة أوربية أو فرنسا بالذات ، ولكن وجه أحدهما أحسست بأنه مألوف لدى ، أو على الأقل سبق أن شاهدت صورته ، وتصافحنا ، ثم أخذنى جلالة الملك إلى الخارج معه، تاركين حسن التهامى " مع الضيفين وبمجرد أن غادرت القصر فقزت إلى ذهنى صورة فوتوغرافية شاهدتها لأحد هؤلاء الأشخاص ورجحت إنه احدى الشخصيات الإسرائيلية التى احتفظ لها بملف في المخابرات العامه ، ولكن ذاكرتى لم تسعفنى بالأسم وبعد إنتهاء لقاء التهامى وحضورة إلى قصر الضيافه سألته عن الموضوع وكنت أتوقع ماحدث فقد قال :

أنه موضع يتعلق بصفقة سلاح فرنسيه واستغربت أن يكون هناك تعتيم على المهمة إلى هذه الدرجة ، ولكننى لمعرفتى بشخصية التهامى لم أستبعد مثل هذا التصرف ، ولم أشأ أن أفرض نفسي على الموضوع (١١)

وأثرت أن استفسر عن التفاصيل من الرئيس السادات .

وعندما عدنا للاسكندرية مرة أخرى توجهت لمقابلة الرئيس السادات ، وقصصت عليه تد ة " التهامى "واستنتاجاتى ، فما كان منه إلا انفجر كعادته ضاحكاً حتى كاد أن يستلقى على ظهرة، وبالفعل حدد لى إسم الشخص وكان " كمحى " سكرتير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية .

ويختم " كمال حسن على " شهاداته قائلاً :

وكانت الزيارة محاولة لجس النبض الاسرائيلى في محاولة الوصول إلى التفاهم على السلام

◘ ◘

وكتب " أحمد بهاء الدين "

لقد سمعت وأظن أن ماسمعته يحمل في رأي صفة اليقين - أن الرئيس السادات قبل هذه الزيارة بسنوات دخل عليه السيد " حسن التهامى " ذات يوم وقال له :

- ياسيادة الرئيس لقد رأيت لك حلماً غريباً !! رأيتك في المنام تصلى في المسجد الأقصى بالقدس ! ونحن جميعاً حولك وأنا بالذات جوارك !! والمسجد كله ملئ بالمشايخ الذين يلبسون العمائم !!" ..المهم أن أنور السادات ضحك طويلاً عندما سمع " حسن التهامى " يروى له ما رآه في المنام

ولكن على أية حال ربما كانت تلك أول قطرة ما غير محسوبة وغير جادة في هوج الأحداث الغامضة حتي الآن التى أدت إلى رحلة السادات إلى القدس .

ثم يمضى بنا " أحمد بهاء الدين " قائلاً "

ولعل الكثيرين من أصدقاء الرئيس السادات لاحظوا بعد ذلك - دون معرفة السبب - أن السادات نفسه بدأ يلازم " حسن التهامى " ويقربه أكثر من المعتاد . وأنه بدأ يقول عنه للناس بشكل جدي : إنه فيه شئ لله ومكشوف عنه الحجاب !

ولم نكن نعرف أن الأتصلات المصرية - الاسرائيلية المباشرة قد بدأت في المملكة المغربية سراً .. وان اسرائيل كانت ترسل " موشى ديان " وزير دفاعها وقائدها العسكرى الشهير ممثلاً لها في هذه المباحثات السرية البالغة الدقة والخطورة ، وأن

السادات لم يرسل في مقابل " موشى ديان " إلا " حسن التهامى " ومن يدرى فربما كان هذا الأختيار الغريب راجعاً إلى ذلك الحلم الغريب الذى لاشك أن أنور السادات كان أول من دهش لتحققه . "

◘ ◘

كان " ديفيد كمحى " مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية أحد الذين حاولوا فك وحل لغز اختيار السادات لحسن التهامى ليمثله في اللقاء بديان !!

وفي مذكراته " الخيار الأخير " كتب " كيمحى " يقول :

طويلاً بعد الحدث ، كان المطلعون على بواطن الأمور في القاهرة والقدس وواشنطن يناقشون سبب اختيار السادات للتهامى كممثل له . فالتهامي ، الغريب الأطوار ، كان صديق السادات منذ عهد قديم ، يعود أيام الحركة السرية الإرهابية المعادية لبريطانيا . وقد أصبح فيما بعد شخصية بارزة في الحركة الإسلامية . تمتع بحضور جيد اتسم بالجرأة والصراحة ، عيناه ثاقبتان تنمان عن تعصب ، وقد تمتع أيضا بثقة كبيرة في نفسه ، تتماشى وجهله السياسي ، وخبرته القليلة في الحقل الدبلوماسي ، رغم تبوئه منصب سفير في فيينا . ولم يكن التهامي يعرف عن إسرائيل إلا ما سمعه من آراء أمثاله المكونة مسبقاً . كان يكره عبد الناصر ، ويعتقد أنه باع الدولة المصرية إلى الشيوعيين ، وأدخلها على طريق الإلحاد . تنوعت الأسباب التي قدمتها فيما بعد ، تفسيراً لخيار السادات ، أطراف معينة في مصر وإسرائيل وأيضاً الأميركيون المستاؤون الغاضبون ، إذ لم يعرفوا باللقاء ، وشعروا أن السادات وبيغن تفوقا عليهما . إلا أن الأسباب التي دفعت السادات إلى اختيار التهامي بسيطه جداً ويمكن فهمها بسهولة .

كان السادات يحتاج قبل كل شئ إلى شخص جدير بأن يضع فيه ثقته . كما أنه أراد اختيار شخص لن يطرح أسئلة في شأن قراره بمباشرة محادثات سرية مع الإسرائيليين . ولن يمكن اتهامه يوماً بأي جرم غير كونه مصريا مسلما وطنيا . ولم يبال السادات كثيراً بما قاله ممثله الأصولي المتطرف لدايان . فكل ما أراده ، كان الاطلاع على الرسالة التي حملها معه من القدس ، والتي تخوله التعدي على الخطط الأميركية لعقد مؤتمر دولى للسلام في جنيف .

وكان التهامي ، بفضل ميزاته الغربية وإخلاصه التام للسادات ، الشخص الأنسب لهذه المهمة . إذ لن يتهمه أحد بأنه شارك في خيانة ، كما كان يمكن الاعتماد عليه ليؤمن أفضل عذر عربي مبرئ للسادات ما دام الإسرائيليون التزموا بالصمت . وهذه المرة ، احتفظ الإسرائيليون بالسر . ويعود ذلك ، إلى حد كبير ، إلى أن الجميع باستثناء المساعدين الشخصيين لبيغن ودايان لم يكونوا على علم باجتماع المغرب .

في الواقع ، ووراء الساعات الطويلة التي أمضاها المجتمعون في مناقشات ، بعضها حصل فعلاً وبعضها مشكوك في صحتها من جهة ، ومن جهة أخرى في الحديث المطول حول الخصائص الشرقية ، لخصت النقاط الأساسية لاجتماع المغرب في رسالة من ثلاثة أسطر ، دونت بخط دايان للتهامي ، على أن يقرأها السادات وحده ؛ مفادها أن إسرائيل مستعده الي اعادة شبه جزيرة سيناء كلها إلى مصر ، مقابل إبرام معاهدة سلام ، وفتح الحدود ، وتطبيع العلاقات بين البلدين ..هذا كل ما انطوت عليه الرسالة. وبدا ذلك في إسرائيل بسيطا بما فيه الكفاية لبيغن ودايان . ولكن لا شك أن دايان فهم بعد استماعه إلى التهامي أن الأمر ليس بالسهل بالنسبة إلى السادات ، ولكنه اعتبر أنه زرع البذور وصار يترتب على السادات والتهامي أن يقوما بالخطوة التالية .

أطلع التهامي السادات على حقائق اللقاء ، وسلمه رسالة دايان . عاد دايان إلى القدس ليعرض أجواء المقابلة على بيغن . وبعد ثمان وأربعين ساعة ، وصل إلى واشنطن ليجتمع مجدداً بكارتر وفانس ونائب الرئيس والتر مونديل . كان اللقاء عاصفاً . فالأميركيون كانوا غافلين عن اجتماع المغرب بين دايان والتهامي ، إلا أنهم استاؤوا من تصرفات بيغن في ما يتعلق بالمستوطنات في الضفة الغربية . وعامل كارتر ومونديل دايان بفتور كلي ، واستمرا في تركيزهما على اجتماع يتم عن قريب في جنيف تكون فيه إسرائيل مستعدة للقيام ببعض التنازلات على صعيد انسحابها من الأراضي المحتله وبتنازلات أخرى للفلسطنيين . ولم يعطهما دايان أي داع للابتهاج .بدل ذلك ، أخبر فانس سراً عن اجتماع المغرب وعن العرض الذي قدمه للسادات . ولم يكن هذا الخبر ليخفف من حدة غضب كارتر إزاء المغامرة المستقلة لإسرائيل في الدبلوماسية .

في هذا الوقت ، كان السادات أيضا قد أحاط سفير كارتر في القاهرة هرمن إيلتز علماً بتقرير التهامي ، فأتى في تعليق إيلتز الذي وجه إلى وزارة الخارجية الأميركية، أن السادات لم يكن جادا وإلا لما اختار رجلا كالتهامي ليمثله .

كانت قد مضت خمس سنوات كاملة على مبادرة السادات ، عندما خرج "حسن التهامي " عن صمته الطويل وقرر أن يروي كل ما جرى .

كتب التهامي شهادته في مجلة اكتوبر (٢١ نوفمبر ١٩٨٢) تحت عنوان " الآن يمكنني أن اتكلم عن المبادرة "

كتب التهامي شهادته على النحو التالي :

فلقد تعاهدنا أنا وأنور السادات ، وهو رئيس للجمهورية . وحسنى مبارك وهو نائب رئيس الجمهورية ، بأن نبقي هذا السر الذي سأتحدث عنه خمس سنوات . وقرأنا الفاتحة على ذلك ، عندما طلبني الرئيس أنور لمقابلته في الاسكندرية (وكان النائب معه وحده) ليأخذ رأيي في إتمام ما سمي فيما بعد باللقاءات السرية مع ديان . وأبدأ بكلمات أنور بالنص الذي سجلته وقتها على أوراق من نوتة " الرئيس " التي كانت أمامه ، إذ قال لي : " إن عندي مهمة وطنية في غاية الأهمية ، قد تغير مجرى تاريخ المنطقة كلها ، أو على الأقل مجرى سياستنا في مواجهة إسرائيل، وقد فكرت كثيراً أنا وحسنى لنبحث في مصر كلها عمن يمكنه أن يتحمل هذه المسئولية ويقوم بها ، والمسألة مسألة رجل ملتزم وطني بإخلاص ووطنية يتحمل بها المسئولية .. رجل متعطش لمصلحة الوطن .

في هذه المرحلة - وبثقته في نفسه وتفهمه لطبيعة المرحلة التي نمر فيها يمكن أن نأخذ خطوة أساسية يطمئن بها الطرفان . لا توسيط ولا مساومة ولا رهينة من الأرض ولا تفريط لنا ولا للعرب وهذا الاتصال مع من يمثل إسرائيل سبق لي مناقشته مع طرفين آخرين دوليين ، وهذا اللقاء الذي نفكر فيه الآن هو بديل عن كل المحاولات السابقة ، بديل عن خط شاوشيسكو (رئيس رومانيا) ، وعن الأمريكان . وعن كرايسكي واسترسل الرئيس أنور فقال : " إن هذا الموضوع الذي سأعرضه عليك لا يعرفه أحد في مصر إلا أنا (السادات) وحسنى فسألته : هل رئيس الحكومة يعرف ؟

فقال السادات : "لا" ثم أضاف :" وأنت ياحسن حر في قرارك ، ولن يؤثر ذلك على علاقتي بك إطلاقا . ثم حدد السادات مطلبه بالضبط في الكلمات الأتية : فهل تقبل ياحسن أن تقوم بالنيابة عن مصر وخدمة لمصر \وتقوم بهذه المهمة وإجراء الاتصال عن طريق ... بمن يمثل إسرائيل على هذا المستوى لتبدأ هذه الخطوة ؟

فسألته : وإذا لم أقبل فمن البديل لهذه المهمة " ؟

فقال : "لابديل ، فالمسألة زجل وطني ملتزم وبإخلاصه ووطنيته وقدرته يمكنه أن يتحمل هذه المسؤلية فقلت له : للوطنية ولكيلا أعرضك أنت شخصيا وأنت رئيس مصر لأي هزة أو تعرض لهذا الموقف .. أقبل هذه المهمة ، على أساس أنها عملية تحدي المواقف لمصلحة الوطن والمنطقة ولعودة القدس ، فقد سبق لي الاتفاق مع فيصل على قيادة مسيرة زحف لاستعادة القدس والمقدسات

ثم سألته : هل يمكنك أن تحفظ هذا السر . وتضمن عدم تسرب المعلومات عنه من أي طرف ؟

فقال السادات : " نحفظ هذا السر لخمس سنوات ونتعهد به "

فقلت له ولحسني : إذن نقرأ الفاتحة على ذلك وقرأنا الفاتحة .

والآن أنا في حل من أن أتحدث إلى شعب مصر قدرا كافيا لإلقاء بعض الضوء على خلفية الاتجاه السياسي نحو حسم مشكلة الشرق الأوسط بعد نصر أكتوبر سنة ١٩٧٣ حتى زيارة القدس ، فذلك جزء من تاريخ مصر ينبغي أن يعرفه أهل مصر بلسان عربي مبين ، فهذا حقهم .

سبق للرئيس السادات أن أرسل رسالتين شفويتين مع كيسنجر لجولدا مائير وموسى ديان وذلك أثناء تردد كيسنجر على مصر ومساعيه لفض الاشتباك وايجاد حل للنزاع العربي الإسرائيلي وفي الرسالة تنويه من السادات بخصوص أهمية الإتصال المباشر والثقة في إمكان نجاح الاتصال وطلب منهما إثبات حسن نية الإسرائيليين وعدم استغلال هذا الاتصال للدعاية الكاذبة، وكان ذلك في الوقت الذي كانت فيه جولدا مائير رئيسة الحكومة وموسى ديان وزير الدفاع . وكان رأي السادات في موسى ديان أنه يكره هذا الرجل ، وأن ديان رجل مناظر ، ويحب الظهور وعاد

كيسنجر ومعه كتابان من جولدا وموسى (رد كتابي) يرحبان فيهما بالفكرة - ويؤكدان ما طلبه الرئيس في رسالته الشفهية وبعد أن قرأ كيسنجر الرد أمام السادات مزق الرسالتين (أمام الرئيس) واسترسل الرئيس السادات بعد مطلبه وموافقتي على المهمة في كلام آخر غاية في الأهمية لا محل له الآن ثم دخلنا فى موضوع مواد النقاش المباشر مع ديان وكان وزير خارجية إسرائيل وقتها ، وأسس التفاهم وإثبات حسن النية والاتفاق على المبادئ التي بناء عليها يمكننا التأكد من أن إسرائيل تسعى فعلا إلى سلام عادل ، فكانت مبادئ التفاوض حول النقاط الآتية:

١٠ التفاوض على أساس تنفيذ قرارى ٢٤٢ ، ٣٣٨ وهما قرارا مجلس الأمن بعد عدوان ١٩٦٧ وبعد حرب أكتوبر نسة ١٩٧٣ ، وإيجاد الوسيلة العملية لوضعهما موضع التنفيذ

٢٠ الأرض المحتلة في عدوان سنة ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية يجب أن تعود إلى العرب ، وقد سبق للملك حسين أن قال :" إن وحدة المدينة (لتأمين العبادات لجميع الأديان) ممكنة ، بحيث تكون القدس العربية تحت إشراف الملك حسين ومسؤليته كما كانت قبل عدوان ١٩٦٧

٣٠ إن قبولنا لقرار ٢٤٢ معناه اعتراف ضمني بوجود إسرائيل وأضاف السادات باللفظ : " وهذا الاعتراف كاف ولا داعي للمزايدة أو التهويج في موضوع الاعتراف وإن المرحلة التالية لتطور العلاقات بين العرب وإسرائيل هي الجلوس بعد خمس سنوات من الانسحاب الكامل والتحدث عن مرحلة أخرى لاحقة لهذه المرحلة ..

٤٠ نحن على استعداد للموافقة على الضمانات الأمنية بما في ذلك المناطق المنزوعة السلاح على الجانبين . وتمركز قوات الأمم المتحدة على الحدود بيننا ، ومحطات الإنذار المبكر وأية ضمانات أخرى نتوصل إليها وليكن معلوما لهم أن كافة الضمانات التي تعطي لإسرائيل لن نوافق عليها إلا إذا أخذنا مثلها تماماً ، إلا شرطا واحدا ك أننا لا ندخل في دفاع مشترك مع أية دولة أخرى ونرفضه .

ثم ختم الرئيس السادات حديثه موجها كلامه إلى : " قل لهم ياحسن : ماذا تطلبون الآن ؟ وما هو موقفكم بوضوح ؟ ونحن الآن واضحون ولا نخشى شيئا بعد هذه

الخطوة "ومن ذلك التقديم نرى معاً أن هذا الموقف بهذه المداخل الفكرية السياسية كان موقفا مصريا وعربيا وسياسيا في غاية الوضوح والهادفية والجرأة ، وعليه قبلت التكليف باعتبار أن هذا الموقف الجديد في حقيقته هو تحد سافر لكل المواقف الكلاسيكية التي دارت على السطح العربي والدولي وضاعت فيها الحقوق من حرب إلى حرب وكان في نظرى أن التحديد موجه إلى إسرائيل في الأساس ، ولمن يمثلهم في هذه اللقاءات . بحيث كان المعروف أن ديان كوزير خارجية هو الذي سينوب عن إسرائيل .. فقد كان التحدي في محله تماما وتم اللقاء الأول مع ديان . ورفضت أن أصافحه عند لقائه وناقشت معه هذه المبادئ والالتزامات الواجبة على الطرفين . وتفهم ذلك تماما ثم أفلت من الموقف بحجة أنه غير مفوض في التحدث عن كل ذلك الذي واجهته به

وسألته : لماذا إذن حضرت وأنت غير مفوض ؟

فقال : إن الذي عرضته أكبر مما كان يتصور . ولابد أن يعود إلى رئيس الوزراء بيجين وكان ديان في هذا اللقاء يستقل طائرة خاصة بوينج وهو في طريقه إلى الولايات المتحدة للمفاوضات . ولما شعر من الحديث واللقاء عظم المسئولية وجدية الموقف عاد إلى إسرائيل بالطائرة بدلا من التوجه إلى واشطن ليحضر رئيسه بيجين وعندما قامت أول ضجة حول حقيقة مهمة ديان عندما وجده رجال الإعلام فجأة يهبط في تل أبيب بدلا من نيويورك . ولم يتمكن رجال الإعلام الإسرائيليون أو الأجانب من كشف عملية الاتصال المباشر ، ولا التأكد منه ، فقامت وقتها التكهنات ، وسمي الرئيس السادات عودة ديان المفاجئة إلى إسرائيل بأنها جزء من مسرحيات موسى ديان لحب الظهور ولكني أقول إن الرجل كان قد انفعل فعلا من الصراحة والوضوح . ومع مطالبتي إياه بالعودة إلى رئيسه وأخذ التفويض اللازم للدخول معنا في نقاش موضوعي حول صلب فهمنا نحن الطرفين لعوامل وشروط السلام العادل والدائم . عاد فعلا إلى رئيسه ليخطره بجدية الموقف ويحمله المسئولية ، لأن ديان قال في لقائنا الأول إنه لا يتحمل مسئولية الرد على كل هذه النقاط في الاجتماع .

وعقدنا الاجتماع الثاني بعد أسبوعين من الاجتماع الأول .وجاء ديان ببعض الردود . وطلب الاتفاق على جدول أعمال على أن يعقد اجتماع خاص لكل نقطة على

الجدول بتفصيلات كل موقف . وبدأ بذلك خطة المساومة والتسويف بالأسلوب اليهودي التقليدي في الفصال والمساومة عند البيع والشراء .

فرفضت ذلك الأسلوب . وقلت له : " أرجع إلى رئيسك واطلب منه ردودا واضحة قاطعة على كل بند قلته لك في الاجتماع السابق ، وقد كتب مساعدك تفاصيل ما قلته لك في الاجتماع السابق وأنت تعرفه ، ولمعلوميتك ياموسى لن أتعامل معك بأسلوبك اليهودي هذا ، وأنت وزير خارجية وتعرف مفاهيم التفاوض ."

فقال موسى : " طيب ارجع أنت أولا لرئيسك وشاوره في اقتراحي " (جدول أعمال نقطة نقطة)

فقلت له : " ليست في حاجة إلى العودة للرئيس السادات في هذا الشأن ، لأن هي مصر ومصالح مصر . والذي قلته لك عن مبادئ الاتفاق إنما هو أمور نهائية في موقفنا. وسأعطيك فرصة أسبوعين آخرين لتحضر إلى اجتماعنا الثالث ومعك الردود الواضحة على كل نقطة . وإذا لم يكن كذلك فلا داعي للقاء آخر "

وانصرف موسى ديان وجماعته . وعدنا إلى اللقاء الثالث وحاول ديان أداء مسرحية جديدة ليبتز بها آخر ما يمكنه ابتزازه . وكانت مادة ومواجهة . وعلى أثرها نطق ديان معلنا لي موافقة رئيسه بيجين على كل شروط مصر بوضوح تام ، وما كان لموسى ديان أن يجرؤ ويبلغني ذلك أمام مرافقيه رلا إذا كان مفوضا فعلا من رئيسه بيجين . وكان آخر سؤال لديان موجها لي قوله : " إن رئيسه يسأل ما هو المقابل الذي تأخذه إسرائيل من مصر والعرب عندما تسلم بحقوقنا في الأرض والانسحاب وضياع مكاسب إسرائيل في حرب سنة ١٩٦٧ ؟

قلت له : " ياموسى تأخذون السلام الذي تنشدونه ويعيش شعبكم ليتغني به ويتمناه مرة في حياتكم على وجه الأرض "

وكررت عليه لأذكره : ياموسى : الأرض والمقدسات وكل شبر احتلته قواتك في عدوان سنة ١٩٦٧ وعلى رأسها القدس العربية والمرتفعات السورية قبل سيناء والضفة الغربية وغزة تعود إلى إدارة الملك حسين بوضعها كما كانت قبل العدوان " وأكد موسى تفهمه الكامل لذلك ، وحاول أن يفتح موضوع التعديلات الطفيفة في

حدود الضفة الغربية على ضوء التفسيرات المختلفة في الأمم المتحدة .

وقال " شبر هنا أو شبر هناك لا يغير من المبدأ "

فقلت له : المبدأ هو تسليم الأرض لاصحابها بالكامل ولا تفريط في حبة رمل واحدة. لا في سينا ، ولا الجولان ولا الضفة ولا غزة .

وبأنتهاء اللقاء الثالث أخطرت ديان بأنه لا داعي للقاء آخر حتى تخطركم عن طريق الوسيط إذا استجد شئ . ورجعت إلى السادات ، وتدارست معه حصيلة اللقاءات الثلاثة التي اختتمها ديان بإقرار رئيسه بيجين . وموافقته على مبادئ مصر (السادات) مقابل السلام العادل وعودة الحقوق .

وقال لي السادات : الآن نفكر في الخطوة التالية ، وقد أدت اللقاءات الثلاثة الغرض منها تماما .

وبعد شهر تقابلت مع الرئيس السادات في بيته بالجيزة وتحدثنا عن الموقف ، فقال لي الرئيس أنور إنه قلب فكره لمدة شهر وحصيلة ذلك أنه فكر في نقل الاتصال إلى المستوى الأعلى . وهداه تفكيره إلى عقد لقاء سرى بينه وبين بيجين يرتبه له الأمريكان في مكان مثل رودس (حيث عقدت الهدنة مع إسرائيل سنة ١٩٤٩) أو الأفضل أن يكون في رفح على الحدود التي بين مصر وإسرائيل (مع العلم بأن رفح كانت ماتزال محتلة من قبل إسرائيل) .

فقلت له : " ياريس أنور ، هذا الكلام لا ينفع وأنت رئيس مصر ولا يمكن أن تعرض نفسك لهذه المهانة ، لأن إسرائيل إذا سربت ذلك الخبر عندما تريد فستكون قد وجهت إليك ضربة قاضية وهدمت كل ما بدأناه وهزت السياسة العربية كلها ولاطاقة لك بمواجهة ذلك ، ولا يمكن أن تقع مصر تحت وطأة هذا الموقف ، ويكفي لبيجين وأجهزة إعلامه أن يسرب هذا الخبر ، فيصبح ذلك العمل كارثة سياسية فقال لي " ماذا تعمل إذن ؟ "

فقلت له : " ياريس أنور .. القدس .. القدس .. إننا إذا نزلنا القدس تغير كل شئ في الدنيا " .

القدس أرضنا ومقدساتنا وتاريخنا ومطلبنا الأساسي ومحور المشكلة كلها إن نزولنا

في القدس والصلاة في المسجد الأقصى المبارك واعلان المطالب العربية واضحة على العالم وعلى العرب وفي مواجهة إسرائيل المحتلة لا يمكن أن يختلف فيه معك أحد لاسيما أن إسرائيل قد أقرت بالمطالب العربية مقابل الدعوة للسلام واستعادة الحقوق بالتفاوض بدلا من الحرب وأن العالم كله يتمنى أن يسمع كلمة السلام ، وسيقف بجانب من يقوها " .

فسألني أنور : متى فكرت في القدس . لأن هذه الفكرة لم تخطر على ذهني إطلاقا طيلة هذا الشهر ؟

فقلت له : ياريس أنور . الذهاب إلي القدس ليس جديدا على حياتي إطلاقا ، بل إني أعيش حياتي كلها لتحقيق هذا الهدف . وقد سبق أن اقتنع معي الملك فيصل في مطلع سنة ١٩٧٥ وأنا الأمين العام للمؤتمر الإسلامي ، بالتحضير لمسيرة إسلامية من بضعة ملايين من المؤمنين يزحفون على القدس من جميع الدول الإسلامية ، وقد وعدني على بوتو في الماضي بمليون زاحف من باكستان وحدها ، وكانت الخطة أن يذهب بالطائرات " الهيلوكويتر " عدد من ملوك رؤساء العالم في الدول الإسلامية من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية فالقدس ليلتقوا بالمسيرة على أرض الحرم الأقصى المبارك .

وكنا سنخطر سكرتير الأمم المتحدة والإعلام العالمي ونحذر إسرائيل من التصدي لهذه المسيرة . وكان فيصل يعيش معي لهذا الأمل فالآن العملية أسهل بكثير ، العملية الآن لاتعدو بلورة الفكرة ، وأن نهبط بالطائرة إلى القدس الشريف . ومن هناك توجه للعالم كله نداءالسلام المبني على الحق والعدل بوضوح ، وتطالب العالم بإنفاذه . وتضع العالم على مسار سياسي جديد تماما في اقتحام أكبر مشكلة سياسية شغلت الرأي العام بالنزاع العربي الإسرائيلي منذ ٣٠ سنة . ولن تكون وحدك في هذا العمل بل سيؤيدك العالم كله. وليس عند إسرائيل أي عذر في عدم التجاوب مع هذه الخطواة الجبارة.على بساطتها ، لأنهم سبق أن عرفوا خطنا السياسي والفكري ، ووافقوا عليه "

ودارت الأحداث كما عرفها الرأي العام من إعلان الرئيس في مجلس الشعب ، ولم يكن ذلك جديدا على إطلاقا . بل إني نظرت إليه وهو يعلنها وبتسمت ،

وقلت في نفسي " لقد بدأ أنور اللعبة بأسلوبه الخاص " .

وكنت مؤتنما على هذا السر ، إذ قال لي في أعقاب ذلك اللقاء وأنا أصافحة خارجا من بينه : " ياحسن ، خلي السر ده بيني وبينك وماتقولوش لحد أبدا حتى يتم" لكن تفاصيل ما جرى في الكواليس فقد كانت أكثر اثارة ومتعه ودهشة .



١٢

الملك الحسن وموعد غامض

فوجئ الملك الحسن الثاني – ملك المغرب – بقرار السادات بالسفر إلى إسرائيل !!

لم يخطر ببال " الحسن" أن يقدم السادات على تلك الخطوة الدرامية والمثيرة ، كان الملك الحسن يومها في مراكش " وعلم بقرار السادات عن طريق الاذاعة وكان أول انطباع له وقتها عبارة : يالها من جرأة !! وأضاف قوله :

إن السادات سيكون رابحاً إذا مااستطاع أن يقيم حواراً مع الاسرائيلين ، ولكنه سيكون ظافراً أيضاً إذا ظل الاسرائيليون صامتين.

"ويقول الحسن أيضاً : أؤكد بمنتهي الحزم والصدق أن الرئيس السادات لم يبلغ أي أحد عزمه على التوجه إلى القدس ، وسأذهب أبعد من ذلك لو كان قد أطلعني على ذلك لربما كنت قد طلبت منه أن يرجو قراره ، وهذا لم يمنعني من إعتبار مبادرته تنم عن الكثير من الشجاعة والاقدام . "

طول سنوات عديدة كان للملك الحسن رأي خاص ووجهه نظرة متفردة في كيفية حل الصراع العربي الاسرائيلي !!

وفي عام ١٩٧٠ كان الحسن أول رئيس دولة عربية يجتمع مع رئيس المؤتمر اليهودي العالمي " ناحوم جولدمان ". وفي مذكراته شرح الملك دوافعه لذلك اللقاء بقوله :

لم تتبادر قط إلى ذهني فكرة رفض لقاء شخص ما لمجرد كونه يهودياً ، ولا غرو في ذلك حيث أن يهود المغرب وعربه عاشوا على الدوام في كنف وئام تام ، بعد أن اقترح على – جولدمان – هذا اللقاء قلت : لا أرى مانعاً في ذلك . والحقيقه

أنني تقابلت مع شخص وجدته متفتحاً جدا وفي منتهي الرزانه والتعقل ، ويختلف تماماً عن الشخص الذي كنت اتوقع لقاءه ، لقد أجتمعت مع أحكم الحكماء ، ولم يستهل حديثه معي بالتشكب ،بل شرعنا على الفور في الحديث عن أفاق المستقبل!"

والواقع أن ما تضمنته مذكرات الحسن "ذاكرة ملك " (صدرت عام ١٩٩٢) عن الحوار بينه وبين جولدمان كان قليلا ومقتضبا ولذلك فالعودة للوراء ٢٢ سنة كافية لتوضح جوانب ذلك اللقاء وحسب ما نشر في الصحافة وقتها وأقام الدنيا في العالم العربي كله .

كانت البداية عندما صدرت مجلة الحوادث اللبنانية (٢٣مارس ١٩٧٣) وعلى غلافها عنوان مثير يقول : الملك الحسن يكشف للحوادث : أسرار محادثاته مع ناحوم جولدمان " وعلى نفس الغلاف صورة كبيرة بالألوان للملك الحسن وهو يتحدث مع رئيس تحرير الحوادث الأستاذ " المرحوم "سليم اللوزي ! ونشر الحوار على مساحة خمس صفحات كاملة من المجلة !!

قال الملك الحسن عام ٦٥ كان العرب أقدر على مواجهة إسرائيل عسكرياً منهم عام ١٩٦٧ ، وقتها لم يكن الوضع الدولي قد تدهور بعد ضد العرب (!!) وقلت للرئيس عبد الناصر ، وأيد كلامي الرئيس بومدين (رئيس الجزائر) إذا كانت هناك نية لمواجهة عسكرية مع إسرائيل ، فإن الوقت الحاضر هو الوقت المناسب . يومها نشب خلاف حاد بين المرحوم عبد الناصر وبين الرئيس السوري " أمين الحافظ" .. عبد الناصر كان يقول إنه هو الذي يحدد وقت المعركة .. فرد أمين الحافظ بأن هذا الوقت مناسب للمعركة ، وأن أى تهرب من المواجهة مع إسرائيل هو نوع من الانهزامية . وقد أثارت كلمات الحافظ للرئيس عبد الناصر ، فغضب وقال للحافظ بحدة : أنا لست بحاجة إليك وإلى الجيش السوري ، وعندما اختار الوقت الذي سأحارب فيه إسرائيل ، فأنا أعرف بأنني سأحارب وحدي (!!) .

وعاد الأستاذ سليم يسأل الحسن : هناك قضية ثار حولها لغط كثير ، وهي زيارة "ناحوم جولدمان " رئيس الوكالة اليهودية في العالم منذ حوالى ثلاث سنوات برفقة الصحفي الفرنسي اليهودي " جان دانيال ".. ألا ترى جلالتكم أن الوقت قد حان

لكشف بعض ملابسات هذه الزيارة ،ما جرى فيها من محادثات ؟!

وكانت إجابة الملك الحسن عن السؤال السابق كما يلي وحسبما نشر في الحوادث :

"بالفعل كانت هناك ملابسات حول هذه الزيادة .. في عام ١٩٦٩ طرح الفلسطينيون صيغة حل لقضيتهم ، وهو إقامة دولة ديمقراطية متعددة الديانات والطوائف ، يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود ، وقيل لي إن "ناحوم جولدمان " يريد مقابلتي للتحدث بهذا الموضوع . فقلت أن أستقبله كيهودي (!!) لا كصهيوني (!!) وقلت منذ البداية "أنا لست الفريق المفاوض في القضية الفلسطينية . فالمفاوضون هم الفلسطينيون ، لأنهم هم محور القضية ، ولا يملك غيرهم حق البت فيها ".. وجاء جولدمان وقابلني على هذا الأساس وكان موضوع المناقشة : كيف يمكن إنهاء حالة الحرب بين العرب واليهود ؟اوتسائل "جولدمان " لماذا لا تحل القضية على الطريقة اللبنانية ، أي تعايش يقوم على توازن بين الطوائف ؟! فقلت لجولدمان هذه صيغة مطروحة وتبدو ممكنة نظريا ، ولكن إذا حاولنا أن نطبقها على الواقع فسنصطدم بعقبات كثيرة ، أخطرها في نظرى سياسة الاستيطان التي تتبعهاالدولة الإسرائيلية إذ كيف يمكن أن يتحقق تعايش بين مهاجرين قادمين من أوربا وأمريكا وبين عرب فلسطين ؟! إنهما مختلفان في العقلية والتقاليد والعادات ! إن العلاقة التي تقوم بين جماعتين متفاوتتين وخصوصا في المستوى الحضاري لا يمكن إلا أن تحمل في طياتها بذور العنف والتسلط والسيطرة .

◘ ◘

ومضى الملك الحسن يقول لناحوم جولدمان رئيس الوكالة اليهودية :

أما التعايش والتجانس والتفاهم والتوازن بين العرب واليهود الذين ولدوا وعاشوا في فلسطين والبلاد العربية ، فذلك ممكن ومطلوب ، وعندما نسمع أبا إيبان (وزير الخارجية الإسرائيلي) يرتجل باللغه العربية فلا يلحن ولا يخطئ بين أخوات .." كان "وأخوات "إن" ولا ينصب الفاعل ولا يرفع المفعول ،نقول من الممكن التفاهم والتجانس والتعايش ، ولكن كيف يمكن التفاهم والتجانس بين عربي فلسطيني ومهاجر قادم من روسيا أو بولونيا أو نيويورك !

ويضيف الملك الحسن :

قلت هذا الكلام لجولدمان قبل ثلاث سنوات أي قبل أن يتدفق المهاجرون اليهود الجدد فما بالك الآن ؟! (١٩٧٣) هل من الممكن تطبيق الصيغة التي طرحها "جولدمان " أي لبننة فلسطين ؟! يومها أجابني جولدمان أن المهم هو استمرار الحوار حتى يمكن الوصول إلى صيغة عملية ، فلا يجوز أن نرى العقبات ونستسلم لها !! فقلت له : إن كان ما تقوله صحيحاً فلست أنا بالمحاور المطلوب ، وكما قلت لك في البداية أكرر إنني لا أملك حق البت في القضية الفلسطينية ، فبالرغم من أنني كملك مسئول عن المغرب وكمواطن عربي متضامن مع الشعب الفلسطيني وملتزم بالدفاع عن قضيته ، إلا أن الذين يملكون حق الحل والربط والحوار والقبول والرفض هم الفلسطينيون وحدهم! ثم يلقي الملك الحسن بالمفاجأة القنبلة في حواره مع سليم اللوزي فيقول :

عندما طلب مني "جولدمان " أن أكون وسيطاً بينه وبين الفلسطينيين حتى يتابع معهم الحوار والمناقشة ، وبالفعل فقد ترك لي عنوانه في أوربا لكي يتصل به من يرغب ، وبدوري أبلغت هذه المعلومات ومادار بيني وبين جولدمان للذين يهمهم الأمر ، فكان الرد هذه ورقة لم يحن وقتها بعد ، وقد نحتاجها في المستقبل .

وعاد سليم اللوزي رئيس تحرير الحوادث يسأل الملك الحسن :قيل وقتها إن "جولدمان " إنما جاء يطلب وساطتك مع عبدالناصر وليس مع الفلسطينيين ؟!

وكانت إجابة الملك الحسن :ليس هذا صحيحا على الإطلاق ،قلت لك إنه طلب مني أن أتيح له فرصة الحوار مع الفلسطينيين ، لأنه آي " عبد الناصر " ولا أي حاكم عربي أخر يملك أن يحل القضية في غياب الفلسطينيين ، وما من حل ممكن إلا الذي يقبله الفلسطينيون ".

◘ ◘

ولكن فيما بعد فقد روى " ناحوم جولدمان " قصة اللقاء مع الملك الحسن على نحو مغاير لما رواه الملك الحسن !

تفاصيل ذلك اللقاء وما جرى فيه ذكره " ناحوم جولدمان " في كتابه " التناقض

اليهودي " كان "جولدمان " يقضي أجازته في إيطاليا عام ١٩٦٩ عندما اتصل به رئيس تحرير صحيفة نوقل أبزرفاتير واسمه " جان دانييل " والذي تربطه به - على حد قوله- صداقة وحسن تقدير ونقل إليه تليفونيا رسالة من سكرتارية الملك الحسن الثاني ملك المغرب الذي يرغب في لقائه (!!) وحصل جولدمان على رأى الزعماء الإسرائيليين في هذا الموقف وبخاصة رأي موشى ديان وقد أبدوا جميعا عقد هذه المقابلة .

ثم يروي "جولدمان " قصة لقائه بالملك الحسن والحوار معه على هذا النحو :

قمت بمصاحبة " جين دانيال " بالسفر إلى الرباط ،واستقبلني الملك الحسن كضيف خاص عليه ، وبعد أن استمع الملك عن تحليلى للموقف دخل في الموضوع وقال لي:

إن الحركة الفلسطينية تزداد في أهميتها لدرجة أنه يعرف ياسر عرفات شخصيا ، وأنه يعتبره إنسانا معتدلا ،وذكر لي أنه من المهم أن أراه ، وعرض الحسن الثاني أن يقوم بإعداد هذا اللقاء في الجزائر (!!) إلا أنه نسى أن يقول لي إنه قد سبق له الاتفاق على إعداد هذه المقابلة مع عبدد الناصر وعرفات وزعماء عرب أخرين ، وهو الأمر الذي علمته فيما بعد ..

وأجبت الملك بأنني مضطر إلى الرفض لسببين أساسيين .

الأول : هو أن عرفات إنسان يلعب دوره " الإرهابي الأعمي " الذى قام بقتل مدنيين إسرائيليين يفوق عددهم عدد ضحاياه من الجنود الإسرائيليين .

والسبب الثاني : أن الشروط الأساسية لا تتوافر لي من أجل الدخول في حديث مع رجل يطالب بإقامة دولة فلسطينية متحدة بما يعني معه تصفية الدولة اليهودية ، فأجابني الملك مبتسما :

- هل تعتقد أنني أبله إلى الحد الذي يجعلني أتصور أنك على استعداد بعد خمسين عاماً من النشاط في الحركة الصهيونية أن تدخل في مباحثات حول إزالة إسرائيل ؟! إنني أقترح عليك مقابلة عرفات ، فإن السبب بالفعل هو أن لدى اسباباً تجعلني أعتقد بأنه موافق ومستعد للاعتراف بمبدأ بقاء إسرائيل .

فسألته بعدها : ولماذا لا تتم المقابلة في الجزائر وليس في الرباط حيث أكون هنا

في مأمن وحماية ، فأكد لي : أنني أستطيع أيضا أن أجهز لهذا اللقاء في الرباط (!!) ويمضي " ناحوم جولدمان " قائلا بعد ذلك :

" وكان موشي ديان في هذا الوقت يشغل منصب وزير الدفاع فبادرت بالاتصال به تليفونياً وأخبرني أنه ليس لديه أية اعتراضات على مثل هذا اللقاء أساساً ، إلا أنه يعتبر أن الوقت غير مناسب للقاء وبعد عدة أشهر من ذلك الأمر اندلع الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين " حسين " (الملك) في الأردن ، وكان ديان يتوقع ذلك حيث قال لي : إنني لا أعرف ما إذا كان " عرفات " سوف يظل هو " عرفات " بعد عدة أشهر ، وعليك أن تنتظر بعض الوقت ولتدعنا نفكر " .

وأخيراً يقول ناحوم جولدمان : وأخطرت الملك الحسن الثاني بالرفض حيث بدت عليه خيبة الأمل الشديدة .

□ □

ونصل إلي قصه سفر " موشي ديان " إلى المغرب " ولقاءه مع مبعوث السادات "حسن التهامي " والحوار الذي تم تحت رعاية الملك الحسن الثاني ، وخبايا ما جرى وقتها !

لقد خصص الملك الحسن أحد فصول مذكراته.. "ذاكرة ملك " وعنوانه " الاتصالات من أجل السلام " لرواية تلك القصة المثيرة ، ورداً على سؤال للصحفي "ايريك رولو": متى بدأ تم تقيمون إتصالات مع القاده الاسرائيلين ؟! قال الملك :

انني لم أبحث عن هذه الأتصالات أبداً وهم - الاسرائيليون - الذين قدموا إلى هنا!!

سؤال : هل كان قرار لقاء موشي ديان مسبوقا بمفاوضات عديدة ؟

جواب : كلا إنها من ضمن الأشياء التي ينبغي أن تتقرر على عجل ، فإما أن نقبل وإما أن نرفض بيد أن الأمر تطلب حوالي اربعة أيام لتسوية جميع المشاكل المتعلقة بالامن والنقل والجانب اللوجستي وأخيرا الوصول إلى المغرب .

سؤال : كيف بدأ القاء ؟

جواب : أولاً لم يكن ديان يضع عصابته على عينه ، ولكنة كان يغطي رأسه بشعر

مستعار . وقد استقبلته بأحد " الشاليهات " في يفرن كنت أقيم به عندما كنت أعزب ووليا للعهد . وبمجرد ما جلسنا قلت في قراره نفسي إنه يتعين على أن أطرح عليه السؤال الذي سأتمكن من خلاله من جس نبضه والكشف عن عقليته . فما أن أخذ مكانه حتى وجهت له هذا السؤال :"أيها الجنرال . ما هو موقفكم من الجولان ؟" . وبعد أن فكر قليلا أجابني " الجولان سورية " إذ ذاك قلت له : طيب الأن يمكننا أن نتحادث"

سؤال : ولو كان قد صرح أنها جزء لا يتجزأ من التراب الإسرائيلي ؟

جواب : لكنا قد تحادثنا في العموميات والقضايا الجيوسياسية وسلوك اليهود المغاربة في إسرائيل ، ولتوقف الحديث عند هذا الحد . لقد كان هذا السؤال بالنسبة لي بمثابة اختبار لمعرفة نواياه فلم يكن لنا وقت نضيعه لا أنا ولا هو . لقد تحدثنا كثيرا . وكان في اعتقاده أن موضوعا واحدا يحرم تناوله ، ألا وهو الحديث عن منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد قال لي في هذا الصدد :" لا داعي للحديث عن منظمة التحرير الفلسطينية ". وعندما كنا نتحدث عن الجولان قال لي بالحرف :" إن هذه الأراضي حيوية بالنسبة لأمن إسرائيل . وإذا نحن أقررنا السلام مع السوريين فلا بد مع ذلك من بعض الوقت حتى تعود الثقه وترابط قوات وقبعات زرق يقصد قوات الأمم المتحدة ، في المنطقة ."

سؤال :عن ماذا تمخض لقاؤكم مع موشي ديان ؟

جواب : لقد ذهب كل واحد منا إلى حال سبيله ، وتركنا بابا للحوار لا هو منفتح ولا هو منغلق . إنه يشبه الكأس التي يمكن توصف بأنها نصف مملوءة أو نصف فارغة . وعلى أية حال لم نفترق على أساس أن كل شئ مرفوض لا من طرفه ولا من طرفي . وكلانا كان يحس بأن لقاءنا سيفضي إلى نتيجة . وذات لحظة ، باح لي بما يلي "يتوجب أن نعمل على استتباب السلم وإنهاء هذا الوضع " . ثم أضاف :"إن شبابنا وأنا هنا أفكر في ابني ، ليسوا مختلفتين عن الآخرين . إنهم يطمحون إلى أن يحيوا حياة هادئة ، وأن يكسبوا المال . إنهم يسافرون ويرون كيف يعيش الآخرون فكيف تريدون أن يقبلوا الاستمرار في العيش في "الكيبوتزات " كما عشت أنا من قبل إن على إسرائيل أن تدرك هذا ." لقد كان لديه إحساس بأن هذا الحافز القوي

سيختفي مع مرور الزمن .

في تلك الحقبة كان التوتر على أشده بين الإسرائيليين والسوريين ، غير أن ديان قال "لى" إن مشكلتنا الشائكة والمتشبعة قائمة مع مصر ، ولأن القادة المصريين أقل عنفا . فمعهم سنبدأ المحادثات " . ولم يكن لدى أي مبرر لتفضيل بلد على آخر مادامت تراوده فكرة إعطاء انطلاقة لمسلسل السلام . وهنا بالذات قال لي " إني أود أن أربط اتصالا مع المصريين " .

- سؤال : وهيأتم له ظروف مد جسور هذا الاتصال .

- جواب : أجل .

- سؤال : وماذا كان رد فعل الرئيس السادات ؟

- جواب : كان وجيزا . وسألني قائلا " هل ديان هو الذي سيأتي و أجبتة بقولي " هو نفسه " . فكان رده :" إذن سأبعث موفدا" .

- سؤال : هل تمت بالمغرب جميع اللقاءات التي جمعت بين ديان ومسؤل مصري ؟

- جواب : نعم ، لقد جرى اللقاء الأول في يفرن في حين تم اللقاء الثاني بالرباط .

- سؤال : في أي جو تم اللقاءان : هل في جو مشوب بعدم الثقة والتخوف ؟

- جواب : في البداية توقف الأنفاس وخيم صمت رهيب . ولكن لا ينبغي أن نغفل أن كل طرف كان ينعت الطرف الآخر بوصف العدو ، وأن عددا كبيرا من القتلي سقطوا سنة ١٩٤٨ .

وبعد ذلك شعرت بأنهما مرتاحان . وكان كل طرف يترقب أن يعرض عليه الطرف الآخر شروطا لا يمكن قبولها . ثم شرعا في الحديث وشملت المحادثات المعارك الماضية ، وعبور قناة السويس و سيناء، ومختلف المنارات العسكرية لهذا الطرف ضد الطرف الآخر . لقد تناول حديثهما كل شئ بما في ذلك هوية الربابنة الذين لقوا مصرعهم . وحينما لاحظت أن اللقاء أخذ هذا المنحني تركتهما يواصلان حديثهما على انفراد .

- سؤال : في أية لحظة في نظركم نضجت عند السادات فكرة التوجه إلى القدس والدخول في مفاوضات مباشرة ؟

- جواب : أود أن اؤكد بمنتهي الحزم والصدق أن الرئيس السادات لم يبلغ أي أحد عزمه على التوجه إلى القدس .

وسأذهب أبعد من ذلك ، فهو لو كان قد أطلعني على ذلك لربما كنت طلبت منه أن يرجئ قراره . وهذا لم يمنعني من اعتبار مبادرته تنم عن الكثير من الشجاعة والإقدام. وكنت في تصريحاتي على ما أعتقد الوحيد الذي سانده علنا وبموقفي هذا كنت أراهن على العنصر الإبداعي للإسرائيليين وقدرتهم على اغتنام الفرصة . ولكن العبقرية الإسرائيلية كانت في ذلك اليوم عديمة الوجود في القدس . ويكفي كدليل على ذلك الإنصات إلى خطاب السادات ثم رد بيغين . ومع ذلك كنت أراهن على الرد أكثر منه على مبادرة السادات المتميزة .

- سؤال : مامراد عدم قدرة بيغين على أن يكون على موعد مع التاريخ ؟

- جواب : أعتقد أن هذا الأمر ينبغي تفسيره من الناحية السيكولوجية . فقد كان أمام السادات شهر أو شهران ، أي أنه كان أمامه متسع من الوقت لكي يحضر بشكل جيد لهذه الزيادة ويعيد كتابة الخطاب الذي سيلقيه أمام الكنيست لقد كان عنصر المفاجأة في صالحة . ولم يتوفر للإسرائيليين الوقت الكافي للرد . إذا أخذوا على غرة ، ذلك أن السادات لم يخبرهم قبل التوجه إلى القدس إلا بأربع وعشرين ساعة . أعتقد أنه لو كانت أمام بيغين أيام إضافية لكان تدخله مختلفا ."

وحتى وقت اعلان السادات لمبادرته بل ووصوله إلى إسرائيل ، فقد كان أمر مباحثات التهامي " و" ديان" خافياً على وزير الدفاع الأسرائيل " عايزر فايتسمان"!

وفي مذكراته يعترف " فايتسمان" بصراحة قائلا:

" انني لم أحتج على عدم إطلاعي سلفاً بقاء التهامي وديان "، وعلى الرغم من أن إجتماع التهامي وديان قد صور فيما بعد بأنه مهد الطريق أمام زيارة السادات ، فأن هذا غير صحيح تماماً ، ومع ذلك فقد أعطى الزعامة السياسية الأسرائيلية فكرة عن الموقف المصري المتوقع وكان واضحاً بأن السادات سيأتي حاملا معه طلباً بالانسحاب من كافة المناطق ."

لكن أخطر ما يكشف عنه " فايتسمان " في نفس المذكرات قوله :

"مع بداية النزاع حول الصحراء المغربية في عام ١٩٧٥ ، بحث الملك الحسن الثاني عن تأييد دولي لمواجهة القوات الجزائرية وجبهة البوليزاريو، وقرر الأستعانة بالجالية اليهودية أيضاً ، وبدأ في الدعوة لدمج " العبقرية اليهودية مع العربية ! ، وحاول إقناع السادات والأمراء السعوديين بالسعي إلى التفاهم مع " إسرائيل " (!!)

بواسطة الملك الحسن التقي ديان للمرة الأولى بنائب رئيس الوزراء المصري ، وجري للقاء في القصر الملكي بحضور الملك نفسه وعدد من كبار وزرائه ، وتحدث " التهامي" في اللقاء بلهجة قاسية ، وأكد في مستهل حديثه بأن السادات يعتبر الانسحاب التام من كافة المناطق المحتلة شرطاً مسبقاً لأية تسوية سلمية ، ولن يكون هناك مكان لإتصالات أخرى مالم تعلن " إسرائيل " عن إستعدادها للانسحاب من المناطق المحتلة حتى أخر سبتمبر ، بما في ذلك القدس أيضاً .

◘ ◘

وإضافة أخرى لما جرى في مباحثات المغرب يرويها الكاتب الصحفي " إيريك سيلفر" حسبما جاءت في كتابة " بيجن " سيرة حياته " فيقول :

"كان الملك الحسن ملك المغرب رئيس الدولة العربي الأكثر قبولا لفكرة إجراء حوار مع إسرائيل ، وزارة " اسحاق رابين " بصفته رئيسا للوزراء متنكراً باستخدام شعر مستعار ونظارة شباب ، وفي شهر سبتمبر (١٩٧٧) بعد جلسه تمهيدية مع ممثل كبير للموساد وجه الملك دعوة إلى " موشى ديان " لزيادة القصر الملكي في مراكش ، وبناء على طلب من وزير الخارجية ، أرسل الملك الحسن رسالة للقاهرة تقترح عقد لقاء مصرى إسرائيلي على مستوى عال !!

وفي غضون أربعة أيام من عودة ديان إلى القدس ، جاء الرد بأن المصريين على إستعداد لذلك ، وأقترحوا عقد إجتماع أما بين السادات وبيجن أو بين " حسن التهامي " نائب رئيس الوزراء المصري في ذلك الحين وبين موشي ديان " ، وعلى الرغم من التحفظات التي أبداها ديان ، فأن بيجن كان مستعداً للتوجه فوراً إلى اجتماع القمة ، إلا أن المصريين في ذلك الحين أعادوا النظر في الموضوع ، واستقر الرأي على إجراء المحادثات بين ديان والتهامي في الرباط يوم ١٦ سبتمبر .

وبالرغم من أنه كان من المفترض أن تكون تلك المحادثات سرية ، فقد كان الأميريكيون على علم بها من خلال المغرب فيما يبدو ، وتوقف وزير الخارجية في أوربا وهو في طريقة للولايات المتحدة ، وأختفي في بروكسل وانطلق بطريق البر إلى باريس ثم بطائرة خاصة إلى المغرب بعد أن وضع شعراً مستعاراً وشارباً ونظارة شمسية على عينة طوال الطريق !

ثم يروي "ايريك سيلفر " ما جرى بين ديان والتهامي قائلاً :" وعلى الرغم من احترام كافة المجاملات فإن النجاح لم يحالف مؤتمر الرباط ، وقال التهامي أن السادات وافق على فتح حوار مع إسرائيل ، إلا أنه لن يجتمع مع رئيس وزراء إسرائيل ويصافح يده إلا بعد أن يقبل بيجن " مبدأ الإنسحاب الكامل من الأراضي المحتلة .. وكان ديان فاترا ولكن غير ملتزم ، وكان عليه أن يرد على رئيس الوزراء ، وعلى نحو متوقعاً رفض "بيجن " تقديم أي تعهد بالأنسحاب الشامل والتزام التهامي بقوله وهو مسلم متشدد لا يشعر بالمواه تجاه إسرائيل ، وأبلغ ديان بأنه لن ينعقد أي إجتماع للقمة حتى يجلو أخر جندي إسرائيلي من الأرض العربية ."

وتقرر إجراء جولة ثانية من المحادثات بين ديان والتهامي بمجرد أن يتلقوا تعليمات جديدة من القدس والقاهرة .

لكن حسبما يؤكد " ايرك سيلڤر" فأن السادات لم يكن لدية صبر على الديبلوماسية السرية البطيئة ، كان يشعر بضيق تجاه التفاصيل ، بعدم إكتراث تجاه البروتوكول."

▫ ▫

وحسب ما جاء في كتاب " عام الحمامة " أيضاً فأنه .

لم يقع الأختيار على المغرب إعتباطاً أو بطريق الصدفة ، ذلك أن العائلة المالكة في المغرب لها تاريخ طويل في رعاية اليهود واقامة علاقات تتسم بالود معهم . وقد رفض .. محمد الخامس - والد الملك الحسن - أثناء الحرب العالمية الثانية تطبيق القوانين المعادية للسامية ا لتي أصدرتها حكومة فيشي على الرعايا اليهود في المغرب ، ولم يكن اليهود يعاملون معاملة طيبة في المغرب فقط بل إنهم ومنذ القرن ١٧ كانوا يشغلون عدداً من الوظائف الهامة في البلاط الملكي .

وهكذا فقد كان للمغرب على عكس الدول العربية الأخرى علاقات خاصة مع إسرائيل ، كما سمح بهجرة اليهود المغاربة بشكل جماعي إلى اسرائيل في الخمسينات من هذا القرن وقد تدعمت هذه العلاقه الخاصة بعد نشوب النزاع حول الصحراء المغربية ، فقد ساعدت إسرائيل .سعياً وراء تنمية روابطها بالمغرب - الملك الحسن عن طريق تقديم النصح إليه فيما يتعلق بادارة الحرب في الصحراء ، كذلك قام الخبراء الاسرائيليون بتدريب الجنود المغاربة على كيفية قتال رجال العصابات الصحراوية ، وكان " الحسن" يسعى للحصول على التأييد الدولي ، وقد قرر الملك الحسن أن يحصل على ذلك عن طريق الطائفة اليهودية وبدأ يدعو علناً إلى مزج " العبقرية اليهودية بالقوة العربية .

كما دعا الملك الحسن اليهود المغاربة الذين هاجروا إلى إسرائيل لزيادة المغرب ، بل والعودة للاقامة هناك . وفي نفس الوقت كان يحاول إقناع السادات والأمراء السعوديين الذين كانوا كثيراً ما يقومون بزيارته بالسعي للوصول إلى تفاهم مع إسرائيل .

وهكذا فأن صداقة المغرب مع المملكة العربية السعودية ومع مصر قد جعلت من الملك حسن حلقة وصل هامة بين اسرائيل وبين الدول العربية المعتدلة .

ويضيف مؤلفو كتاب " عام الحمامة " بعد ذلك :

وبهذه الخلفية اقترح ديان على بيجن احياء المبادرة التي كان سلفه ..اسحاق رابين " قد بدأها في المغرب ، ووافق بيجن !!

وطلب ديان الاطلاع على كافة الوثائق المتعلقة بجهود السلام والحديثة منها بوجه خاص، ومن بين الوثائق الأخيرة كانت هناك وثيقة تحمل توقيع اسحاق رابين ، وتبين بشكل تفصيلي إتصالاته بالمغاربة .

وكانت الصحف الاجنبية (غير الاسرائيلية) قد نشرت أبناء مفادها أن اسحق ربين قام في شهر أكتوبر ١٩٧٦ بزيارة رسمية للمغرب بناء على طلب الملك الحسن الذي أبلغ رابين أنه قد أصبح يخشى من الاتجاهات الراديكالية في العالم العربي (!!)

وقال الحسن (لرابين) أنه يعتقد أن السادات سوف يضطر إلى العودة أن أجلا أو

عاجلاً إلى منطقة النفوذ السوفيتي إذا لم تتحطم الدائرة المغلقة التي يدور فيها الصراع العربي الاسرائيلي .

وسأل رابين مضيفه عن السبب الذي جعلة يدعوه وهو رئيس وزراء إسرائيل لزيارته في قصره الملكي وابتسم الحسن وأفاض الملك في الشرح ثم اقترح الحسن أن يلتقي رئيس الوزراء الاسرائيلي بولي العهد السعودي الأمير فهد " الرجل القوي ووريث العرش السعودي ووافق رابين ، وقال الحسن أنه سوف يبلغ الأمير فهد الذي يمتلك قصراً في المغرب يقضي فيه أجازاته احيانا ، كما أتفق الرجلان (الحسن ورابين) على أن يلتقيا مرة آخرى.

وقبل أن يغادر رابين المغرب إلى باريس في طريقة إلى إسرائيل ترك سؤالين مكتوبين في ورقة صغيرة وضعت على مكتب الملك الحسن ، وكان السؤالان موجهان إلى الرئيس السادات وهما :

١. ما الذي تريده مصر في مقابل إنهاء حالة الحرب ؟!
٢. ما الذي تريده مصر في مقابل معاهدة سلام ؟!

◘◘

وفي سبتمبر ١٩٧٧ غادر " ديان " اسرائيل إلى نيويورك ، ثم وصل إلى " طنجة" حيث أخذ إلى أحد قصور الحسن ، حيث أخذ الملك ووزير الخارجية الاسرائيلية يتبادلان الأحاديث العادية انتظاراً لقدوم ضيف آخر ، وسرعات ما فتح باب الملك ، ودخل نائب رئيس الوزراء المصري " حسن التهامي " ووقف الرجال الحاضرون وقام مستشار الملك " بن سودة"بتقديم " ديان " إلى . التهامي " .

وابتسم التهامي وقال :

- ليست هناك ضرورة لتقديم السيد فأنا أعرفه جيداً !

تصافح الرجلان ، ودخل ديان إلى الموضوع مباشرة فقد سأل التهامي :

- هل تريدون السلام حقاً ؟!

وأجاب التهامي :

- نريده بقدر ما تريدونه أنتم على الأقل !!

وقال ديان :

- أنني أقترح ترتيب لقاء بين بيجن والسادات ، كما أقترح بيجن على شاوشيكو في رومانيا !!

ورد عليه التهامي قائلا :

- لن يضع السادات يده في يد بيجن طالما كان هناك جندي إسرائيلي واحد في الأرض المحتله ."

وكان المساء قد حل ، وكان الجوطيباً ، وطعام العشاء أكثر من ممتاز ،وكان الملك الحسن يأتي ويذهب بين الحين والآخر ، وكان كثيراً ما يترك الرجلان وحدهما أثناء المناقشة.

وبعد سبع ساعات من المناقشات ودع ديان والتهامي أحدهما الآخر في حضور الملك الحسن ، وضغط ديان على التهامي كي يؤكد الآخير أن الأتصالات بين اسرائيل ومصر سوف تستمر وأيده الملك الحسن في ذلك .

ورغم أن " الحسن" كان في قلب الصورة بالكامل إلا إنه فوجئ تماماً بقرار السادات التاريخي بالسفر إلى إسرائيل !!



١٣

... وفي اليوم الثامن من "كيسلو" سنة 5738 تكلم السادات !

في تمام الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد ٢٠ نوفمبر كان الرئيس السادات قد وصل إلى قاعة الكنيست !!

كان السادات يرتدي بدلة زرقاء وقميصاً باللون السماوى ،" ورابطة عنق " زرقاء مزركشة بنقط بيضاء !

في نفس اللحظة كانت كاميرات التليفزيون ترصد كل ايماءة وخلجة وحركة تصدر عن السادات لتبثها على الهواء مباشرة لكل الدنيا حيث حبس العالم أنفاسه وجلس يتابع ما سوف يقوله السادت مذهولاً وغير مصدق !!

عقدت جلسة الكنيست وفقا لطلبً الحكومة وقرار لجنة الكنيست في يوم الثامن من كليسو " سنة ٥٧٣٨ عبرية !!

لم يتخلف وزير اسرائيلي واحد عن الحضور مبكراً إلى الكنيست ، حتى " عازرا وايزمان " وزير الدفاع تحامل على نفسه - وكانت قدمه في الجبس - وجاء على كرسي متحرك يرتدي بدلة زاهية الألوان !!

كل رؤساء الحكومات السابقين وصلوا أيضاً ، جولدا مائير ترتدي فستان ازرق .

قبل دقائق من حضور السادات قال اسحاق رابين " لأعضاء حزبه : أيها الرفاق عندما يزورنا الرئيس السادات غداً اسمحوا له أن يتكلم ولنستمع إليه .."

وافـتتح " اسحـاق شامير " رئيس الكنيسـت الجلسـة بكلمات من الأنجيل " العهـد القديم " (سفر أشعيا) وقال :

- إقتداء بروح النبي اشعيا ، وعلي هدى من نبوته ..أقدم اليكم مع أحر التهاني ضيفاً عالي المقام ، رئيس جمهورية مصر العربية ، فلنستمع إليه بكل ما في قلوبنا من ود وما في النفس من آمال.

وتقدم الرئيس السادات ناحية منصة الكينست ليلقي خطابه الهام بالفعل ، حيث كل عيون العالم وأذانه تتابعة بكل لغات الدنيا في ترجمة فورية من العربية التي ألقى بها السادات خطابه !!

استغرق خطاب السادات ٥٧ دقيقة بالضبط !!

لم يتابع ..أبا يبان " و" ايجالو آلون " خطاب السادات عن طريق الترجمة ، فقد كان كل منهما يجيد اللغه العربية تماما .

أما الباقون فقد وضعوا السمعات على أذانهم ليتابعوا الخطاب بعد ترجمته إلى العبرية، ومن الأمور التي أزعجت وضايقت رئيس الوزراء "بيجن" حدوث خلل في جهاز الإستماع الخاص به في بداية خطاب السادات ، وعلت الحمرة وجنتيه غضباً وضيقاً ، وحاول ايجال يادين " أن يعطيه سماعته التي لا يستخدمها !

تبادل ترجمة خطاب السادات إلى العبرية أربعة مترجمين ، وكانت الترجمة في بعض الأحيان سيئة وغير مفهومة ، مما أزعج بيجن وساهم في زيادة توتره ، فقد تم ترجمة كلمة "خصم " إلى "عدو" مما دعا بيجن إلى الرد على كلمة لم يقصدها السادات أو ينطق بها . لكنها غلطة الترجمة .

□ □

وانتهي خطاب الرئيس السادات بعد ٥٧ دقيقة بالضبط ، وساد التصفيق المكان ، ولم يكن التصفيق بالشئ المألوف أصلا ، فمنذ نشأة الكنيست وحتى خطاب السادات لم يصفق اعضاءه إلا ثلاث مرات فقط ، وفقاً لتقاليد تقول أنه لا أحد يستحق أن يصفق له الشعب !!

ووسط عاصفة التصفيق قام "بيجن " ورئيس الدولة " إبراهام كاتزير " وصافحا

السادات..وكان تعليق "أبا ايبان" على خطاب السادات هو قوله :" لم يأت بجديد .. فقد كنت أستطيع أن أكتبه بنفسي ، ولكن من المؤكد أن الشرق الأوسط لن يعود أبداً مثلماً كان ."

وفي نشرة الأخبار المسائية قال مذيع التلفزيون الأسرائيلي :

- لقد أستطاع الرئيس السادات أن يغزو إسرائيل كلها بالحب والثقة التي ملأ بها قلوب الناس .

وفي ذلك اليوم يعترف الرئيس " كارتر " بقوله :

- أقمنا قداساً خاصاً في الصباح الباكر في كنيسة " فيرست بابتست " في واشنطن ، وصليت فيه علانية من أجل السلام ، ثم تفرق المصلون كي يعودوا إلى منازلهم لمشاهدة احتفالات الوصول على شاشات التلفزيون ، والقى السادات خطاباً عظيماً حدد فيه بوضوح ما يطلبه العرب من أجل تحقيق تسوية سلمية ، وكان ترحيب الأسرائيليين به كبيراً حقاً

وللخطاب الذي القاه الرئيس السادات في الكنيست قصة طريفة !!

فعقب انتهاء رحلة السادات إلى دمشق ، وفي طريق العودة استدعى الرئيس السادات الكاتب الصحفي الكبير " موسى صبرى " وكلفه باعداد وكتابة هذا الخطاب ، وركز الرئيس في حديثة مع " موسى صبري " على أن يكون الخطاب إنسانياً يخاطب به وجدان الإنسان المحب للسلام ، وعلى أن يكون الخطاب واضحاً في المطالبة بالحقوق العربية كاملة .

ويتذكر " موسى صبري " ما جرى وقتها فيقول :

أقلتنا الطائرة من " أبو صوير " إلى القاهرة وتوجهت إلى منزلي وتمكنت من إعداد الخطاب ، واتصلت بالمرحوم الأنبا صمويل أسقف الخدمات ببطر يركية الأقباط وطلبت إليه إمدادي بآيات من التوراة تتحدث عن السلام ، وبعد نصف ساعة اتصل بي وأملاني أربع أوخمس أيات ، ليس منها إلا آيه واحدة تعبر عن السلام تعبيراً مباشراً

وفي الصباح الباكر توجهت إلى الإسماعلية ، حيث قابلت الرئيس ومعه النائب

"حسنى مبارك " و" أسامة الباز " وكانوا في الحديقة الصغيرة ثم طلب الرئيس أن ننتقل إلى الدور الثاني من مبني الأستراحة وقرأت الخطاب وأعجب به "السادات " وكان "أسامة الباز " قد أعد خطاباً عن الجانب السياسي في المطالب العربية وطلب السادات إدماج ما كتبته مع ما كتبه أسامة الباز .. وترجمته إلى الأنجليزيه.

□ □

وقد سافر مع الوفد المصري " سليم رزق الله " من رياسه الجمهورية لكي يقوم بالترجمة الفورية لخطاب السادات ، وكذلك تصريحاته في المؤتمرات ، وهو حجه في اللغه الإنجليزية ، ولم يرض عن ترجمة وزارة الخارجية للخطاب ، وأستمر يعيد ترجمة الخطاب في حجرته بالفندق حتى ساعة متأخره من الليل ، واستعان بكاتبة على الأله الكاتبة من السفارة الأمريكية (١١) وأذكر أنه في الساعة الواحدة من الصباح احتاج إلى نسخة من الكتاب المقدس (العهد القديم) باللغة الأنجليزية لكي يسجل نص الأية المشار اليها في الخطاب وطلب مني ذلك ، ونزلت إلى إدارة الفندق وسألت موظف الاستقبال و تقدمت سيدة إسرائيلية موظفة بالفندق في الستين من عمرها لتستفسر عن المطلوب ، وزعمت لها أن السادات هو الذي يطلب ذلك ، فبكت حتى اهتزت ، وغابت نصف ساعة ، وذهبت إلى منزلها وأتت بكتاب العهد القديم .

وقبل توجه" السادات " إلى الكينست لإلقاء خطابه ، كان رؤساء تحرير الصحف المصرية قد تسلموا نسخاً من الخطاب ، واستخدمت المخابرات الإسرائيلية عدداً من الصحفيين الاسرائليين لكي يحصلوا منا على نسخة بحجة العمل الصحفي ، ورفضنا جميعاً ، وكان هدف المخابرات الاسرائيلية دراسة الخطاب قبل إلقائه .

وفيما بعد وصف " موشى ديان " مشاعره وانطباعاته بينما كان السادات يلقي خطابة في الكنيست فقال :

كان يبدو على ملامح أعضاء الكنيست بكامل هيئته الترقب الشديد . كانت الشرفات الخارجية المخصصة للجمهور كاملة عن آخرها حتى أن زوجتي "راحيل" لم نجدٍ مقعداً إلا بين المقاعد المحجوزة للدبلوماسيين الاجانب .

وعندما دخل الرئيس المصري ، يرافقه الرئيس الإسرائيلي ، نهض الجميع لتحية الزائر ودوت القاعة بتصفيق حاد استغرق وقتاً طويلاً ، لقد مرت على الكنيست منذ وجد أيام عصيبة تتفاوت بين النجاح والتعثر في الشئون القومية زمن الحرب والسلم ، أيام من المآسي والأنتصارات ، من الأخران والابتهاجات غير أنه لم يشهد على الأطلاق يوماً كهذا اليوم .

دق رئيس الكنيست بمطرقته ورحب بالسادات ، ودعاه لإلقاء خطابه ، وكان على كل من "بيجن " رئيس الوزراء ، وشيمون بيريز " زعيم المعارضة أن يتحدثا بعده. ويضيف موشى ديان " قائلاً :

أستهل السادات خطابه بالفاتحة الاسلامية المعروفه ، أعقبها بسيل من الكلمات المؤيدة للسلام والمناهضه للحرب ... الخ

ولم نكن قد تلقينا نسخه من نص الخطاب مقدماً ، لذا حاولت وهو يتكلم إستيعاب ما يقول وتفهم نواياه في نفس الوقت كان خطاباً موفقاً ، لقي أذان صاغية ، صحيح أنه احتوى على كثير من بلاغة التعبير ومقتطفات من الانجيل والقرآن اتضح فيها رؤية رسالة اخلاقية سامية ، إلا أن هذا لم يقلل من أهمية الجوانب الايجابية لخطابه . كانت مطالب السادات بتنازلات إسرائيل على الحدود والقدس والدولة الفلسطينيه واضحة أشد الوضوح

ولم يكن إلقاء السادات لخطابه مميزاً . كان يتحدث في إستفاضة ، كثيراً ما كان يلتمس طريقة إلى اللفظ الصحيح . ويتعثر في العبارات ورغم ذلك فقد آسر مستمعيه ، وغطت قوة شخصيته على أخطائه الخطابية . كان يشع إخلاصاً ، وكان يخاطب الجميع كما لو كان يتحدث إلى كل فرد منهم على حدة

كنت أعتقد - يعترف ديان - حتى بعد الإنصات إلى مطالبه المتطرفه ، أن ثمة فرصة للتفاهم معه ، شعرت أنه (السادات) صادق في إنهاء سلسلة الحروب المتعاقبة مع إسرائيل وأن من شأن هذه الرغبة أن تقربه من مواقفنا . إننا بحاجة للجلوس معه وجها لوجه وشرح ما يمكن أن تفعله إسرائيل وما تعجز عن فعله .

وتحامل " وزير الدفاع " عايزرا وايزمان على نفسه ، وبواسطة كرسي متحرك وصل

إلى الكنيست ، واتخذ مكانه بالقرب من المقاعد المخصصة للحكومة .

كتب "عايزرا وايزمان " يقول :

- ودخل السادات ، وبدا كما يبدو في التليفزيون ، ما عدا بشرته فقد كان أكثر سواداً ، ولم أستطع رفع بصري عنه ، ولقد شاهدت الحلم يتحقق فجأه . لم تكن لدى أوهام بالنسبة للسادات . فهو لم يكن أبداً من أصدقاء الصهيونية ، كما لم يكن لدى شك بأن على منصة الخطباء يقف رجل ذو شخصية فريدة ، رجل جرئ وذو خيال سياسي نادر ولم يكن باستطاعة رجل آخر غيره إجتياز مثل هذا الطريق الخيالي مجازفاً بذلك بحياته .

لقد زرعت خطوته الأنقسام في العالم العربي . وكنت أمل أن تكون قد اتخذت جميع التدابير للمحافظة على حياته ، وأصبت بالذهول عندما فكرت باحتمال تعرضه للإغتيال في ساحة المسجد الأقصى ، أو في مبنى الكنيست ، أو في أي مكان آخر .

أما فيما يتعلق بخطاب السادات نفسه في الكنيست فيقول " عايزرا وايزمان " مايلي:

- لقد فوجئت بصلابة خطابه ، وتضمين خطابه لهجة تهديد لم تعجبني ، فقد كرر السادات مواقف مصر المتصلبة منذ عام ١٩٧٧ ، وسمعت مثل هذه الأقوال مئات المرات ودائماً ما رفضتها والآن لأول مرة ،أرى الناطق الرئيسي بلسان الدول العربية ، يكرر مطالبه المتصلبة بدون أن يندي له جبين وكان إنطباعي أنه يحاول التقرب وفهم مشاكل ومواقف دولة اسرائيل .

لقد كان الجو حاراً وخانقاً ، والقيت نظرة على الوزراء وعلى أعضاء الكنيست وأدركت بأنهم جميعاً يعارضون مطالب السادات . ورويداً رويداً بدأت أغوص في القلق واليأس، ولم أجد أية امكانية للتوفيق بين المواقف ، وبدأت رائحة الحرب تفوح في أنفي ، وكتبت ورقة لرئيس الوزراء قلت فيها :" يجب الأستعداد للحرب!! فهز بيجن رأسه !

لقد حال الجو الذي ساد قاعة الكنيست ، والترجمة السيئة من " العربية " إلى

العبرية" دون إكتشاف الألغام التي زرعها السادات بخطابه ، كما أن الأنفعال كان كبيراً بحيث لم يكن هناك مجال للانتباه للتفاصيل .

لقد تشجعت من قوله أن مجرد مجيئه يعنى الاعراب عن الاستعداد لقبول دولة إسرائيل" بين أمم المنطقة واعتبرت ذلك انجازاً لايستهان به ، حاولت أن أتفهمه ، وقلت لنفسي أنه يتوجه بخطابه للدولة العربية أيضاً ، والدليل على ذلك رد الفعل العربي الغاضب على الخطاب

ثم يضيف وزير الدفاع " عايزرا وايزمن " في ملاحظاته ما يلي :

"إنني لم أعتقد بأنه جاء إلى القدس ليرفع راية الاستسلام ، ولكنني رغبت أن يكون واسع الصدر وأن يتحدث حول السلام ، لقد تحدث السادات في خطابه ،عن إعترافه بمشاكل إسرائيل الأمنيه ، ولكنه حمل معه من القاهرة أيضا شروط الحرب الجديدة وكلما أقترب السادات من نهاية خطابه أدركت بأنه أعدلنا مفاجأة " يوم غفران"سياسية، فقد نقل الحرب من سيناء إلى القدس ،واستهل هذه الخطوة باجراء تظاهري مذهل ، ووضعنا في وضع صعب أمام العالم أجمع (١)

◘ ◘

ويصف مؤلفو كتاب " عام الحمامة " ما كان يجرى وقتها قبل وأثناء خطاب السادات كان بيجن يريد أن يعرف مقدماً ما الذي سيقوله الرئيس السادات أمام الكنيست ، حتى يستطيع أن يعد الرد المناسب ، ولكن المصريين رفضوا ذلك تماماً .

وكان الجو السائد في الكنيست مزيجاً من الابتهاج و التوتر (١١) وكان قد سمح الاعضاء لأول مرة في تاريخ الكنيست ، بالتصفيق لأحد الضيوف ، كما وضعت قواعد للمراسم خصيصاً لهذه المناسبة ، ولم يدخر جهد من أجل التدليل على الأحترام الذي تكنه إسرائيل للرئيس المصري .

كان دخول الرئيسان المصري والأسرائيلي ، يخطف الأنفاس ، وحيا نداء النفير وصول الرئيس المصري لمبنى الكنيست الذي ظل أعضاؤه يصفقون في حماسة لوقت طويل ، ولم يلحظ أحد تقريباً أن عدداً من أعضاء الكنيست ظلوا جالسين على مقاعدهم ممتنعين عن التصفيق .

اتجه السادات إلى المنصة وكان مكبر الصوت قد جهز دون أن يعرف بجهاز لقياس درجة توتر الأصوات ، وقد وجد فيما بعد أن ابرة الجهاز قد قفزت قليلا عندما كان السادات يتحدث عن التسوية والتصالح ، وكان الأعضاء يتابعون الخطاب الذي كان الرئيس المصرى يلقيه باللغه العربية عن طريق الترجمة الفورية من السمعات !!

ثم ينتقل مؤلفو الكتاب إلى أهم وأبرز الملاحظات التي سادت الكنيست والسادات يلقي خطابه فيقولون :

– ساد التوتر قاعة الكنيست .. كان واضحاً أن السادات لا ينتقي كلماته ، أو يصبغها بطابع المجاملة ، وادرك الوزراء وأعضاء الكينست الذين ظنوا أن السادات سوف يقصر خطابه على ما هو موضع إتفاق مشترك إنهم كانوا غارقين في الوهم !!

اقتصرت استجابة الحاضرين في الكنيست وقد صدمتهم صراحة السادات ، على تصفيق فاتر يفتقد للحماس ، بل أن " بيجن " و" شارون " و" جور" لم يشاركوا حتى في هذا التصفيق غير الماس ، وقد يكون تعليق وزير الداخلية " جوزيف بورج " أكثر تحديداً للمشكلة فقد قال بورج :

– لقد كان خطاب السادات صريحاً وقد عرض موقفه في وضوح ، وكذلك خطاب " بيجن ومهمتنا الآن هي أن نبني جسراً بين الخطابين

□ □

أما اسحاق رابين " وزير الدفاع ورئيس الوزراء فيصف خطاب السادات بأنه " ضربه سياسية موفقه " ويضيف قوله :

وبعد كل حديثه – إذا ما وضعنا جانباً المظاهر القانونيه والشكلية للخطاب – ماذا نجده – ياترى قال لنا ؟!

وقد قدم (السادات) لإسرائيل في مفاهيم عملية وبطريقة مؤثرة للغاية ، بل وبمجيئه للبلد ومخاطبته الكنيست ، وخلقه ثورة حقيقية في إتجاهنا ونحو مصر ، قدم عرضاً محسوباً ويتسم بالذكاء ألا وهو : قبول نظريات كارتر وهي سلام شامل كامل مع تطبيع العلاقات وإنسحاب لخطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ وقيام كيان فلسطيني مستقل ويضيف اسحاق رابين قائلا :

– أن عدونا الأكبر حضر إلى إسرائيل مقدماً لنا شروطاً أكثر قرباً لنا مما قد يكون أفضل أصدقائنا في العالم وهي الولايات المتحدة على إستعداد لتقديمه لنا ، كما نجح في نفس الوقت في تجريد بعض مواقفنا الأساسية الراسخة من قوتها عندما أعلن : أفهم حاجتكم للسلام ، ولكن لا أفهم حاجتكم للأرض !!

أن مجرد مجئ زعيم عربي ممن شنوا الحرب ضد إسرائيل الينا وتقريره حاجتنا إلى الأمن وضرورة ايجاد وسيلة لتحقيق مآربنا الشرعية يعتبر ذلك في حد ذاته إتجاها ثورياً بشكل قاطع ، لقد كان تصريحاً لم نسمعه من قبل ، حتى ولو من أفضل أصدقاء إسرائيل.

وفي النهاية – لا زال الكلام لاسحاق رابين " ليس هناك أدني شك في إنه لو كان السادات قد قدم أي – عرض لإسرائيل أثناء مقابلة سرية مع رئيس الوزراء بيجن أو في حديث تليفزيوني من القاهرة ، لو كان السادات قد فعل ذلك ، لم يكن يؤدى نفس الأثر المثير على إسرائيل ، لقد كانت فكرة تقديم العرض للشعب الاسرائيلي بنفسه ، وفي القدس " ضربة معلم " ولا أعتقد إنه بدونها كان سيوجد كثيراً من الاستعداد لدى الشعب الاسرائيلي لتقديم الكثير من التنازلات.

□ □

ويتوقف " ديفيد كيمحي " مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلة أمام خطاب السادات في الكنيست بالدهشة والحيرة والارتباك ، ولم يكن وحده الذي أحس بهذه الدهشة والحيرة والارتباك ، ولكن كل الأسرائيليين أحسوا بنفس ما أحس به وأكثر.

كتب " ديفيد كيمحي " يقول : ازدادت حيرتنا بعد إلقاء السادات خطابه ، بالفعل قدم السادات إلى الكنيست بحالة من النشوة متحدياً كل من حثه على عدم المجازفة بقيامه بهذه الرحلة إلى القدس تحدي عائلته ووزراءه وأصدقاءه وبعض الأمريكيين والرئيس السوري والعاهل السعودي والسفير البريطاني . كان قد أمضى قبل ذهابه إلى الكنيست ثماني عشرة ساعة في إسرائيل وصلي في المسجد الأقصى في مدينة القدس القديمة . وكم كانت دهشته وفرحته كبيرين أمام الترحيب الصاخب الذي حظى به في إسرائيل من اليهود والعرب على حد سواء ؛ فهو لم

يتوقع أبداً ولم يصدق محيطيه ماحصل ، إذ أنه لم يألف هذا الود غير الرسمي والحماسة العارمة لكن هذه الحماسة لم تفتعل . كان الجمهور صادقاً يبعث الدفء في القلوب إلا أن السادات أساء فهم هذا الترحيب فتعزز افتراضه الخاطئ الذي حمله معه إلى القدس . لكن قبل أن نتطرق إلى هذا الخلل الخطير في الزيارة إلى القدس يجدر بنا التعمق في النظر إلى خطاب السادات أمام مجلس الشعب في القاهرة .

بدأ السادات خطابه بإظهار البعد النفسي الشاسع الذى يفصل بين مصر وإسرائيل والشك الكامن وراء قراره زيارة القدس ، من ثم شرع بتقديم عرضه . وعلى التأكيد إنه لا يخاطب الكنيست أو الشعب الإسرائيلي إنما جماهير الناس الذين يستمعون إلى الخطاب عبر شاشات التليفزيون في الولايات المتحدة وفي أوربا والبلدان العربية حيث انتصر الفضول على الرقابة . نادراً ما تمتع رجل سياسي بمثل هذا الجمهور المأخوذ .

ويتوقف " كيمحي " أمام أبرز مالفت إنتباهه في خطاب السادات وكان مؤداه مايلي:

علينا اعتماد الصراحة بيننا . فكيف التوصل إذاً إلى سلام عادل ودائم ؟ وبعد طرحة سؤالة الأساسي ، بادر السادات إلى تبديد الآمال السابقة لأوانها والتي قد يستخلصها الإسرائيليون من قراره المجئ إلى القدس .

ولم تتصرف الأمة العربية انطلاقاً من موقع ضعف أو عدم استقرار بل بالعكس تماماً ، فقوتها واستقرارها يمنحانها القدره على صنع السلام . لكن السادات راح يحذر بعد ذلك جمهوره العالمي قائلاً:

"لم آت لإبرام اتفاق منفصل مع إسرائيل " فضلاً عن ذلك ، فإن إسرائيل لن تحصل أبداً على السلام الدائم الذي تسعى إليه من دون حل عادل للمسألة الفلسطينية . وأنهي السادات هذا الجزء بلهجة تنازل ، لكنه من الواضح كان ينظر إلى وضعنا من هذا المنظار ، وعلينا أخذ ذلك بعين الاعتبار حتى لو جعلنا الأمر ننتفض في بعض الأحيان. إلا أن السادات كان متحرراً من أية قيود .

إن أردتم العيش معنا في هذه المنطقة فنحن نرحب بكم بكل صدق . كنا نرفضكم في السابق ، ونرفض جنسكم ، وكانت لنا دوافعنا ومآخذنا على ما تسمونه

"إسرائيل " ثم انتقل ، وسط خطابه ، من الأسلوب اللين إلى الواقع القاسي .فعندها بدا لنا أنه يتوجه إلى الكونغرس في واشنطن والبيت الأبيض والجمهور الأميركي الغفير وليس إلى الكنيست في القدس بحد ذاته.

.يبدو أن هذا ما يهمه بالفعل . فالكنيست يوفر المسرح والإطار الخارجي ، أما التحول الحقيقي فسيأتي به جمهوره العالمي أي الأميركين ورفاقه العرب على حد سواء ، وخصص الجزء الباقي في خطابه للتوصل إلى هذا الهدف .

بدأت الصورة تتضح في أذهاننا . أتي السادات إلى القدس ليس للشروع بمفاوضات مباشرة مع إسرائيل ، بل للتملص منها والتهرب من الشرك الذي نصبه كيسنجر أولاً في اتفاق سيناء الانتقالي ووزير الخارجية ديان لاحقاً في المغرب .

ولسنا وحدنا من قللنا من أهمية السادات وأسأنا فهم دوافعه " لمواجهة " القدس ، بل القاده العرب أيضاً وكارتر . أما بقية خطابة فأظهر بوضوح نية السادات المبيته . بدأ يطرح سؤال أساسي بسيط : ماذا يعني السلام بالنسبة إلى إسرائيل ؟

" لم آت لأتوسل إليكم سحب قواتكم المسلحة من المناطق المحتلة لأن هذا شرط بديهي ومسألة لا تحتمل النقاش . فلا معني للسلام طالما استمريتم باحتلالكم أراضي العرب بقوة السلاح ، وما من سلام ممكن من دون الفلسطينيين ، من الضروري إذاً أن تواجهوا المشكلة الفلسطينية .

بعد ذلك وكجزء من خاتمته المفاجئة وضع السادات الأولويات لما يتوجب القيام به تخيلوا اتفاق السلام الذي سيعقد في جنيف ". وأظهر لنا الترتيب ، الذي يجب أن تتم التسويات طبقاً له ، جانباً مهماً من تفكير السادات حول هذه المسألة الفائقة الأهمية .

أولاً : ينبغي عقد اتفاق سلام مرتكز على انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلها في العام ١٩٦٧ . يليه تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني بما فيها إنشاء دولتهم الخاصة ، ويتبعه حق دول المنطقة كافة في العيش بسلام وعدم اللجوء إلى القوة بين الدول . وأخيراً وضع حد لحالة الحرب .

لم يأت على ذكر فتح الحدود والعلاقات الدبلوماسية والتطبيع . فبمفهوم السادات

تشكل هذه المسألة نغمة للمستقبل أي بعد خمس أو عشر سنوات ، وقد تستغرق جيلاً أو أكثر ، رغم أنه يشير إليها في خطابه أمام الكنيست ، كان ذلك بالفعل جدول أعمال للسلام يكشف الكثير من الوقائع المخيفة كحقيقة زيارة السادات إلى القدس التي كنا نميل إلى محوها بكياسة الترحيب الذي قمنا به ، فبدأ عندها تعلمنا لفن صنع السلام ، وسيتبعنا السادات في وقت لاحق . ورحنا نتساءل ما إذا كان السادات يعي ذلك الوقت الذي استمعنا إلى كلماته الختامية : " قدمت لتسليم رسالة فهل تم تسليمها ؟.

اقتنع بعض الإسرائيليين حسني الإطلاع بنهاية خطاب السادات بأنه استغل إسرائيل بطريقة ذكية ليؤمن لنفسه إطاراً مقنعاً يمكنه أن يتوجه من خلاله إلى الأميركيين . وهم اهتمامه الأكبر . وإلى العالم قاطبة بشكل عام بما فيه رفاقه الحكام العرب . ولكن، في ضوء معرفة السادات العميقة التي اكتسبناها ، لا اعتقد بأن ذلك هو السبب الوحيد لمجيئه إلى القدس . فمفتاح زيارة السادات مختلف كل الاختلاف ويضيف "كمحي" قائلاً:

سجلت زيارة السادات إلى القدس تخليا رسميا عن النظرة الأصولية إلى إسرائيل التي سادت زمناً طويلاً فأتي ذلك بنظر السادات اعظم هديه يمكن أن يحملها إلي القدس هديه تحتاج اليها اسرائيل اكثر من أى شئ آخر ، واستاء وتفاجأ عندما علم أن بيجن والإسرائيليين لم يقدروا معناها .

لكن ماذا عن خطاب " مناحم بيجن" نفسه !!

كيف أستقبله الاسرائيليون عامة والاسماء البارزة خاصة ؟!

لقد فوجئ " بيجن " تماماً بخطاب السادات ، لقد حاول بيجن الحصول على نسخه من خطاب السادات بكل الطرق لكنه فشل !

قال " عايزرا وايزمان ":

أن بيجن لم يعلم بمضمون خطاب السادات سلفاً ، واضطر إلى الرد عليه بخطاب مرتجل وكان بيجن في وضع لا يحسد عليه ، فقد كان السادات في مركز الدراما،

ورد بيجين بنيران مدافع الهاون على مدفعية السادات الثقيلة !!

ثم يضيف وايزمان قائلا: " ووجدتني غارقاً في تفكير عميق .. ماذا سيحدث الآن؟!

ووصف موشى ديان " ما جرى وقتها فقال :

عندما خفت حدة التصفيق ، كان الدور على بيجن لاعتلاء منبر الخطابة ، إتسم خطابه بالايجاز والطلاقة ، رغم إنه لم يفتقر أيضاً إلى البلاغة اللغوية في التغنى بالسلام والاستشهاد بمقتطفات من الكتب المقدسة ، ومع ذلك فإني اعتقد أن خطابه أيضا لن يتخذ مكانا بارزاً في سجلات التاريخ ، ولكن إنصافاً لبيجن ، كان الجانب الجوهري من خطابه يتمثل في وضوح موقفه من مطالب السادات . قال بيجين أن الرئيس المصري يدرك قبل مجيئه إلى القدس أنآ آراء اسرائيل حول الحدود الدائمة تختلف عن آراء مصر ، وحث السادات على عدم استبعاد أي موضوع بزعم أنه غير قابل للتفاوض فالحكومة الاسرائيلية ترى أن كل شئ قابل للتفاوض ، وأنه لا ينبغي لاي طرف أن يضع شروطا ، أن أعيننا مفتوحة وأذاننا صاغية لأى اقتراح

وتجاهل بيجين المسألة الفلسطينية تماما وركز على القدس ، مشيرا إلى أنه منذ توحيدها عام ١٩٦٧ وحرية الدخول إلى الاماكن المقدسة مكفولة لجميع الاديان وقال "أن بوسعنا أن نضمن للعالمين الاسلامي والمسيحي كفالة حرية الدخول إلى هذه الاماكن على افتراض أن اسرائيل لا تعتزم التخلي عن السيطرة على القدس الموحدة ، رغم أنه لم يعلن عن ذلك بالتحديد كذلك فإنه لم يشر إلى حقيقة أن القدس عاصمة اسرائيل .

وفيما يتعلق بالاجراءات أعرب بيجين عن استعداد اسرائيل للاشتراك في مؤتمر جنيف مع كل الدول العربية التي تريد الحضور وانه يجب ان يتم اجراء المفاوضات على اساس قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ وان السلام لابد وأن يكون الاعلان عن انهاء حالة الحرب بمثابة الجملة الاولي في اتفاق السلام . وأنه إذا ماأراد الرئيس اجراء مباحثات مسبقه مع اسرائيل ، فإن اسرائيل على استعداد للقيام بذلك . وانه بوسعناً أن نبدأ من ذلك اليوم. - وقال موجها حديثة إلى السادات - أو من اليوم التالي ، ومواصلتها في القاهرة أو في أي مكان أخر .

وباختصار شديد كان الاهم من خطابي " السادات " و " بيجين " هو الجو الاسطوري نفسه والعاصفة التي صنعها السادات ، وسادت العالم كله !!



١٤

الحوار الممنوع
سفير مصر وسفير إسرائيل

وصودرت مجله روز اليو سف

وفي سرعه شديدة تناقلت وكالات الانباء العالميه الخبر

كانت روزاليوسف وقتها اكثر المجلات الاسبوعيه توزيعا وفاق توزيعها المائه وخمسين الف نسخه أسبوعيا

وظهرت صحفيه الاهرام يوم ١٧ مارس ١٩٧٥ بخبر صغير يقول أن عطل فنى هو السبب فى عدم صدور روزاليوسف

ولم يكن ذلك صحيحا كان السبب الحقيقى هو نشرها لنص الحوار التليفزيونى المثير بين سفير مصر سعد الشاذلى وسفير اسرائيل فى لندن جدعون رافائيل على سبعه صفحات كامله.

وفي الكواليس دارت حوارات ومناقشات كان اطرفها الكاتب الكبير "عبد الرحمن الشرقاوى " رئيس مجلس ادارة روز اليوسة ، والكاتب الكبير "صلاح حافظ" رئيس التحرير وقتها:

وروي لى "صلاح حافظ " تفاصيل ما جرى لكن الاهم من هذة التفاصيل هو الحوار نفسه واسرار ما جاء على لسان السفيرين.

■ ■

حصلت "روز اليوسف" على النص الكامل للحوار التليفزيوتى الذى جرى بين سفير

مصر وسفير اسرائيل فى لندن

ان هذا الحوار الذى اذاعه التليفزيون البريطانى فى فبراير الماضى قد أحدث ضجه عالميه.وكانت له ردود فعل رسميه بعيدة المدى.

وفيمايلي تفاصيل القصة كاملة وتفاصيل ما حدث بعدها أيضاً.

فوجى مشاهدو التلفزيون البريطانى ، فى ١٢ فبراير الماضى ، بالمذيع المشهور "دنيس توهاى" يفتتح برنامج "منتصف الاسبوع" بقوله :

– لدينا الآن فى الاستديو ، ولأول مرة فى التاريخ ، كل من سفير مصر وسفير اسرائيل؛

– وقال المذيع : ان المناسبه التى دفعت الى تدبير هذا الجمع بين السفيرين هى رحله هنرى كيسنجر الى الشرق الاوسط ، التى يحاول فيها البحث عن مخرج من العقدة التى تبدو بلا حل فى المنطقة .

ولم ينس المذيع – من باب الأمانه – ان يقول ان هذا الحوار ليس مباشرا بينهما ، فكلاهما فى الاستوديو حقا ، ولكنهما لا يتبادلان أى حديث ..وكان الاتفاق قد تم بين السفير المصرى والتلفزيون على أن يخصص "ستوديو " لكل واحد من السفيرين .. ولكن السفير المصرى فوجئ بوجود السفير الا سرائيلى معه فى الاستوديو نفسه وباعتذار التلفزيون البريطانى له قبل التسجيل عن استحالة توفير أستوديو آخر منفصل .. ولم يشأ السفير المصرى ان ينسحب ويترك المجال للسفير الاسرائيلى وحده؛ وبدا الحوار .

– قال المذيع : جنرال شاذلى.. دعنى اسالك فى البدايه :ماهى الشروط التى يمكن أن تقبلها مصر لاجراء تسويه مع اسرائيل ؟

– فاجاب السفير المصرى ، سعد الشاذلى : أ حب أن أذكر بان مصر ،كعضو فى مجمرعة الدول العربية ، قد شاركت فى مؤتمر الرباط .. والتزمت بالا تجرى اتفاقا منفردا مع اسرائيل .وقد أصبح هذا واضحا للجميع . ولكن الرئيس السادات اعلن ،فى نفس الوقت ، أن هذا لايتناقض مع قبول أى انسحاب اسرائيلى من سيناء..

ولكننا لا يمكن أن نعقد إتفاقية منفردة.

- المذيع : باعتبارك جنديا شارك فى حرب ١٩٧٣ ، هل يمكن أن أطلب منك إيضاحا للاهمية الاستراتيجية لسيناء؟

- سعد الشاذلى : أن أهمية سيناء لمصر كأهمية أية بوصة مربعة من أ رضها ، والمسالة ليست اهمية استراتيجية أو غير استراتيجية ، وانما هى مسالة أرض مصرية أم غير مصرية .

- المذيع : وماذا عن الممرات ؟ عن الممرات الشهرية متلا والجدى ؟

- سعد الشاذلى : ربما ترى (على ضوء الخريطة) أن هناك جبالا تفصل شرق سيناء عن غربها .وفى هذه الجبال ممرات تخترقها. وهى ممرات هامة جدا بالطبع من الناحية العسكرية .فمن يحكم هذه الممرات يستطيع أن يفصل شرق الجانب أو ذاك .

- المذيع : أذن هى حيوية لأمن بلادكم ؟

- سعد الشاذلى : بالطبع هى حيوية لأمن السويس . ولكن سيناء كلها ، بالنسبة لمصر، جزء من أرضها .

- المذيع : ولكن اذا كانت هذه الممرات حيوية لمصر فانها حيوية كذلك بالنسبة للاسرائيلين .ويقال الآن إ نكم قد تقبلون العودة اليها تحت أ شراف الامم المتحدة .فهل أنتم مستعدون لقبول ذلك ؟

- سعد الشاذلى : هناك كثير عن مقترحات وعروض مختلفة .ولكن فى حدود علمى أن مصر لم تتلق - حتى يوم أمس - اية عروض من كيسنجر أو من غيره ، وليس فى وسعى أن اجيب على شائعات ..ولكننا ،لصالح السلام ، مستعدون طبقا للاتفاق على أى انسحاب .. بشرط الا يصحب ذلك اي تنازل ..لأن هذة أرضنا ، ولنا الحق في الحصول عليها دون اي تنازل .

- المذيع :وماذا عن الضمان المكتوب (الذي يقول الأسرائيليون انهم يريدونة منكم) بالأ تشنوا الحرب عليهم ..كشرط للتنازل من جانبهم ؟ ولماذا لا تقدمون مثل هذا الضمان؟

- سعد الشاذلي :اذا كنا ساذجين إلي حد تقديم ضمان كهذا في مقابل انسحاب

جزئي ،فما الضمان الذي تقدمة لي - أنت أو غيرك ؟ لو حدث هذا ،ثم هاجمتهم ، لصرت أنا المعتدي مع انني احاول استرداد أرضي ، أننا مستعدون لانهاء حالة الحرب مع اسرائيل عندما نصل الي اتفاقية سلام تحل كل المشاكل بيننا . عندئذ لا تعود هناك حاجة لاستمرار العدوان . هذا هو التنازل الوحيد الذي نحن علي استعداد لتقديمه . وسنقدمه بعد التوصل الي اتفاقيه سلام .

- المذيع : اخيرا ، وقبل ان اتحول بالاسئلة الي السفير الاسرائيلي الموجود الآن في الاستديو هل تري انه توجد بالفعل امكانية للتوصل الي اتفاق تدريجي .. خطوة بخطوة .. بين مصر واسرائيل ؟

- سعد الشاذلي : اعتقد اني اجبت سابقا علي هذا السؤال اذا كنت تعني بالحل خطوة خطوة تقديم تنازل في مقابل تنازل فهذا لن نقبله . فمايعتبره الاسرائيليون تنازلا لا نعتبره نحن كذلك لان اسرائيل تتنازل عن شئ لا تملكه . تتنازل عن ارضي آنا ولهذا انا غير مستعد لتقديم تنازل مقابل . ان اسرائيل يجب ان تنسحب ، وان الصيغة النهائية لاية تسوية هي تطبيق القرار رقم ٢٤٢ الذي يقضي بانسحابها .

- المذيع : اشكرك ، جنرال شاذلي ..

وتحول المذيع . من خلال المونتاج ، ليبدأ إلقاء الأسئلة على جدعون رافائيل .. سفير اسرائيل في لندن .

- المذيع : يجب ان اسألك أولاً عن رأيك فيما كان يقول الجنرال شاذلي . وهل تشعر ان هناك أية إمكانية للتسوية مع مصر .. دون الحاجة الي العودة الي جنيف .

- جدعون رافائيل : يجب علي أولاً ان أحيي السفير المصري بترديد مثل عربي يقول - اذا لم اكن مخطئا - : السلام يقود الي الكلام ، والكلام يقود الي التفاهم ، وسوف احاول ان اساهم في هذا التفاهم ، وسأبدأ بما انتهي اليه زميلي المصري . لقد قال : ان المبادئ التى ينبغي ان نهتدي بها هي القرار رقم ٢٤٢ . وانا اتفق معه . ولكن المسألة هي تفسير القرار . فليس في القرار شئ عن الانسحاب الكامل . لقد كنت مشتركا في المباحثات التي أدت الي هذا القرار عام ١٩٦٧ ، عندما كنت سفيراً لاسرائيل في الولايات المتحدة واعلم ان جوهره الاساسي هو تحقيق سلام

دائم قائم علي شروط معينة هي : الاعتراف المتبادل ، والاحترام المتبادل ، لسيادة جميع الدول الاطراف في صراع الشرق الاوسط ...واقامة حدود أمنة يعترف بها بالاتفاق ما بين هذه الاطراف ... والانسحاب من اراضي - وليس من " الاراضي " - التي تم احتلالها في حرب ٦٧ . وحرية الملاحة في ممرات المنطقة المائية . هذه هي الخطوط الاساسية التي يمكن بالتأكيد ان ينتج منها اقتراح سلام معقول .

- المذيع : وهل معتقد ان نسيج هذه الخيوط يمكن ان يقوم به الدكتور كيسنجر ، من خلال سياسة الحل خطوة خطوة .. ام ان المسألة ستنتهي مرة اخري الي " جنيف " ، حيث يتعين عليكم ان تقبلوا مساهمة منظمة التحرير الفلسطينية ؟

- جدعون رافائيل : لن يتعين علينا ان نقبل الا ما نتفق عليه لان صيغة جنيف تشترط الموافقة بالاجماع علي الشكل والمضمون والاجراءات . ونحن سنوافق علي مانؤمن بانه يتمشي مع مسئوليتنا . ومسئوليتنا هي التفاوض علي السلام مع جميع الدول العربيه باشراف مؤتمر جنيف .. وفي اطار القرار ٢٤٢ ، والقرار ٢٣٨ الذي اتخذ بعد الهجوم علي اسرائيل في اكتوبر ١٩٧٣ . وهذا القرار الاخير قد حدد وسيلة التفاوض : وهي المباحثات المباشرة علي اساس القرار ٢٤٢ .

فاذا كان الطرف الاخر مستعدا للدخول في مفاوضات حادة معنا ، تتناول كل المشاكل المطروحة - كما فهمت مما قال زميلي المصري - فاننا نستطيع بالطبع ان نلتقي ونبحث كيفية صنع السلام . ولكنني اخشي ان يكون الطرف الاخر غير مهيأ بعد ذلك وقد يتعين علينا - بالتالي - ان نتقدم خطوة خطوة نحو هذا الهدف .

- المذيع : هل يمكنني ان اعود مرة اخري الي الجنرال شاذلي حول هذه النقطة ؟

ومرة اخري ، ومن خلال المونتاج ، تحول المذيع يسأل السفير سعد الشاذلي :

- المذيع : مارأيك ؟ اعني .. هل انتم مهيأون ؟ هل انتم مستعدون لمفاوضات مثمرة؟ وهل يمكن ان يحدث ذلك ؟

- سعد الشاذلي : حسنا .. انك تستطيع بالطبع ان تتفاوض عشر سنوات ، وربما عشرين ، دون ان يسمح لك الطرف الاخر باية ثمرة . وعندئذ لا يعود هناك حل . ان الواجب - عندما يكون الجانبان علي طرفي نقيض - ان يوجد طرف ثالث يحدد من

المصيب ومن المخطئ .

- المذيع : هل يمكن ان اسألك اذن عن الدكتور كيسنجر ؟ هل تظن أنة يمكن ان يحطم حلقة الخلاف بينكما ؟ هل في استطاعته ان يعثر علي نقط اتفاق تتناقشاها معاً ؟

- سعد الشاذلي : اعتقد ان الامريكين يستطيعون التوصل الي حل اذا كانوا يريدون ذلك حقا ، واذا ضغطوا فعلاً علي المعتدي ، ان هناك كما تري جانبين تتعارض افكارهما ، ويجب ان يوجد قاض بينهما ، ويجب ان ينصت الي كل منهما ، اما اذا تركنا الطرفين وشأنهما ، فلن يتوصلا ابدا الي حل .. لان كلا منهما سيتمسك بوجهة نظرة ، والاسرائيليون لديهم القدرة علي التفاوض والمناقشه لشهور وسنوات.

- المذيع : ولكن هل تفضل ، او هل تفضل بلادك ، ان تجرب الحل خطوة خطوة ، كاختبار لحسن نوايا الاسرائليين ؟ ام انكم تفضلون ، بسبب التزاماتكم تجاه حلفائكم وتجاه الفلسطينين ، ان تنقلوا المسألة كلها الي جنيف مرة اخري . ؟

- سعد الشاذلي : انها ليست قضية خطوات ، ان علينا ولاشك التزاما تجاه العالم العربي وتجاه الفلسطينين . وقد ذكرت هذا من قبل . ولكن المسألة هي : مامعني الحل خطوة خطوة ؟ اذا كان المعني هو ان نتفق علي حل ثم تنفذه خطوة خطوة .. فلا بأس بذلك ، ولكن اذا كان المعني - كما يفسره الاسرائيليون الآن - هو تنازل من هنا في مقابل تنازل من هناك .. فان ذلك يعني ان اتنازل انا علي طول الخط ذلك ان اسرائيل تساوم بارضي أنا ، تقايض بما لا تملك في مقابل شئ املكه فعلا ، ولقد سبق ان قدمنا تنازلات كثيرة في الماضي لقد كان تنازلا منا قبول اقامة اسرائيل علي ارضنا ، وكان تنازلا قبول مشروع التقسيم ، كل هذه كانت تنازلات ، والآن ننساها ، وتبدأون مطالبتنا بالتنازل من جديد ، ان لدينا في سيناء - علي سبيل المثال - حوالي ١٢٠ ميلا ، واذا جري الانسحاب خطوة خطوة ، وكانت كل خطوة عشرة آميال ، وطلب منا ان نقدم تنازلا بعدها .. فان الدلتا كلها ستصبح منطقة منزوعة السلاح ، لا سيناء وحدها اعند هذا الحد لم يبق كثير من وقت البرنامج ، وقرر المذيع ان يختم " الحوار " بسؤال اخير .. يوجهه - بواسطة عملية المونتاج - الي الطرفين معا .

- المذيع : هل يمكنني ان اطرح سؤالا اخيراً علي كليكما ؟ لقد نقل منذ أيام عن جورج حبشي ، زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، قوله ان هذه المنظمة سوف تفعل كل مافي وسعها لاثارة حرب جديد في الشرق الاوسط ، فهل هناك مايمكن ان تفعله كل من بلديكما لمنع مثل هذه الحرب ؟

- سعد الشاذلي : اسمع ، ليس هناك احد يحب الحرب ، ونحن لسنا تجار حروب ، ولسنا نحارب من اجل الحرب ، ولكن حين تفرض الحرب علينا فاننا ننهض بها ، لاننا نريد حلا عادلا في الشرق الاوسط ، ونفضل لو حصلنا عليه عن طريق العدل الدولي ، عن طريق الامم المتحدة ، لاننا نؤمن حقا بالامم المتحدة ، ومستعدون ان نقبل قراراتها ، ولكن السؤال هو : هل اسرائيل . مستعدة لقبول هذه القرارات و احب ان اذكرك بأن اسرائيل منذ انشائها ، قد رفضت اكثر من ١٥٠ قرارا صادرا عن الامم المتحدة ، كيف يمكنني الاتفاق اذن معها ، او التفاوض واياها ؟

- المذيع : سأعطي الكلمة الاخيرة الآن للمستر رافائيل .. مع تذكيره بحيوية الموضوع الذي يطرحه هذا السؤال .

- جدعون رافائيل : ان الامر الحيوي هو ان كافة الدول ، بما فيها الدول العربيه ، يجب ان تبدأ من امثال ياسر عرفات وجورج حبشي ، انهما من نفس الطراز ، وهؤلاء المتطرفون هم الذين جروا الدول العربيه - وبالتالي اسرائيل - الي اربع حروب او خمس، وردي علي السفير المصري هو اننا مستعدون لتطبيقه من خلال المفاوضات التي حدد مواصفاتها القرار ٢٢٨ .. من اجل اقامة سلام دائم ، هذه سياستنا ، اما ان نصل الي هذا السلام بقفزة واحدة ، او علي مراحل ، فتلك مسألة مفتوحة ، ونحن نعتقد ان التقدم مرحلة بعد اخري اكثر واقعية ، ورغبتنا هي ان نسهل عملية صنع السلام ، ونعجل بها ، الي اقصي مافي وسعنا .

ا- المذيع : ايها السادة ، من المؤكد انكما قد حددتما المشاكل التي تواجه الدكتور كيسنجر في رحلته الي الشرق الاوسط ، واشكركما علي الحضور ، وعلي توضيح وجهات نظريكما .

وانتهي الحوار . ولم ينس المخرج ان يختمه باعلان الملاحظه التي تقول ان كلا من السفيرين لم يتبادل مع الآخر اي حديث مباشر ، وان المذيع اجري حواره مع كل منهما علي حده .

علي ان هذا لم يكن الا الفصل الاول من قصة هذا الحوار المثير .

فقد احدث البرنامج بالطبع ضجة كبري ، واصبح حديث الناس في بريطانيا ، واعتبروه انتصارا تاريخيا للتليفزيون البريطاني ، ولكنهم اختلفوا حول " من الذي كسب " ؟ منطق العرب : ام منطق اسرائيل ؟

ومضي اسبوع .

ثم ظهرت كبري الصحف البريطانيه واقواها نفوذا ..صحيفة التايمز – تحمل رسالة من سعد الشاذلي يقول فيها :

" سيدي المحرر "

" بعد ظهوري في التلفزيون البريطاني في ١٢ فبراير ، حيث كان السفير الاسرائيلي موجودا في نفس الاستديو ، تلقيت مئات من الرسائل والمكالمات التليفونيه من اشخاص لم يسبق لي التعرف بهم .. يؤيدونني ويشجعونني ، ويبدون تفهما كبيرا للقضية العربية التي يبدوا انهم كانوا يعرفون القليل جدا عنها قبل مشاهدة الحديث.

ولكن يجب ان اعترف بانني تلقيت رسالة لم يوقعها صاحبها (ربما لانه يعلم ان اعلان اسمه سوف يكشف عن شئ يهمه ان يخفيه) .. وفي هذه الرسالة لا يقول شيئا عن الحديث نفسه ، أو عن القضية التي كنت احول طرحها علي الرأي العام البريطاني ، وانما يتهمني فقط بسوء الخلق ، ويلعنني لانني لم انظر الي السفير الاسرائيلي ، ولم استجب للروح الودية التي ابداها كما ينبغي ان يفعل كل سيد مهذب .

ويجب ان اعترف بانني احب الاسلوب الانجليزي في الجدل ، وعندي ثقة تامة في الرأي العام في هذه البلاد حين يكون مطلعا علي الحقائق . ولاشك في ان يصدروا حكمهم بعد الاستماع الي مختلف الآراء . وهذا هو السبب الذي من اجله احب ان افسر موقفي غير الودي تجاه السفير الاسرائيلي اثناء ذلك الحديث التليفزيوني .

انني اريد من الجميع ان يتذكروا ان مصر ماتزال في حالة حرب مع اسرائيل . وليس بينهما غير تدبير مؤقت ومهدد ، لوقف اطلاق النار .. يعلم الله الي اين ستقودنا .

ويؤسفني ان اقول انه بسبب عناد اسرائيل ، ورفضها الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، كما يقضي قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .. فان فرص التوصل الي حل يقبله العرب ضئيلة جدا ، واحتمال استئناف العمليات العسكرية بين الجانبين ، نتيجة لاربع حروب قتل فيها عشرات الالاف من العرب والاسرائيلين .

وانا أؤمن اشد الايمان بانه من قيم الفروسية ، ومن خلق السادة ، ان يتصرف الانسان طبقا للحقائق الواقعة . وانه من الجبن والانحطاط ان يخدع الانسان الاخرين بالابتسام في الوجه والطعن في الظهر .

اننا نعلم جميعا ان بريطانيا والمانيا كان لكل منهما سفير في تركيا اثناء حرب "١٩٣٩-١٩٤٥" . واحب ان أسأل الشعب البريطاني عن رد فعله لو كان قد سمع اثناء تلك الفترة ان سفير بريطانيا في تركيا قد قابل السفير الالماني هناك بروح ودية .. بينما الالاف من ابناء هذا الشعب يلقون الموت في الحرب ضد الالمان .

وعلي هذا ، فنحن نأمل ان نتوصل ذات يوم الي حل يمكن بعده ان يحل الحب محل الكراهية ، والتفاهم محل الشقاق ، ويتعلم ابناء العرب والاسرائيلين الحياة معا في سلام ووفاق .. وعندئذ فقط سيكون من سوء الذوق فعلا ان يتصرف السفير المصري مثلما تصرفت في ١٢ فبراير ١٩٧٥.

والان وقد فسرت تصرفي ، فانني احب ان اعرف رأيكم .. وانا اترك الحكم لكم .. وارجوكم ان تبعثوا الي بوجهة نظركم معي او ضدي .. واذا كانت ضدي فانني ارجو ان تذكروا الاسباب . ولتحيا العدالة .. وليحيا الحوار الديمقراطي بين الشعوب الديمقراطيه.

سعد الشاذلي

سفير جمهورية مصر العربية

ظهرت هذه الرسالة في " التايمز " يوم ١٩ فبراير . وبعدها بيومين كانت الصحيفه الكبيرة تنشر تعليقا عليها ، ومن السفير الاسرائيلي جدعون رافائيل .

وكان عنوان رسالة السفير : عندما يلتقي الاسرائيلي والعربي ! وفيها كان يقول :

" سيدي .. "يطلب السفير المصري في رسالته اليكم حكم الرأى العام علي برنامج

"منتصف الاسبوع " الذي ظهرنا فيه معا ويسرني ان استجيب لهذا الطلب .

ان السفير فيما يبدو يعاني شيئا من الحرج ، نتيجة لما يتعرض له من هجوم من جانب بعض العناصر في معسكره .بعد قراره بالاشتراك في حوار تليفزيوني معي .. ولست احب ان اشير الي متاعبه(!)

لكنني ، علي عكسه تماما ، اعتقد ان الافضل له هو ان يرفض الاتهام ، وان يتذكر ان خليفته في اركان الحرب الجنرال الجمسي - قد عقد اجتماعات مباشرة مع الجنرال بارليف عند الكيلو ١٠١ .. لقد كان الجمسي عندئذ مرؤسا للجنرال الشاذلي .. وبعد توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار تصافح هو الجنرال الاسرائيلي امام عدسات التليفزيون.. ووقتها كان كل من ممثلي مصر واسرائيل راضين عن الاتفاق الذي تم عقده ، والذي لم يكن مقصودا به ان يكون مجرد " تدبير مؤقت ومهدد لوقف اطلاق النار " كما يزعم السفير الشاذلي في رسالته ، وانما كان الاتفاق التزاما جادا << بمراعاة وقف اطلاق النار بكل دقه ، في البر والبحر والجو طبقا لقرار مجلس الامن .. والامتناع من لحظة التوقيع علي الاتفاقيه عن كافة العمليات العسكرية او شبه العسكريه ضد بعضهما البعض" . وهكذا جاء في نص الاتفاقيه . اما هدفها فيتضح في الفقرة الاخيرة التى تقرر انها " تمثل خطوة اولي نحو سلم نهائي ، ودائم ، وعادل ".

ان الاتفاقية ، علي عكس مايؤكد السفير الشاذلي ، كانت تمهيدا لسلام دائم ، لا تمهيدا لتحديد الصراع العسكري .

ثم انه يبرر احتمال تجدد الحرب بتفسير غير سليم لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢. ان هذا القرار لايفترض انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ كما يزعم في رسالته .. لقد نص القرار، ويقصد ، علي عبارة << الانسحاب من اراضي محتلة >> وقد رفض واضعو القرار ، والذين تبنوه ، تعديل النص باضافة اية عبارة تعني الشمول .. مثل << جميع الاراضي >> . وكل الذين صوتوا مع القرار في ذلك الوقت لم يكونوا تحت تأثير اي سوء فهم لمعناه .

ان العقبة في سبيل التقدم السريع نحو السلام ليست رفض اسرائيل ان تنسحب الي غاية تتعرض فيها للعدوان الدائم والمتكرر ، وانما العقبة هي رفض الدول العربيه

بأصرار ان تتقدم نحو علاقات عادية وسلمية مع اسرائيل وتشويهها للقرار رقم ٢٤٢ لتتخذ منه ذريعة لاستمرار عدوانها (!) .

ان تفسير السفير الشاذلي للقرار رقم ٢٤٢ كان خاطئا بقدر ماكان اتهامه لاسرائيل بالعدوان - اثناء الحديث التليفزيوني - زائفا .. وانا اريد ان اذكره باذاعة واحدة فقط ، في الرد علي اتهامه ..وهي اذاعة تمت في مايو ١٩٦٧ من راديو القاهرة ، وجاء فيها : ليس امام اسرائيل بعد اغلاق خليج العقبة غير اختيار من اثنين ، كلاهما تدفع ثمنه بالدم . فهي اما ان تختنق بالحصار العسكري والاقتصادي العربي، واما ان يصرعها رصاص الجيوش العربيه التي تحيط بها من الجنوب والشمال والشرق .

وقد كان اثناء هزيمة هذا المخطط في الحرب الايام الستة ان تم احتلال الارض التي هي اليوم موضوع البحث .

وفي استطاعتي ان أؤكد لزميلي المصري ان شعب اسرائيل كله يشاركه ، ويرحب بآماله، التي عبر عنها في الفقره الاخيرة من رسالته : ان نتوصل الي حل يمكن بعده ان يحل الحب محل الكراهية ، والتفاهم محل الشقاق ، ويتعلم فيه ابناء العرب والاسرائيلين ان يعيشوا معا في سلام ووفاق .

لقد وجهت ، بهذه الروح ، خطابا مفتوحا الي جيراننا المصريين ، نشر في الصحف الاسرائيليه العبريه والعربيه ، كما نشرته " النيويورك تايمز" وغيرها ، وكان ختام هذا النداء :

" انني مؤمن بانه ما ان يتم الاتصال بين مصر واسرائيل حتي تتغير الارضية السياسية والنفسية بين البلدين ، فعندما نرى البراعم الاولي للتفاهم تنبثق من تربة الارض ، ويخرج كل منا من الخنادق ، فان العالم سيبدو لنا في صورة جديدة فلنصل معا ، ويدا بيد ، علي ان يتم اللقاء التاريخي القادم بين مصر واسرائيل .. لا في ساحة القتال ، ولكن حول مائدة مباحثات ..وانا واثق من اننا حين ننهض عن المائدة سيبدأ شعبانا العريقان المتمرسان السير نحو حياة جديدة " .

ان قرار المواجهة يوم حرب الغفران عام ١٩٧٣ لم يكن قرار اسرائيل . واذا كان

زميلي المصري يعني مايقول ، فانه يجب ان يرحب بفرصة اللقاء مع ممثلي اسرائيل في اي حوار سلمي . سواء في ستديو التليفزيون او - وهذا هو الافضل - حول مائدة مفاوضات .

جدعون رافائيل

سفير اسرائيل

الي هنا انتهي الجزء المعلن من هذه القصة المثيرة . الجزء الذي تابعه جمهور التليفزيون، وجمهور الصحافة ، داخل بريطانيا وخارجها .

ولكن بقي فصل ثالث ، واخير ، تنفرد روز اليوسف الآن بنشره .

فقد كتب السفير المصري رسالة اخري الي (التايمز) ، يرد بها علي رسالة السفير الاسرائيلي .وقال في هذه الرسالة :

"سيدي المحرر

لم يفعل السفير الاسرائيلي ، في رسالته التي نشرتموها في ٢١ فبراير ، سوي انه اكد ما سبق ان قلته من قبل : وهو ان المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل مستحيلة .

" لقد اعتاد الاسرائيليون ان يلووا عنق الحقائق الوثائق حتي تلائم اغراضهم . وهم يفعلون ذلك عادة بذكر جزء من الحقيقة واهمال الجزء الاخر . وبهذا يغيرون المعني ، تماما كالذين يقولون ان الله قال " لاتقربوا الصلاة " .. ويحذفون عن عمد باقي الجملة : " وانتم سكاري " .لقد قال السفير الاسرائيلي ان وقف اطلاق النار خطوة نحو سلام عادل ودائم . وانا اوافقه تماما .ولكن .. ماذا اذا لم يتحقق هذا السلام بسبب سوء تفسير اسرائيل للقرار رقم ٢٤٢؟ يريد منا الاسرائيليون - في هذه الحالة - ان نظل نتفاوض ونتفاوض بغير نتيجة . ان اصدقاء العرب واعداءهم يجب ان يعلموا ان قيمة خطوط وقف اطلاق النار تكمن في انها جزء من شروط اخري ترتبط بها ، اما هذه الخطوط في حد ذاتها ، فليس لها اى معني مستقل .

ان السفير الاسرائيلي يزعم ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لا يفترض الانسحاب

من جميع الاراضي المحتله عام ١٩٦٧ .

وانا هنا اناشد القراء : الا يعني هذا في حد ذاته ان اسرائيل ماتزال توسعية كما كانت دائما ؟ الا يخجل الاسرائليون ، في هذا العصر ، من الاقرار بانهم قد احتلوا ارضا عربية وينوون الاحتفاظ بها ؟

ويحاول السفير الاسرائيلي مرة اخري ان يربكنا بتفسيرات معقدة للقرار ٢٤٢ ، مبنية علي النص الانجليزي له ، الذي لم يرد فيه ذكر اراضي العرب مسبوقا بحرف التعريف "الـ" لكن هناك نصوصا اخري للقرار ، بلغات اخري ، ومنها النص الفرنسي الذي يعني بشكل قاطع ان تنسحب اسرائيل من كل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .

علي ان الاهم هو ان السفير الاسرائيلي قد تعمد تجاهل اهم مافي القرار ، وهو بالتحديد مقدمته التي تنص - في عبارات الغموض فيها - علي " عدم جواز احتلال الاراضي بالقوة " وهذا يبين للقراء مرة اخري كيف اتقنت اسرائيل فن استخدام انصاف الحقائق لخدمة مايروق لها ، وكيف انه لاجدوي من التفاوض مع قوم يجاهدون لاقناعك بانهم يحتلون ارضك بموافقة الامم المتحدة وبركتها .

ومن الواضح ايضا ان الاسرائليين يحاولون ان يبتكروا تفسيرا لكلمة " العدوان " يلائم اغراضهم . بدليل انهم يحاولون اقناع العالم بان من العدوان قيام القوات المصرية بعمل عسكري داخل الاراضي المصرية المحتلة . ونحن نرفض هذا التفسير رفضاً تاماً . فالارض التي تحتلها اسرائيل هي ارضنا .ومن حقنا ، بل من واجبنا ، ان نحررها بمجرد ان نشعر بالقدرة علي ذلك . وهذا هو مايسمي بالتعبير العسكري " هجوماً مضاداً تأخر عن موعده " .. ولا يسمي عل الاطلاق عدوانا . ولو اننا قبلنا التعريف الاسرائيلي لكلمة العدوان ، لكانت بريطانيا والولايات المتحدة - بالتاكيد - اكثر من معتدية يوم شنتا هجومها علي اوروبا عام ١٩٤٤ .. لا لتحرير ارضهما ، ولكن لطرد قوات المانيا النازية من اراض غير امريكية وغير انجليزية .

ان السلام لا يمكن ان يتحقق في المنطقة الا يوم يغير الاسرائليون طريقتهم في التفكير، ويفهموا ان الضحية دائما يملك الحق في الدفاع عن نفسه ، وتحرير ارضه .

وانه لا يمكن تحقيق سلام في الشرق الاوسط مالم تعد اراضي العرب كاملة الي اصحابها.

سعد الشاذلي

سفير جمهورية مصر العربية

كتب السفير المصري هذه الرسالة ، وبعث بها الي (التايمز) . وانتظر رد فعل الرأي العام البريطاني لمنطقها الواضح القوي .

ولكن رد الفعل هذا لم يظهر ابدا . لان الرسالة نفسها لم تنتشر .

وكتب محرر (التايمز).. ت.) هيكي - رسالة خاصة الي السفير (بتاريخ ٢٥ فبراير) يفسر فيها هذا التصرف ، ويقول :

" عزيزي السفير ...

اشكركم علي خطابكم يوم ٢٢ فبراير ، فيما يتعلق بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢.

ولما كنا قد نشرنا خطابا لكم في ١٩ فبراير ، فقد كان طبيعيا ان نعطي السفير الاسرائيلي فرصه الرد . واشعر ان المسألة يجب ان تقف عند هذا الحد .

انني ادرك طبعا ان هناك نقطا اثيرت في المناقشة ، تستثير مزيدا من الجدل . ولكن بعض هذه النقط سبق مناقشتها علي اعمدة (التايمز في الاسابيع الاخيرة . ولاشك عندي في انها ستناقش من جديد في المستقبل .

وانا واثق من انكم ستدركون انه ، مع وجود موضوعات كثيرة مطروحة في اي وقت بعينه ، فاننا مضطرون الي تحديد المساحه المتاحه لاي موضوع بالذات .

المخلص

" ت .هيكي "

وفي اليوم التالي كتب السفير يرد علي (التايمز) . ووجه خطابه الي رئيس التحرير " ريس موج " .. قائلا :

" تلقيت رسالة المستر هيكي المؤرخة ٢٥ فبراير . وفيها يخبرني بان " التايمز " لن تتمكن من نشر رسالتي المؤرخه ٢٢ فبراير ، لسببين رئيسيين : الاول ضيق المساحه

والثاني ان الموضوعات المشارة في رسالتـي سبق تمناقشـها في رسائل اخري نشرها " التايمز " .

وقد توافقونني علي انه ، فيما يتعلق بالسبب الاول ، فان العامل الحاسم في نشر اي موضوع او رسالة هو اهميته ، وعلاقته بالاحداث الجارية . والوضع في الشرق الاوسط هو بالتأكيد من اهم الموضوعات الجادة والخطيرة في العالم ، فالفشل في التوصل الي حل في هذا الموضوع سيقود بالتاكيد الي استئناف قتال لابد ان يؤثر بدرجة خطيرة عل شعب هذه البلاد " انجلترا ". ومن هنا اشعر ان خطابي يستحق قدرا من الاولوية ، ان لم سيتحق الاولوية المطلقه .

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية، فانني أومن - وباخلاص - بان الخط الذي اتبعته في شرح الحقائق للشعب البريطاني علي اعمدة صحيفتكم لم يسبق ان طرق من قبل لا خلال الاسبوعين الماضيين فقط ، ولكن طوال الاعوام السته الماضية . وفضلا عن ذلك .. الا ترون ان قراءكم - في الوقت الحاضر - يهمهم ان يقرأون رد السفير المصري عل حجج اثارها السفير الاسرائيلي ؟

انني امل ان تعيدوا النظر فيما يتعلق برسالتي . لان امتناعكم عن ذلك يعني " دون قصد من جانبكم بالطبع " حرمان العرب من فرصة ابلاغ الشعب البريطاني وجهة نظرهم فيما يتعلق بقضية الوضع الخطير الحرج في الشرق الاوسط .

ان هذه الرسالة لها اهمية خاصة . وكلي امل في انكم ستتخذون موقفا يقنع العرب، والشعب البريطاني ايضا بان لصحيفة " التايمز" موقفا عادلا ومنصفا بين الجانبين .

سعد الشاذلي

سفير جمهورية مصر العربية

لكن التايمز جعلت أذناً من طين وأذناً من عجين .

وتوقف السفير عن المحاولة .

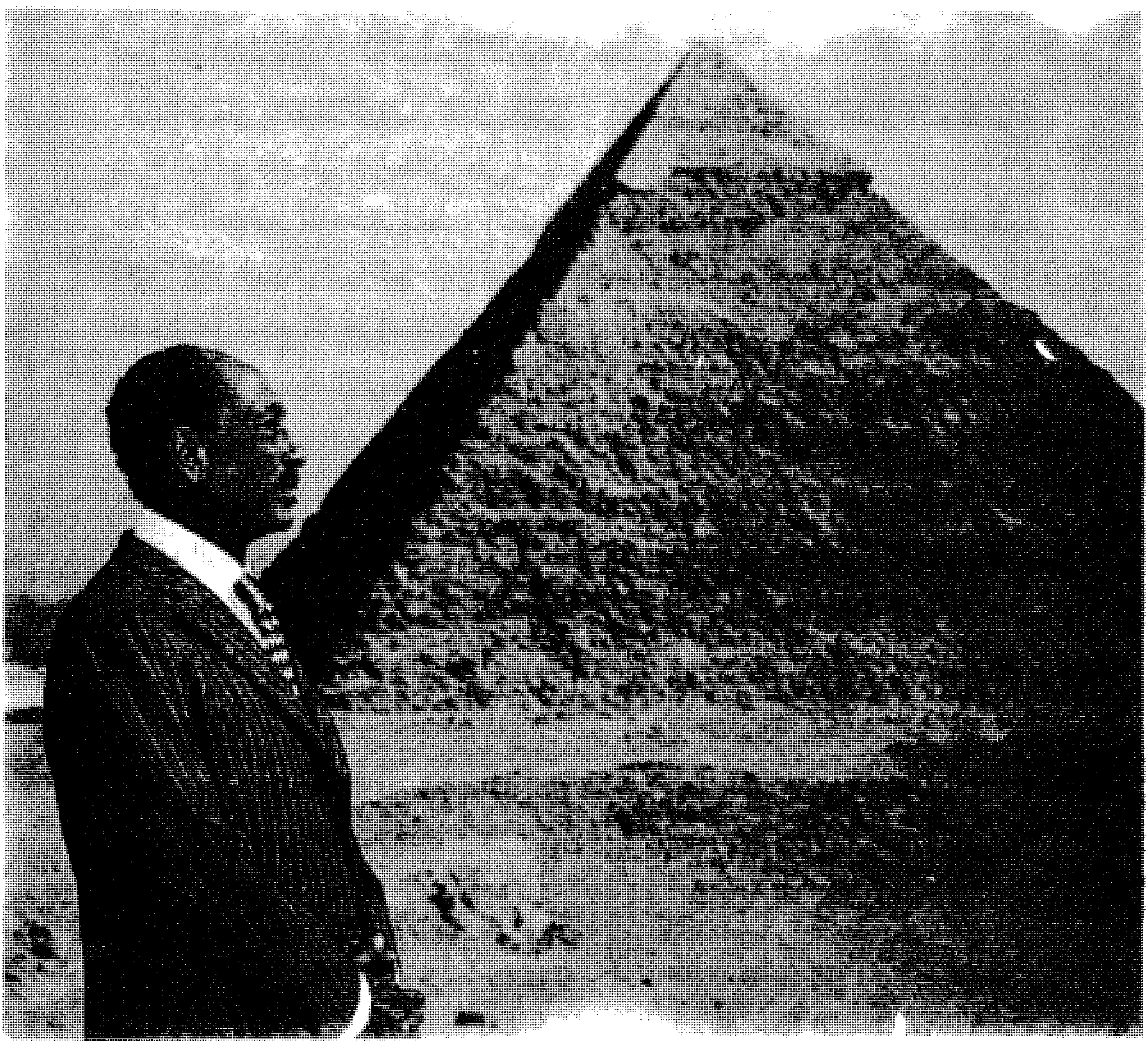
وفي اليوم التالي نشرت " الديلي ميل " خبرا جاء فيه :

الدبلوماسيون العرب في لندن أسفون بسبب قرار حظر مفاجئ يمنع من الظهور في التليفزيون واحدا من امهر الدبلوماسيين - الجنرال سعد محمد الشاذلي ، السفير

المصري ، الذي كان واحدا من ابطال حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ .

فبرغم نجاحه في الحوار التليفزيوني التاريخي مع سفير اسرائيل ، جدعون رافاييل منذ ايام ... فان القاهرة بعثت اليه بتعليمات مشددة ، تمنع ان يتكرر مرة اخرى اي لقاء تليفزيوني مع العدو وجها لوجه . فوزير الخارجية المصري - اسماعيل فهمي - يخشى الا يتمكن المبعوثون المصريون الاخرون من تحقيق نجاح مماثل !

وبهذا الخبر نزل الستار !





صدر للمؤلف

١ ـ لغز السادات .... (الجداوى للنشر)
٢ ـ ثورة يوليو والصحافة .... (الجداوى للنشر)
٣ ـ عبد الناصر الذى لا تعرفه .... (الجداوى للنشر)
طبعة أولى ١٩٩٠
طبعة ثانية ١٩٩٣
٤ ـ ذكريات صلاح حافظ............................ ..... (مؤسسة روز اليوسف)
٥ ـ ذكريات د . يوسف إدريس .... (المركز المصرى العربى)
٦ ـ عبد الناصر فى تل أبيب .... (الجداوى للنشر)
٧ ـ لغز يونيو ٦٧ الهزيمة والعقاب .... (سوزانا للنشر)
٨ ـ السادات أسطورة لغز............................... (سوزانا للنشر)
٩ ـ طلعت حرب : ضمير وطن .... (سوزانا للنشر)
١٠ ـ أحمد بهاء الدين : اهتمامات عربية (إعداد)
.... تقديم الكاتب الكبير لويس جريس
١١ ـ ناهد رشاد : المرأة التى عزت عرش مصر !
.... مركز الراية للنشر والإعلام
١٢ ـ السادات المبادرة والمنصة ! .... (سوزانا للنشر)

تحت الطبع :

١ ـ المشير الذى كان !
٢ ـ زعماء ومقالات وازمات .
٣ ـ هيكل : الصراحة الغائبة !

محتويات الكتاب

السادات المبادرة والمنصة

رقم الايداع ٩٤/٨٥٧١

مطابع روزاليوسف الجديدة



تصدق السادات أحد!

الوحيد الذى كان يصدق السادات تمام
ويؤمن بكل كلمة يقولها هو «السادات
نفسه!

ومن حسن الحظ أن السادات لم يصدق
أحد!!

كان العالم كله مشغولا بأمر هذا
السادات» القادم من المجهول ليخلف «عبد
الناصر»!

كان «السادات» وقتها هو مستر «صح
الرجل الذى كان يقول لعبد الناصر فى كل
الحالات: صح ياريس!

ولم يأخذ الناس السادات على محمل الجد
أبدا!! هدد خصومه وفعلها ، هدد بالحرب
وخاضها!! وأعلن عن «مبادرة» الذهاب إلى
إسرائيل، وتصور الناس ذلك العرض
مبالغة وطنطنة وشجاعة لفظية!!

لكن «السادات» فعلها وسافر، ولم تعد
الدنيا بعد المبادرة هى الدنيا قبلها!!

هذا الكتاب الجديد للكاتب الصحفى
رشاد كامل» يروى أسرار هذه المبادرة،
والزعماء والرؤساء الذين كانوا بالقرب منها.

هذه المبادرة هى التى قادت السادات بعد
إلى المنصة، ودون أن يستحق السادات
هذه النهاية!

«المبادرة والمنصة» كتاب جاد لقارئ جاد

مطابع روز اليوسف الجديدة